http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب: أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي
المؤلف: د. عبد المجيد البيانوني
الناشر: دار القلم – دمشق
الطبعة: الأولى، 1427 هـ – 2006 م
علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم (28)
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

((نسخة محولة بواسطة القارئ الآلي، وتم مراجعتها مراجعة مبدئية، وليست نهائية؛ ولذا وجب التنبيه وبخاصة في الآيات القرآنية والأرقام والجداول!))

علماء ومفكرون معاصرون

لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم

28

أحمد عز الدين البيانوني

الداعية المربي

1329 – 1395 هـ / 1913 – 1975 م

تأليف

د. عبد المجيد البيانوني

دار القلم

دمشق

((نسخة محولة بواسطة القارئ الآلي، وتم مراجعتها مراجعة مبدئية، وليست نهائية؛ ولذا وجب التنبيه وبخاصة في الآيات القرآنية والأرقام والجداول!))

(1/1)

علماء ومفكرون معاصرون

لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم

28

أحمد عز الدين البيانوني

الداعية المربي

1329 – 1395 هـ / 1913 – 1975 م

تأليف

د. عبد المجيد البيانوني

دار القلم

دمشق

(2/1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح المربّي الكبير الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله. .

لمالى ا ولاد الشيخ احمد بنين وبنات. .

لمالى تلامذته وإخوانه ومحبيه. .

وإلى الدعاة وا لمربين. . وحَمَلة الأقلام المؤلفين. .

وإلى شباب الأمة الباحثين عن القدوة الحسنة. .

أهدي هذا العمل راجياً من الله حُسنَ المثوبة والجزاء.

*كلأبم!

(3/1)

الطبعة الأولى

1427 هـ – 2006 م

(4/1)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، الذي جعل من حياة السلف منارات هدى للخَلَف، وعِبَراً لأوليم الألباب، وأمر بالتأسّي بها والاقتداء، فقال عزّ من قائل: " أُوْلَ! كَ اَلَذِيئَ هَدَى اَلَهُ فَبِهُدَاهُمُ أ! دِيه " أ الأ نعام: 0 9).

والصلاةُ والسلامُ على مَنْ كانت سيرته العطرة، وشمائله البهئة النضرة، منهاجاً للداعين إلى الله، ورياضاً للصالحين، واسوة لهلمتقين إلى يوم الدين.

وبعد؟ فما أحوج الأفة إلى الدعاة الزبانيين، والائْمّة المهدئين، و إنَّ حاجتها إليهم واللهِ لهيَ أشدُ من الحاجة إلى الطعام والشراب، والكساء والدواء، فضلاً عفا دون ذلك. .

ويتصل بهذ 5 الحاجة المؤكدة: الحاجة إلى كتابة سير الأئمة الربانيين، والدعاة المهديين، وجمع أخبارهم، وتسطير مناقبهم، وهذا ما درج عليه العلماء خَلَفاً عن سَلَف، وكان لهذه الافة مفخرة تباهي بها سائر الأمم.

وقد كان للأستاذ الفاضل محمد علي دولة المشرف على مطبوعات دار

القلم جهد طيّب مشكور في تعريف الجيل المعاصر بعلماء الامّة ودعاتها، فأصدر سلسلة: (اعلام المسلمين) وقد جمعت حتى إلآن أكثر من تسعين عَلما من أعلام هذه الأفة على اختلاف العصور، ولا يزال العطاء فيها مستمرّاً. .
ثم اصدر سلسلة جديدة، تخصق المعاصرين بعنوان: (علماء ومفكّرون معاصرون. . لمحات من حياتهم وتعريف بمؤئفاتهم).

وقد طلب مني الكتابة على حسب منهج هذه السلسلة عن فضيلة أستاذنا وشيخنا الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، فاستجبتُ له بعد تردّد، لكثرة المشاغل من جهة، وتهرباً من المسؤولية من جهة أخرى، ثم ألحَّ عليّ فلم أجد لنفسي مسوغاً للاعتذار، فاستخرتُ الله تعالى، ثئمَ أقدمتُ على ما طلب منّي، وفق المنهج الذي اختاره جزاه الله خيراً. .
فلا يسعني إلأ أن اشكر الأستاذ المفضال محمد علي دولة على ما تسبَّب لي به من العيش سحابة شهرين من العمر بين يدي مؤثفات استاذي وشيخي الداعية المربّي، والانتقال إلى عبق الأجواء الروحية، التي كنا ننعم في حياته بظلالها. . فاللهئمَ تقتل مني هذا العمل، واقبلني به، واجعله خالصاً لوجهك العظيم، وتغضَد برحمتك ورضوانك والدينا ومشايخنا والمسلمين أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

جدة في 0 1/ 5/ 1423 هـ
الموافق 0 2/ 7/ 02 2 0 م
وكتبه
د. عبد المجيد البيانوني

الفصل الأول

لمحات من حياته

(7/1)

(8/1)

تمهيد

لقد عاش الشيخ احمد بين جيلين، ونشأ في بيئتين: بيئة العلماء والمشايخ، التي يمثلها والده الشيخ عيسى، وشيخه الشيخ محمد أبو النصر رحمهما الله تعالى، ومَنْ كان على شاكلتهم، وبيئة الجيل الجديد، التي تمثّلها الدراسة العصرية في المدارس الحكومية، التي درس فيها، فنظر بعينٍ إ لى جيله الذي ترئى في بيئته، وبعين اخرى إلى الجيل الجديد، الذي نشأ في مدارسه، فراى ان بين الجيلين سدّاً منيعاً، وفجوةً عميقة، منها ما هو مفتعل مصطغ، ومنها ما هو حقيقيئ له أسبابه المفهومة، ومبزراته المعقولة، وإنَ خطاب اولئك المشايخ لايتناسب مع هؤلاء، فلابد من تفهُم المستجدَات الحادثة، والتطوّراب الاجتماعيّة المختلفة، وتعديل الخطاب الدينيئ والدعويّ وتطويره، بما لا يتعارض مع ثوابت الدين وقيمه ومبادئه، وذلك ليتناسب مع عقلية الجيل الجديد واهتماماتها، وليكون مؤثّراً فيها. .

وإنَ كثيراً من الناشئين مثل هذ 5 النشأة لا يحسنون الموازنة بين النظرين، والمواءمة بينهما:

فإمَّا أن يغلبَ عليهم الإعجاب بما رأوا عليه الآباء والأجداد، فيميلوا إ لى ما نشؤوا عليه ويعتزوا به، ويحاربوا كل ما عدا 5، ولو كان نافعاً مفيداً، لا يتعارض مع شيء من حقائق دينهم، فلا يعيشون زمانهم، ولا يخدمون دينهم.

وإفَا أن يفتتنوا بالوافد الجديد، وينظروا باستصغار واحتقار لما كان عاجه الآباء والأجداد، فينسلخوا عنه بكلّيّحهم، ويابوا ان يستبقوا على شيء منه، وهذا

ما حدث لكثير من شباب ذلك الجيل، نظراَ لما دُبِّرَ له من مكر، وأُحيط به من مخططات الاستعمار، واسإليبه ووسإئله. .

وكثير من هؤلاء وأولئك كان يعيش صراعاً نفسياً مُرّاً قبل أن ينحاز إلى أحد الفريقين والمعسكرين، ثئم إذا انحاز إلى احد الفريقين ناصر 5 بكلّ قوّة وشدة، على قدر ما عانى قبْل ذلك من صراعِ نفسيئ واضطراب. .

ورئما نشأت في قلوب بعضهم شكوك وشُبهات، فحمل أحدهم إشكالاته المقْلِقة إلى بعض اولئك المشايخ، يريد الإجابة المقنعة، فإذا وُفّق ذلك المسؤول، وسُدد في الإجابة ففد انحفت المشكلة، وزالت الشبهة، وإلأ فإن الأمرَ في نفوس هؤلاء الناشئين يزداد تعقيداً وإشكالاً. .

وقلَ في الناس من ينهج المنهج الوسط الذي اشرنا إ ليه، وقد سلكه الشيخ واختار 5، وتبذَى في شخصئته التعليمية والاجتماعية والدعوية، كما تبدَّى ؤب منهجه واسلوبه، ولغة خطابه، ومؤئفاته وكتبه.

وهذا ما سيتضح لنا ب! ذن الله من خلال الوقوف عند كتبِ الشيخ رحمه الله ومؤئفا ته. .

ولقد كان الغزو الفكري والأخلاقي أخطرَ سلا! وجّهه الاستعمار إلى فئات الأمة الإسلامية وأجيالها؟ فأفسد العقول، وسلَبَ الأفئدة،! اجتاحَ بسمومه وضبهاته، وشكوكه وضلالاته قواعد العفائد، وا لأسس والمبادى، التي كانت معلومة من الدين بالضرورة، فلم تعُد كذلك، واصبحت تحتاج إلى إعادة بنإء وتأصيل جديد، بلغة خطاب، تقنع الجيل الجديد، بل تستهوي فؤادَ 5، وتؤثر فيه. . وكانت البيئتان اللتان أشرنا إليهما معزولتين عن بعضهما غاية العزل واشده: فم! يجري للجيل الجديد من غسل للعقول والقلوب لا يعلم ءت 4 الآَباء شيعأ ولا يعرفون، بل هم في وادِ آخر، يرونَ الإسلام بخيرٍ ما داموا يلتفون حول مشايخهم، يلتقونهم صباح مساء، ويلتمسون منهم الدعوات والبركات. .

ويعبر عن هذا الواقع وما يحمله من اخطار ما كتبه الشيخ في سيرته الذاتية إذ يقول: "وحفظني الله تعالى في هذ 5 السنوات الثلاث –سنوات دار المعفمين–

10

(10/1)

من دعوة الإلحاد، التي كان يلقي إلينا سمومها بعضُ الأساتذة، الذين درسوا في فرنسة، وفتنوا فيها عن دينهم.

كما حفظني من الانطلاق في الآثام، التي كإن بعض رفاقي يتحدَّثون بها عن انفسهم، كأنها مآثر ومفاخر. . بل كان ذلك حافزاً لي في مستقبل قريب أن اظهر بالمظهر الإسلامي، غير مبالٍ بمن يعاديه، وقلت في نفسي: إذا كإن أهل الباطل لا يستحيون من باطلهم، فما أجدرني وانا مسلم، وعلى دينٍ حق، أن أظهر بمظهرِهِ الكريم، وأعتز به وافخر!. ".

***

11

(11/1)

المبحث الأول

التعريف بالشيخ أحمد عز الدين البيانوني

اسمه ونسبته وميلاده:

هو العالم العامل، الداعية القدوة، الشيخ أحمد الصيّاد، الملقَب عزّ الدين، والمكنى بأبي عليّ وأبي الرجاء، ابن الشيخ عيسى بن حسن بن بكري ابن احمد البيانوني الحلبيئ.

وُلد في مدينة حلب من بلاد الشام عام 9 32 1 هـ الموافق لعام 13 9 1 م (1)، وفيها نشا وتلقى علمه، وهي ميدان عمله ونشاطه ودعوته إلى أن توفي فيها عام 395 1 هـ، الموافق لعام 975 1 م.

أسرته وبيئته:

والده هو الإمام العالم العَلَم، الفقيه الأديب، الداعية إلى الله، الورع الزاهد، التقيئ الصالح، الذي اشتهر بشدّة محبته للنبيّ! يد، والحرص على اتّباعِ سنَته، الشيخ عيسى بن حسن البيانوني المولود بقرية (بيانون) من قرى حلب، وهي تبعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً شمالي حلب (2).

قدم بالشيخ عيسى أخوه اكبر الثيخ حمّادة (3) من القرية إلى مدينة حلب، ليطلبَ فيها العلم، فطلب العلم ونبغ، واستقز فيها مع أسرته، وكان

(1)

(2)

(3)

يفول في سيرته الذاتية التي سمَاها: (مراحل حياتي): "ولدت في اليوم الرابع من شهر ربيع الأؤل سنة تسع وعشرين وثلاثمئة وألف ".

يُنظر ما كتبه أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مُدمة كتاب (فتج المجيب في مدح الحبيب) وهو ديوان شعر عيسى البيانوني المطبوع.

والشيخ حفاد أو حقادة كما هو مشهور، هو جد كائب هذه الرسالة.

12

يخرج إلى القرية بين الحين والاَخر لصلة الرحم والدعوة إ لى الله تعالى.

فأسرته – رحمه الله – اسرة علم ودين، وتقوى وا ستقامة، ودعوة إ لى الله.

وكان شيخ والده وسيخه، العالم العامل، والدإعية الرباني الشيخ محهفى ابو النصر خلف ابن الشيخ سليم الحمصي، أحد كبار العلماء والدعاة إلى إدلّه في بلاد الشام في العصر الحديث، الذي كانت الدعوة إ لى الله تعالى شغله الشاغل، فإهتدى على يديه عشرات الألوف في شماليّ بلاد الشام، وأريافها وباديتها، وتاب إ لى الله تعالى بتأثيره ودعوته خلقٌ لا يُحصَون عذاً.

نشأته العلمية والعلوم التي برز فيها:

نشأ الشيخِ احمد رحمه الله، وشحث وترعرع، في بيئة طيّبة صالحة، يحبّ الصالحين، ويألف مجالسهم، وينتفع بحديثهم وتوجيههم.

وختم الشيخ القرآن الكريم، وعمره خمس سنين، وكانت تلك سنَةُ عصره، يوجّه الطفل اول ما يوخه إلى (الكُتاب) يتلقّى عنه مبادئ ا اعراءة والكتابة والحساب، ويتقن تلاوة القرآن الكريم وتجويد 5، حتى يختمه مع حفظ ما تي! ر منه، ثم يدخل المرحلة الابتدائية (1).

ثم يوخهه اهله؟ إما إلى المدارس الدينية، وإما إ لى المدارس الرسمئة، وكانت تسفى (الأميرية)، وقد أُنشئت أواخر القرن الثالث عشر الهجري مع مدارس البنات، وأُريدَ لها أن تجدَد في أسلوب التعليم ومناهجه، وتدخك العلوم العصرية إ لى جانب العلوم الدينية والعربية.

فأُدخل رحمه الله تعالى المدرسة الابتدائية، وكانت الدراسة فيها ست سنين، ثمّ تخرّج فيها، والتحق بدار المعلمين، وكانت الحياة فيها داخلية، ذإت نظام دقيق.

(1) وقد سمعت ذلك من الشيخ احمد رحمه الله.

وكان كثير من الناس يؤيرون الدراسة في دار المعلمين، لأنها قريبة المنال، خفيفة الأعباء والتكاليف، يسرع الفتى فيها إلى الحياة الوظيفية والاجتماعية.

وقد هتمَ والده الشيخ عيسى مزات عديدة أن يخرجه من المدرسة لينسبه إلى المدرسة (الخسروية)، او إلى اي مدرسة شرعية أخرى، ولكنّ الشتغ محمد ابا النصر رحمه الله تعالى، كان يثنيه عن ذلك، ويقول له: " إنّ ولدنا أحمد. . لا خوفَ عليه " (1).

ونبغ الشيخ أحمد بين اقرانه في جميع المواد الدراسية والنشاطات، كان من المتفوقين، ثم تخرّج في دار المعلمين، ودخل الحياة العملية معقماُ،

وآما العلوم التي برز فيها: فقد برز الشيخ أحمد رحمه الله في حياته الدراسية في عدة علوم، كان على رأسها علوم اللغة العربية نحوِها وصرفِها وآدابِها، فكان صاحبَ ذوقٍ لغوي مرهف، بعيد عن الأساليب الدخيلة، المتأثرة باللغات الأجنبية وأساليبها.

سألته مرةً عن سر قوّته اللغوية، وفصاحة تعبيره، وجزالة أسلوبه، وأنا اريدُ أن يدلني على بعض الكتب القديمة لأعلام الكتّاب والادباء، فقال لي: "لقد قرآنا في مرحلة الطلب لهؤلاء كثيراً، واستفدنا من أساليبهم، ولكني لم أرَ انفع من كثرة التلاوة للقرآن الكريم مع التدبر لمعانيه، والتأمل في بديع تركيب جمله وآياته، والتعفق في فهم آسلوبه، وتعبيره عن شتى المعاني، باللفظ المعجز، والجملة الموجزة، التي لا يمكن التعبيرُ عما تحتويه من المعاني، إلا بكلام كثير طويل ".

(1)

سمعت ذلك من الشيخ أحمد رحمه الله في مناسبات عديدة، والشيخ أحمد هو ولد الشيخ محمد أبي النصر من الرضاعة، كما أنه بمثابة ولده من حيث التربية والتوجيه.

وكان رحمه الله يحرص على اللغة الفصحى دون تكلّف، ويوصي باستعمالها في الكلام العادي والمخاطبات، والبعد عن العامية، وبخاصة السوقية منها، التي غزتها الكلمات الأعجمية.

وقد نشّأ أبناءه وبناته على ذلك، وحارب فيهم اية كلمة، تسبق إلى ألسنتهم بحكم المخالطة، والتأثّر بكلام الناس.

وقد جمع في كتيّبه الذي أسماه: (اخطاء لغوية شائعة، وتصويباتها) خمس مئة كلمة شائعة وتصويباتها، وبنا 5 على قول: " لا تقل: كذا. . . وقل: كذا "، يعرض الخطأ والصواب.

وكان عندم! يتكلَم في القواعد أو الإعراب، يتكلَّم عن بديهة حاضرة، وبأسلوب تعليمي جذاب.

وكان يشحذ همم تلامذته في مجالس القرآن في المسجد بعد الفجر في رمضان المبارك، بأسئلة عن الإعراب ويناقشهم فيها، ويذكر وجوه إعراب بعض الكلمات، وتنوّع المعاني تبعاً لذلك، ويفرر بعض القواعد، مما قطفنا من ورا ئه فوائد علمية كبيرة.

وكان يجيد اللغة الفرنسية، يتقنها قراءةً وفهماً ومحادثةً، ويحثّ إخوانه على الاهتمام باللغة الأجنبية لحاجة الدعوة إلى الإسلام إليها.

ومما اهتم به من العلوم علم النفس التربوي: فقد كان عَلَماً على شخصيته، معلماً وموجّها، وداعياً ومذكّراً، وربّ أسرة مربّياً.

وبعد اتجاهه الوجهة الدينية الدعوية؟ كان له اهتمام بكلّ العلوم الشرعة العملية: من التوحيد والتفسير، والفقه والحديث، والسيره والتراجم، والأخلاق والتصوُف الشرعي، ويمكن أن يلحظ ذلك كل دارس لآثار الشيخ ومؤلَّفاته.

على ان الأمر الممئز للشيخ أحمد على كثير من أقرانه، هو القدرة الفائقة

التي آتاه الله إياها على تمثل العلم الذي يدرسه، ونقله للجيل المعاصر من الشباب، وتقريبه لهم بصورة عصرية ملائمة، ويُلحَظُ ذلك بيسر من النظر العابر لآثاره ومؤلّفاته، وقد كان للشيخ مساهمة في إعداد كتب التربية الإسلامية لمراحل دراسية متعددة لما امتاز به في هذا الباب.

– واما مواهبه الفنئة؟ فقد برع بالخط والرسم والأعمال الفنية، وكان ذ ا ذوقِ عا لِ فيهما، وذا تقدير لقيمتهما، وتقويم للأعمال ا لخطية والفنية، ونقدٍ لها.

فأما الرسم والأعمال الفنية، فقد شُغِلَ عنه بأعباء العمل الإسلاهي ومسؤوليات الدعوة.

– واما الخط، فقد نال حظاً أكبر من اهتمامه، وكان هواية محببة له، وذلك لطبيعته المتصلة بحياة العالم والمعفم والمؤلّف، ولكنه لم ينصرف إليه انصراف الخطّاطين، ولم يشغله عن مسؤولياته الدعوية، وواجباته الثرعية، وقد كتب بيد 5 بخط الرقعة الطبعة الأولى من كتابه؟ (سبيل الهدى والعمل).

– واما نشاطاته، فقد نثا منذ الصغر على الفتوة وحبّ الرياضة، فشارك أيام دراسته في الفرق الكشفية، وشارك في مجالات رياضية أخرى، وكان يحبّ لعبة كرة الفدم أيام دراسته.

وقد حدثنا رحمه الله تعالى، انه حضر رحلات كشفية كثيرة، كانوا يقطعون فيها أكيالاً عديدة على الأقدام، قد تستغرق سحابةَ يوم كاملٍ، يحمل كل منهم لوازمه الفردية، وقد استفاد من ذلك في حياته العملية، وتركت أثراً عميقاً فى نفسه وشخصيته.

وكان سثاحاً ماهراَ، يجيد السباحة، ويحث عليها إخوانه، ويشجّعهم عدى إتقانها، وقد علم اولاده السباحة حتى مهر بها اكثرهم وأجادوها، وفي رحلاتنا معه كان يجري لنا مسابقات في السباحة، ويشارك فيها.

وكان الاهتمام بالرياضة يحتل المكانة العالية في توجيهه لأبنائه وإخوانه،

فكان من اهئم وصاياه التي بكفف بها إخوانه: أن يحرص الأخ على الرياضة اليومية، ولو عثر دقائق على الأقل.

وكانت الرياضة جزءاً من البرنامج اليومي لرحلات إخوانه السنوية، أ و الخروج اليومي الذي تقوم به مجموعات من الإخوة، في أيام الربيع إلى بسا تيمن حلب وضواحيها.

وكان ينظر إلى الرياضة، أنها جزءٌ هإتمٌ من بناء الشخصية الإسلامية الكاملة، وكان يعدّه! طاعة، يتقرّب بها إلى المولى جلّ جلاله، فكان لا يسمح لأحدٍ من إخوانه ان يهزل وقت الرياضة أو يضحك، لأنها من الأعمال الجدّية

التي لا يليق فيها الهزل، وقد افاده اهتمإمه بالرياضة، وممارسته لها، تلك الحيوية والنشاط، والقوة والفتوة التي تمتع بها في حياته.

مشايخه وصلاته بالعلماء وحنه للصالحين:

رضع الشيخ أحمد منذ نعومة أظفاره حبّ الصالحين، وكان أبرز شيخين اثراً في حياته، وكان لهما اثر كبير في توجيهه ورعايته: والده الشيخ عيسى البيانوني، وشيخه وشيخ والده الشيخ محمد أبو النصر خلف الحمصيّ رحمهما الله تعالى.

أولاً: التعريف بوالده الشيخ عيسى بن حسن البيا نوني رحمه الله:

ولد الشيخ عيسى بن حسن بن بكري بن ا حمد البيانوني، في قرية تسمى: (بيانون) تابعة لقضاء إعزاز، على بُعد ثمانية اميال في الشمال الغربي من مدينة حلب، من أبوين صالحين كريمين.

وكانت ولادته سنة 1290 هـ، ولما بلغ من العمر عشرأ، ساقته الائدإر إلى طلب العلم، فنزل إلى حلب، ولازم اخاه العالم الشيخ حمادة البيانوني رحمه الله، وكان اخوه من علماء المدرسة العثمانية والمبرزين فيها، لازم قارئ حلب الحافظ المتقن الشيخ أحمد الشهير بالحجار، حتى حفظ القرآن الكريم غيباً، واتقن تجويده، وأحسن تلاوته، وتعثم كتابة الخط من الشيخ بشير

الحياني، وكان خطاطاً ماهراً، ولما تثم له ذلك التفت إلى دراسة العلوم الدينية، وتلقيها من فحول العلماء، فقرا على اخيه الشيخ حمادة البيانوني مبادئ العلوم الدينية بأنواعها، كعلم سالتوحيد والنحو والصرف، والتصوف والفقه، واستفاد منه كثيراً، وقرأ علم التفسير على العالم العامل الشيخ مصطفى الهلالي الشهير بالدرعزاني، كما قرا عليه ايضاً علم المنطق، وشيئاً من النحو والإعراب.

وحضر على مدرس المدرسة العثمانية الشيخ حسين الكردي، الذي كان يوصف بأنه مجتهد في العلوم العقلية، فقرأ عليه علم التفسير والتوحيد، وال! طق

والصرف، وعلم النحو وعلوم البلاغة، وباقي علوم الآلة، ولزم حلقة العلاهة الكبير الشيخ بشير الغزي رحمه الله تعالى، فقرأ عليه علم الحديث، كما قرأ عليه شرحه للجزرية، كما قرأ عليه علوم الأدب والبلاغة.

واتئمَ دراسته في علم النحو على العلأمة الورع الزاهد الشيخ أحمد المكتبي، فقرأ عليه شرح ألفية ابن مالك، وحاشيتها للخضرقي، كما قرأ عليه حاشية العلآمة العطار على شرح الأزهرية.

– وقرآ علم الفقه اولاً على اخيه الشيخ حمادة، ثم لزم العلامة الشيخ سعيد السنكري، فقرا عليه حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري، ثم قرأ عليه شطراً من حاشية العلامة البجيرمي على شرج المنهج للخطيب في الفقه الشافعي، وقرا على العالم الفقيه الشيخ احمد البدوي الجميلي، الذي كان أستاذاً في المدرسة الشعبانية.

– اجتهاده وذكاؤه، وثناء أساتذته عليه: كل مَن اجتمع بالشيخ عيسى وسمع كلامه في وعظه دهارشاد 5، أو نصائحه وخطبه علم يقيناً أنه على جانب عظيم من الذكاء وتوفد الذهن، ولقد كان يرحمه الله مبرزاً بين اقرانه في الفهم عن الشيوخ، وكانوا يسألون رفاقه اولاً عن المغلق من العبارات، فإذا عجز رفاقه عن الجواب، وخهوا السؤال إليه، فكان يحل المشكل بأحسن جواب. ونال بهذه المزية الفذة غاية الرضا من شيوخه، وصار موضعثنائهم دهاعجابهم، يقول

عنه بعض أقرانه: إنه لو لم ينصرفْ إلى الاشتغال بالتصوّف لكان من الفقهاء المبرزين الذين يشار إليهم بالبنان، وقال بعضهم: " لو بقي الشيخ عيسى مشتغلاً بالفقه، لكان مرخحاً في المذهب الشافعي ".

واخذ الشيخ عيسى عن علماء دمشق، وبخاصة شيخ علمائها المحدّث الشيخ بدر الدين الحسني، وأخذ عنه جهابذة علماء حلب، وفي كمقدّمتيم شيخنا العلاّمة المحقّق عبد الفتاح ابو غدة، وحصل له إقبال من الخاص

والعام، وكان صحيح المذهب، حسن الصدر، حلو النصائح، كثير التسبح والتحميد والتكبير والتهليل، من أهل الذكاء واليقظة، والنباهة والمعرفة، والصلابة في الحق، والفضل الواسع، والتواضع الجمّ.

– وظائفه العلمية: دخل الشيخ عيسى في مسابقة علمية للتدريس في بلدة (المَعَرّة) فحاز فيها الدرجة الأولى، وبقي فيها ست سنوات، ثم عاد إلى حلب، وتقلّد خطابة جامع المدرسة العثمانية، وعُيهن مدرساً للأخلاق في المدرسة الخسروية: (الثانوية الشرعية بحلب)، فكان خيرَ استاذٍ في بثّ الاخلاق الطيبة علماً وعملاً.

ولما زار الشيخ العلامة المحدّث بدر الدين الحسني الدمشقي رحمه الله بلدة حلب، وراى من الشيخ الإخلاص في الوعظ، والتأثير في القلوب، طلب من مدير اوقاف حلب أن يعيّنه مدرّساً للنساء، فكان لهنّ خير إفادة وأبلغ موعظة.

– اتقانه التصوف واشتغاله به: وقد حُبّبَ إليه التصوّف منذ شدا بالعلم، فانتسب إلى بعض الطرق، واخذه! عن شيوخها من العلماء العاملين الصالحين كالشيخ مصطفى الهلالي الشهير بالدرعزاني، والشيخ محمد خير الله، والشيخ محمد أبو خالد الدمشقي الرشيدي، ثم أخذ الطريقة النقشبندية عن العالم الفاضل الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي ولزمه حتى توفي رحمه الله تعالى.

19

– تاليفه وآثاره: ومع اشتغاله بالتدريس والخطابة، والدعوة والإرشاد، فقد ألَّف عدة كتب طبع بعضها، وبعضها لم يزل مخطوطاً. فمن مصنفا ته:

1 – كنز الهبات في الصلاة على سيد الكائنات غ! ح!.

2 – كتاب المنكرات، في مجلدين.

3 – كتاب موادّ العقل السليم في متابعة النبي الكريم ع! سم.

4 – كتاب تحذير الإنسان من آفات القلب واللسان.

5 – اكواب الرحيق في آداب الطريق، وهو ضخم.

6 – الأَراب في الأَداب، وهو مختصر أكواب الرحيق، ويقع في جزء لطيف.

7 – أربعون حديثاً في المحبة النبوية، وقد شرحها شرحاً لطيفاً.

8 – رسالة اسماها: معرفة العبد ربّه بالذكر والمحبّة.

9 – ثلاثة دواوين في الخطب الجمعيّة:

ا – احدها مضمّنٌ بآيات قرآنية على هيئة التخميس.

ب – وثانيها مجموع من الخطب النبوية.

! –وثالثها مجموع من الأحاديث القدسية.

1 0 – ديوان شعر في مدح رسول الله! ش! د.

1 1 – إعلام الإنسان بأحكام الصيام.

1 2 – مجموعة أملاها في المبشرات.

13 – فتح المجيب في مدح الحبيب، ديوان شعر في المحبة النبوية مرتّب على حروف الهجاء.

20

---

1 4 – غاية المطلوب، في رؤيا المحب للمحبوب، وكان آخر مؤثَفاته، وقد تحدَث لْيه بما من اللهُ به عليه من رؤيته النبيئَ! م، والاقتداء بهديه، والاقتباس من نوره.

– وفاته: حجَ الشيخ عيسى رحمه الله سبع حخات، وبعدما أتمَّ مناسك الحج في حجّته الأخيرة عام 1362 هأصابه (زُحَار)، فأسرع رفاقه باستدعاء الطبيب ففحصه وأعطاه علاجاً، وكانوا حينئذٍ على أُهبة التوخه إلى المدينة المنورة، فركب السيارة مع رفاقه، فأَصابهم على الطريق سيول جارؤة أخّرت سيرهم ليلتين، احتمل فيها الفقيد رحمه الله مشقة عظيمة، على رغم ما بذل4

رفاقه الكرام من خدمة له واعتناء به، جزاهم الله خيراً.
ولما وصلوا إلى المدينة المنورة، اخذو 5 إ لى المستشفى، ولم يزل ينحطّ جسمه، وتضعف قواه حتى توفي ليلة الأحد بعد العشاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة عام 1362 هفشيعوا جثمانه، وصلَوا عليه في المسجد النبوفي الشريف، وساروا به في موكب عظيم، حتى وصلوا به البقيع المبارك، فوقف الأستاذ الشيخ محمد الحكيم – أحد رفاقه في سفر الحج – ف! بنه وعرَّف الناس قدره، ووارووه ترابَه في منتصف المسافة بين ضريج سيدنا إبراهيم ولد النبي! ميم وقبور الشهداء رضي الله عنهم.
–عمل الشيخ عيسى رحمه الله في المجتمع: لقد قضى الشيخ عيسى عمراً طويلاً تقلَبت فيه البلاد شتى التقفبات، وتخلَل ذلك الشيء الكثير من الاضطراب الخاصّ والعامّ، وكانت البلاد في شبه ثورة اجتهماعية هائجة، فكان الشيخ عيسر، يتنقل بين المساجد داعياً إلى الله، منادياً بنبذ المنكرات، محبّباً بالفضائل، وكان أ مره بالمعروف يتطوّر أحياناً فيأخذ شكلاً من القوة والحضّ على ا لجهاد في سبيل الله، فقبل دخول الفرنسيين حلب قام بحركة جهادية مباركة، إذ ذهب إ لى الأ قضية والقرى، وحرَض المسلمين على الجهاد، وجمع كثيراً من المتطوّعين، الذين قدموا حلب بخيلهم ورجلهم، وقد حمل كل منهم بندقيته متحمّساً يشرت نمر الإيمان من وجهه.

ولم يلبث أن بلغه ان المقاومة فد انتهت في دمشق، فتفزقت الجموع وما تمّ لها شرف الجهاد، ولما استتب الأمر للفرنسيين في البلاد، سعى بعض الوشاة فأبلغوا الجنرال! (غورو) بما صنع، فكان جوابه في حنكته السياسية أن قال!: "إنَّ هذا الأستاذ يُشكر على عمله، لأنه قام بواجب الدفاع عن وطنه " (1).
وكما كان الأمر بالمعروف يأخذ ذاك الطور من الشذة والجهاد حيناً، فقد كان ينزع إلى ضرب من السعي الخيري، والاهتمام بفقراء المدينةَ المنورة

جيران رسول! الله!، فقد كان الشيخ عيسى يجمع المال! من المسلمين كل عام ط ويرسله مع جماعة من أمناء الحج ليوزغ على فقراء المدينة المنوّرة، وقد جعل ذلك ديدنه، حتى إنه قبيل انتقاله إلى جوار ربه اعطى ما معه من أمانات مجبية لهذه الغاية لتوزغَ على الفقراء ولحق بالرفيق الأعلى، كل هذا يضاف إ لى تدريسه الأخلاق في المدرسة الخسروية، ودروسه العامة في المساجد (2).

ثانياً: التعريف بالداعية الرباني الشيخ محمد أبو النصر خلف الحمصي 1292 – 1368 هـ:

هو الإمام الشهير، العالم العامل، والداعية الرباني، شيخ العلماء، وأسوة الدعاة الأتقياء، واحد كبار الدعاة في بلاد الشام ومرشديهم، الذي كانت الدعوة إلى الله تعالى شغله الشاغل، وعمله الدائب، فلم يهدأ عن الدعوة إلى الله في البلدان والأرياف، والبادية والحاضرة، واهتدى على يديه عشرات الألوف، وتاب إلى الله تعالى بتأثيره ودعوِ ته خلق لا يحصون عدّاً، وتحولوا من حال إ لى حال!، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

– نسبه واسرته: هو الشيخ محمد ابو النصر بن الشيخ محمد سليم الحمصي بن خلف بن الجندفي الحسينيئ الشافعيّ، الإمام المرشد العلاَّمة ابن

(1)

(2)

ينظر كلام الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري في مقدمة (ديوان فغ المجيب في مدح الحبيب) للمترجم له بتصرّف واختصار.

المرجع السابق باختصار.

المرشد العلاَّمة، مربي الطالبين ومرشد السالكين.

– ولادته ونشانه: ولد الشيخ محمد أبو النصر بحمص في رجب سنة 92 2 ا هـ، واعتنى به والده عناية فائقة فأخذ عنه مبادئ العلوم والطريق من آداب

وأذكار، وتلقّى عنه التوحيد، وقرأ عليه حاشية الجمل على الجلالين، وإحياء علوم الدين، وبعد أن تحقق من أهليته للإرشاد، أذن له الإذن التامّ المطلؤا، وأجازه إجازة عامة. كما قرأ الصحيحين، وقرأ الفقه الشافعي على الشيخ عبد الغني السعدي، والشيخ محمد المحمود الأتاسي، والشيخ عبد القادر الشيخة، وحضر على الشيخ بدر الدين الحسنيّ البيبإني (1)، في تفسير الإمام النيسابوري، وممن أجازه واستفاد منه الشيخ سليم المسوتي، والشيخ شرف الحق الهندي، والمجاهد أحمد شريف السنوسي.

– صِلاته بعلماء الحرمين الشريفين: وقد تشرَّف بزيارة الأراضي المقدسة، وأداء النسكين في سنة 329 اهـ، ثم في سنة 363 ا هـ، وفي هذه الأخيرة تزاحم عليه الناس كثيراً واقبلوا عليه، وانتسب إليه كثرة لا يحصون، منهم المحدث عمر حمدان المحرسي، والسيد علوي المالكي، والشيخ حسن مشاط، والسيد أبو بكر الحبشي، والشيخ محمد ياسين الفاداني وغيرهم.

– اما تلاميذه بالشام؟ فهم كثرة من الأعلام، منهم: الولي الصالح المرشد الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ محمد الحجّار، والشيخ المجاهد محمد الحامد، والسيد عبد الباسط خلف ابن صاحب الترجمة، والشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني. كما سلك عند الشيخ محمد أبي النص!. كبار

(1)

يقول الباحث: إن الشيخ بدر الدين الحسني البيبانيئ هو من أقران الشيخ محمد ابي النصر، فحضوره عليه إن ثبت إنما هو على منهج سلف هذه الأفة في اخذ الأقران عن بعضهم واعترافهم بفضل كل ذي فضل، وقد حدَّثني بعض المعاصرين للشيخين: انَ الشيخ بدر الدين الحسني أخذ الطريق ايضاً على الشيخ محمد ابي النصر.

علماء حمص؟ منهم: الشيخ حسني السباعي والد الشيخ الدكتور مصطفى السباعي.

– تقواه واستقامته: كان رحمه الله تعالى مستقيماً على الطاعة، صاحب كرامات كثيرة، بلغت مبلغ التواتر، وكان كثير الاوراد والأذكار، لا يترك قيام الليل بحال، كثير القراءة للقرآن، وخاصة قبيل وفاته. يقول تلميذ 5 الشيخ محمد الحامد، رحمه الله تعالى: " إن الفجر ما كان يطلع على الشيخ محمد أبي النصر، حتى يذكر الله ثلاثين الف مرة ".

– اخلاف ويثماظه: كطن رحمه الله تعالى صاحب دعوة مستجابة، لين الجانب، سخيئ اليد، سهل الطبع، رحيماَ بالناس، ومن رحمته أنه ما دعا على احد من الذين كانوا يحقدون عليه ويؤذونه، وكان إذا بلغه عن أحد منهم ما يقوله فيه لا يغضب، ولا يتاثر، بل يقول لمن حوله: " ادعوا له، ادعوا له "، ولا يزيد على ذلك. وكان رحمه الله تعالى متواضعاً، رحيماَ بخلق الله تعالى جميعاً، ليّن القلب، طويل الصمت، طيّب النفس، غزير الدمعة.

وكان يتفقد مريديه، ويزورهم في بيوتهم، ويقبل دعوتهم، ويسافر من أجل رؤيتهم، ويتعزف على أحوالهم، ويسأل عنهم في كل مناسبة. ومن تواضعه انه كان يقدم الطعام لمريديه، ويطعمهم بيديه، ويأكل فضل طعامهم، ويحمل العجين بنفسه إلى الفرن. وكان يحترم العلماء، ويجلّهم ويكرمهم، ويقدمهم في صدر مجلسه ويقول: هؤلاء عظَمهم الله سبحانه فعلينا تعظيمهم.

– شغفه بالدعوة وتاثيره في الناس: وكان رحمه اللّه تعالى طويل الصمت، قليل الكلام، دهاذا تكفم تكلم بكلمات قليلة، يعظ بها الحاضرين، فترقّ القلوب، وتذرف العيون، ويعظم تأثيرها في الناس، فكم تاب على يديه في تلك ا لمجالس خلق لا يحصون عداً؟! وكم عاد بعض الشانئين من خلّص تلامذته ومريديه من مجلس واحد حضره، فأصبح يجفه ويقتفي أثره!.

ويقول عنه تلميذه الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى في مقابلة معه فرب

مجلة (حضارة الإسلام): "ولئن كان مني نفع للامّة، فهو في صحيفة شيخي مسخل".

– أدبه مع الشرع، ودقة اتباعه: وأما أدبه مع الشرع، ودقّة اتّباعه، فقد سمعنا من الشيخ احمد رحمه الله تعالى مراراً، وفي مناسبات عديدة أنّ الشييئ أبا النصر رحمه الله كان لا يرتضي شيئاً من شطح الصوفية، او خروجهم عن ظاهر الشرع وادابه، ولا يقز احدا من أتبإعه خاصّة على قراءة شيء من الكتب التي فيها مثل ذلك، وكإن كثيرأ ما يدعو ا تبإ ع الطرق الذين ورثو! المشيخة عن آبائهم بغير علم، إلى طلب العلم الشرعي برفق، ويحرص على إبعادهم عن كلّ ما فيه مزلّة اقدام، أو مضلّة أفهام.

ولم أرَ أحدا من العلماء في عصره، اجتمعت عليه قلوب العا مة وا لخاصة، والفريبين والبعيدين، وعمّ نفعه وخير 5، وفضله وتاثيره، كما اجتمع ذلك للشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي، في شماليّ بلاد الشام، والشيخ بلر الدين الحسنيئ في جنوبها رحمهما الله تعالى، وأ جزل مثوبتهم!.

ولقد فتح الله تعالى على الشيخ محمد أبي النصر من الكرامات الحسيّة والمعنوية ما روي بالتواتر عمّن عإصره وراَه؟ ولا شك انّ أجلّها تلك الكرإمات المعنوية، التي تعني ما كإن عليه رحمه الله من عطيم الاستقامة والتمسّك بالسنة، والتأدّب بأَداب الشرع، وتشمل التأثير العجيب الذي جعله إدثه لحاله وكلامه في قلوب الناس ونفوسهم.

– يقول الشيخ عبد الحميد طهماز في كتابه (العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد): " واستقامة الشيخ أبي النصر، أجمع عليها كل من رآه وعرفه، رحمه الله تعالى " (1).

(1)

– وفائه: توفي رحمه الله تعالى بحمص وقت السحر من ليلة الجمعة

انظر كتاب (العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد) للشيخ عبد الحميد طهماز، صا 0 2.

25

الخامس من رمضان سنة 368 ا هرحمه الله وأثابه رضاه، وقد انكشف قبر 5 بعد سنة من وفاته، ففاحت رائحة ذكية من قبره الشريف، ورؤي بحالته التي دُفن بها، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يثاء (1).

ثالثاً: صلته بالعلماء والدعاة في عصره، وحبّه للصالحين:

كان الشيخ احمد ولعاَ بححت الصالحين وزيارتهم، ومجالستهم والانتفاع باقوالهم وأحوالهم ومواقفهم.

ومن أهل العلم والفضل، الذين كانت له صلة وثيقة بهم، أقران والده أ و اقرانه من علماء سورية، أو علماء العالم الإسلامي.

فقد كان للشيخ صلة وثيقة بعلماء دمشق وصالحيها، الذين كانوا على معرفة بوالده رحمه الله، يزورهم ويزورونه، منهم:

ا – السيد محمد المكي بن محفد بن جعفر الكتّاني، المولود بفاس عام 312 ا هـ، والمتوفى في دمشق عام 393 ا هـ (2).

2 – الشيخ إبراهيم الغلاييني، المولود في دمشق عام 0 0 3 ا هـ، والمتوفى عام 377 ا هـ (3).

3 – الشيخ ملأ رمضان البوطي، والد الدكتور محمد سعيد رمضان، المولود عام 1888 م، والمتوفى عام 0 1 4 ا هالموافق 0 99 1 م (4).

(1)

(2)

(3)

(4)

من كتاب (تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع)، أو (إمتاع اولي النظر ببعض آعيان القرن الرابع عشر) للشيخ محمد ياسين الفادافي،، ص 34 – 3 5 باختصار وتصرف.

كما في تاريخ علماء دمثق، للحافظ وآباظة: 2/ 9 0 9، وقد سبقت ترجمته في الباب ا لأول.

المرجع السابق: 2/ 687.
ينظر كتاب (هذا والدي) لولده الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

---

4 – الشيخ محمد أبو الخير بن محمد الميداني، المولود في دمشق عام 1293 هـ، والمتوفى عام 1380 هـ (1)، وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى وأجزل مثوبتهم.

ومن المشايخ الذين كان يزورهم في مكة والمدينة، عندما يحجّ كل عام، ويزور المدينة المنوّرة على ساكنها افضل الصلاة والسلام:

1 – الشيخ محمد العربي بن التبّاني السطيفي المغربي ثم المكي، المولا! د في الجزائر عام 1315 هـ، والمتوفى بمكة المكرمة عام 1390 هـ.

2 – الشيخ السيد علوي بن عباس المالكي، المولود بمكة عام 1317 هـ، والمتوفى فيها عام 1391 هـ.

3 – الشيخ حسن بن محمد المشاط المالكي المكي، المولود في م! ء عام 1317 هـ، والمتوفى فيها عام 1399 هـ.

4 – الشيخ إبراهيم بن سعد الله الفضليئ الختنيئ ثم المدنيّ، المولود في تركستان عام 1314 هـ، والمتوفى في المدينة المنوّرة عام 1389 هـ.

5 – الشيخ السمد محمد أمين الكتبي (2). وغير هؤلاء كثير من علماء الحرمين الشريفين ومجاوريهما، من اهل الصلاح والتقوى، وكثير منهم من اهل ود أبيه الشيخ عيسى رحمه الله.

والطبقة الثانية هم العلماء والمشايخ الذين كان يلتقيهم للتشاور فيما يعرض للأقة من مشكلات، على مستوى سورية، أو على مستوى مدينة حلبة

(1)

(2)

تاريخ علماء دمشق: 2/ 1072.

انظر تراجم هؤلاء الأعلام في كتاب (تشنيف الأسماع، بشيوخ الإجازة

والسماع "، جمع الشيخ ابي سليمان محمود سعيد بن محمد ممدوح، وأول ما اتصل سمع الباحث باسم هؤلاء العلماء عن طريق حديث الشيخ احمد عنهم في مجالسه الخاصة، وثنائه عليهم.

27

(27/1)

كالشيخ حسن حبنكة الميداني، والشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ محمد الحامد، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ محمد سعيد البرهاني، ومن حلب: الشيخ محفد النبهان، والشيخ عبد الله خير الله، والشيخ محمد السلقينيئ، والشيخ محمد الثامي. وغيرهم رحمهم الله تعالى، وأجزل مثوبتهم.

– وكان للشيخ علاقة متميزة مع بعض المشايخ، منهم من كان يعد 5 مربرعاً علمتاً له، كالشيخ عبد الله خير الله رحمه الله، وكان فقيهاً من كبار فقهاء الحنفية، وعلى درجة من التفوى والاستقامة، وكذلك شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد بن العلأمة الشيخ إبراهيم السلقيني، رحمه الله، وهو كذلك من كبار فقهاء الحنفية وكان على تفوى واستقامة مشهورة، وتواضع وخشية دلّه سبحانه.

– ومنهم أيضاً شيخْ القراء في مدينة حلب، شيخنا وأستاذنا الشيخ نجيب الخيّاطة الفقيه الحنفيئ، العابد الزاهد، والفرضيئ اللامع، والفقيه الحنفي الشيخ مصطفى مزراب رحمهما الله.

– ومن العلماء مَنْ كان بينه وبين الشيخ اخوّة خاصة، قد تعاهدا فيها على التناصح، ودعوة كل واحد منهما لأخيه بظهر الغ! يب، أذكر منهم العالم العامل، العابد الزاهد، الفقيه الواعظ، الشيخ عبد الله ابن العلأمة! الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله، وهو كذلك من كبار فقهاء الحنفية، كان يزور الشيخ في بعض المناسبات، فيقول للشيخ: "نحن على العهد يا شيخ أحمد.! فيقول له الشيخ كذلك: ونحن على العهد"، وقد فشَر لنا ذلك الشيخ أحمد بالأخوّة الخاصة، والتعاهد على دعاء كلّ منهما لأخيه بظهر الغ! يب.

– ومن المشايخ الذين كان بينهم وبين الشيخ أخوّة خاصة أيضاً: فضيلة أستاذنا العلاّمة، التقيئ الصالح، والفقيه المحدث، الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة رحمه الله.

وقد حدَثنا الشيخ رحمه الله انهما قرأ ا معاً عذة كتب من أمّهات كتب

28

(28/1)

التفسير والحديث والفقه والسيرة، وقد رأينا تعليقاتهما على بعض تلك الكتب،، وم! وشوا به حواشيهما من نفائس الفوائد، وغرر التحقيقات والتصحيحات العلمية الدقيقة.

رحلاته واسفاره:

لقد كانت الرحلة الحبيبة إلى قلب الشيخ كل عام هي رحلة الحجّ والعمرة، كان يراها استجمامأ لروحه، وغذاءً لقلبه، ومغنماً لا يعدله شيء. كأ مغانم الدنيا وبهارجها، يقول في بعض قصائده:

ارضَ الحجازِ فدتْكِ نفسي إنني إذ ما ذكرتِ تحزكتْ أشجاني

لفا وطئتُ ثرى الحجازِ تعلَقتْ روحي به ماذا! هناك عَرَاني.؟

فإذا نزحتُ بكيتُ مِنْ ألمِ النوى متماديأ، وجفا الكرى أجفاني

إني أُكابِدُ في الفؤادِ صبابةً يفنى الزمانُ وما هوايَ بفاني

يا كعبةً ولهي بها هدَ القُوى والبعدُ عن جنباتها أضناني

فمتى أُراني طائفاً متمتعاً متعفَقاً بالشَتْرِ والأركانِ؟ (1)

وكإن يسمع لومإً وعتبأ من بعض الناس، لما يرون من شدّة تعلّق قلبه بهذ5 الرحلة المباركة، فيقول: "وهل هناك آقل من ذلك؟ في السنة كفها نذهب مرّة واحدة؟! اذا كان الإنسان مريضاً يذهب للتداوي لا أحد يلومه أو يعتب عليه، وأنا أذهب منداوياً!.

وكانت هذه السفرة المباركة، التي يحرص عليها كل الحرص، سبيلاً للقائه بالعلماء والدعاة إلى الله تعالى، الذين يحضرون موسم الحجّ من شتى

أرجاء العالم الإسلامي، فيكون الحوار معهم، والتعرّف على اوضاع المسلمين في العالم.

وقد سمعنا منه الكثير عن لقاءاته في تلك الأسفار، وعن مشاهداته، وم!

(1) انظر: مجموعة العبادات، للشيخ أحمد رحمه الله، ص 278 – 4 28.

29

جرى معه من مواقف في التذكير للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا السفر المبارك في حفيقته يغني عن اسفار، ويسد مسدّ التنقّل في البلاد وكثرة الترحال.

– وقد كان الشيخ مولعاً بفطرته بالسياحة، وحث الخروج عن صخب المدينة، والخلوة المؤنسة بالله تعالى تفكراً وذكراً، وتفرّغاً للعلم، وتربية للأسرة، واعتناءَ بها، فكان يخرجُ إلى جبل الأرب! ن في الصحيف (1)، فيقضي اكثر اشهر الصيف مع أسرته، وينزل كل اسبوع إلى (حلب) لخطبة الجمعة، وقضاء بعض المصالح، فحظيت بذلك اسرته من تربيته وعنايته الشيء الكثير، ولكنه عندما فتحت عليه الدعوة ابوابها، وعظمت مسؤولياته الدعوية في رعاية الشباب، والإشراف على برامجهم العلمية والتربوية، انقطع عن هذا المصيف، وشغل بمختمات الشباب التربوية، التي كان يقيمها سنوياً، ويشرف عليها بنمسه.

مرضه ووصيته ووفاته، وجنازته ودفنه:

إنَ كل مَن كان يعرف الثيخ عن كثب من إخوانه ومحبّيه، ويرى ما كان يتمتع به من حيوية ونشاط وهفة وفتوّة، يتصوَّر أنه يعيش عمراً مديداً، وأنَّ حط الأمة في مثله مذخور وافر، ولكنّ الأعمار المقدَرة لا تقف دونها صحّة أو فتؤة، أو شباب وقوة.

وفي لقاء من اللقاءات مع الثيخ بعد الفجر، في أواخر جمادى الأولى! ن عام 1395 هـ، بدت على وجه الثيخ مظاهر الوهن، فشكى ما يحسّ من آلام

منذ أيام، فاختصرنا لقاءنا، ثم التقينا 5 بعد ذلك، فحدَثنا أنه زار بعض الأط، ء الذين يثق بهم، وحذَثهم بشكواه، فوصفوا له بعض العلاجات والمسكنات، ثم ازدادت شكوى الشيخ، حتى أقعدته اَلامه عن القيام بالخطابة والتدرير واللقاءات مع إخوانه، وتوقف كذلك عن النشاطات العامة التي كان يقوم بها، (1)

وهو مصيف قريب من مدينة (حلب).

30

(30/1)

ووكل بالخطابة والتدريس بعض إخوانه، ثم اشتد به المرض، فنقل إ لى عمّان، وأشرف الدكتور قنديل شاكر – وهو من خيرة الأطباء المختصين – على علاج الشيخ، واعتنى به غاية الاعتناء، ثمّ أخبر أولاده أن مرضه هو السرطان في الدم، ونقيّ العظام، وعندما استكمل التحاليل، ولاحظ سير الدواء، نصحهم بالعودة به إلى (حلب)، فلا حيلة للطب وقتئذ في علاج هذا المرض، كما أكّد عليهم أن يزيدوا من العناية بالشيخ: الأنه يعاني في مرضه من آلام مبرّحة، لو علم بها عدوه لأشفق عليه، ورق لحاله).

وضرب الشيخ في مرضه مثلاً رائعاً في الصبر والجَلَد، وتحضُل الاَلام الشديدة، والبعد عن الشكوى احتسإباً دئه تعالى، ثم إشفاقاً على أهله و أولاده، لإخوانه ومحبيه.

وكان كلّ من يعوده يشهد اَثار الاَلام المبرحة على وجهه، وفي وعكات جسده، الذي يرزح تحت وطأة المرض ويئنّ، ولكنّك لا تسمع منه إ لا كلمات الرضا عن الله تعالى، والثناء عليه سبحانه.

وكان يُطمئِن إخوانه ومحبيه، عندما يسألوه عن حاله، فيجيبهم بقوله:

"سنطيب ان شاء الله "، وكأنه كان يوزي بذلك عن انتقاله من هذه الدار إ لى الدار الاَخرة: " وَثلأَخِرَةُ ضئرلكَ مِنَ اَ لأوكَ "] الضحى: 4).

وكان مع شدة مرضه، لا يقرّ امامه أية مخالفة شرعية، فكان يشيرُ إشارة

مفهومة، لإنكارِ ما يراه مخالفاً للسنة؟ فإذا رأى بعضَ مَنْ حوله، يشرب بشماله، يشير إليه ان يشرب بيمينه، وإذا أراد بعض أهله أن يلبسه ثوباً، وقدم له الكم الشمال امتنع عن تقديم يده، ولم يقدم إ لا يمينه، مما يدلّ على حرصه على السنة، وتمسّكه بها رحمه الله حتى في أشدّ حالات مرضه.

ثم كتب الشيخ وصيته الثانية وختمها، وكلَّف من حضر من أولاده أن تبلّغ لولده الشيخ محمد أبي النصر، ولا تفتح إلا بعد وفاته رحمه الله (1).

(1)

وسنعرض في الفصل الثاني من هذه الدرايسة بإذن الله هذه الوصية، ونماذج –

31

(31/1)

ومع بداية شهر ذي الحجة من عام 395 ا هـ، بدت حإلة الشيخ الصحب" توحي بقرب المنئة، فضعف الجسم يزداد، والآلام تتضاعف، والقو 5 على الحركة لم تبقَ منها إلا ذبالة، ولكن السمع والبصر، والعقل والفؤاد، كل ذلك كان بقوته وسلامته.

وجإء يوم الجمعة السابع عشر من ذي الحجة من عام 395 ا هـ، وصلّى الشيخ صلاة الفجر في فراشه، ثم اضطجع ونام قليلاً، ثم استيقط ضحًى وجلس، ثم جإءته حإلة غريبة، فوقف أهله وأولاد 5 الحاضرون مذهولين، ا ذ انبعثت من داخل جوفه كلمة: " الله "، بصوت قوي مسموع، وكان صوته مختفياً مدة مرضه، لا تسمع منه إلا همساً خفيفاً، فما زال يكرر هذ 5 الكلمة العظيص4 الجليلة، بمثل هذا الصوت، ويتحرك بها صدره بقوة، أكثر من نصف ساعة، ثم انقطع صوته فجأة، وسكنت أ طرافه، وفإضت روحه إ لى بارئها.

فسارع أحد أولاده إلى استدعاء الطبيب، فعلم الطبيب من أوَل نظرة، آقَ الروح فإضت إلى بارئها، فأقبل على أولاده يواسيهم ويعريهم، ويض! ف من مصابهم، وطار الخبر، وبلغ إخوان الشيخ وأحبابَه، فكان وقع المصيبة عظيماً.

وازدحم المحئون في جإمع ابي ذر، صباح يوم السبت، تبدو ع!!

وجوههم لوعة الحزن والأسى، لقد كانوا يشعرون ان ففد آبا ئهم وأمهاتهم أخف وأهون من هذا الرزء الفادح، والخطب الأجلّ. . وغصّ المسجد بالوافدين، وسُجي الشيخ بعد تغسيله في مجلس المكتبة: (الليوان) (1)، ودخل إخوانه (1)

أخرى من وصاياه رحمه الله.

وهو مجلس كبير له في النفس ذكريات عبقة، إذ طالما شهد لقاءات الثيخ لإخوانه، وطالما عقدت فيه مجال! العلماء، الذين كانوا يجتمعون بين الحين والآخر مع الثيخ رحمه الله تعالى، ليتدارسوا أوضاع الأمة، والمشكلات الاجتماعية الطارئة، ويصدروا عن رأي واحد، وهو المجلس الذي شهد الإحياءات في مختلف المناسبات.

ومحثوه، ليلقوا عليه نظرة الوداع قبل الصلاة عليه ومواراته في الثرى.

وكُشف عن وجهه، فوالله لم أرَ ميتاً قبل ذلك اليوم، يأنس به الحيّ، كما رايت الشيخ رحمه الله، كإن كأنه يبتسم ابتسإمته المعهودة، التي لم تكن لتفارق وجهه ومحيّاه.

ثم دخلت بنات الشيخ ومحارمه يودعنه، وتجلّت تربية الشيخ الإيمانية لأهله وبناته، إذ لم تصدر منهن اية مخالفة، أو تجاوز لحدود الشرع، لقد اعتصمن بالصبر، واحتسبن الأجر، ولم تتكلم إ حداهن إلاّ بما يرضي الله تعالى.

ثم حُملت الجنازة قبيل العصر إلى جامع (بان قوسا)، وازدحم المسجد بالمشئحين على سعته، وسعة فنائه الخارجيّ، وتوافد العلماء والمشايخ من مدينة حلب وسواها من المحافظات.

ثم حُملت الجنازة على اكتاف إلى مقبرة الأعرابيّ، فكانت كلّما سارت خطوة انضم إليه! بضع مئات من الناس، حتى أصبح المشيّعون كتلة متراصة من الناس، أؤلها في مقبرة الأعرابي، ونهايتها في جا مع (بان قوسا)، الذي يبعد عن

المقبرة حوالي ثلاثة أكيال.
ثم دُفن الشيخ رحمه الله تعالى، فأحسسنا أنّ قلوبنا دُفنت معه، واحتبست الحسرة والزفرات بين الضلوع: ف" إنا لِلهِ وَاتاَ، فِي رَجِعُونَ"] ادقرة: 6 5 1،.
وداعاَ ايتها النفس المطمئنة! " يَ! يئهُا اَلنَفْسُ المُظعَينَةُ اص؟ ا أرجِىَ اك رَبّك رَاضِيَةَ ثَهْئة 8% بم فَا ط فِي عِئدِى ز9.%ا وَاَ ظ جَئِى! 1 ا لفجر: 7 2 – 0 3،.
اللهئمَ! لا تحرمنا بفضلك أجره، ولا تفتنا برحمتك بعده، واغفر لنا وله.
أولاده وأبرز تلامذته:
–أما أولاده: فقد وُهب الشيخ أحمد من الأولاد اربعة عشر ولداً، بقسمة متساوية بين الذكور والإناث، توفي منهم ذكر وانثى وهم صغار، ثم هز–دتى أنثى بُعيد وفاته من زوجته الثانية، وقد بشّر زوجه بها، وسمّاها: (هبة الرحمن)،
33

(33/1)

وهو في مرض وفاته، فكان مجموع أولاده الذين توفي عنهم ثلاثة عشر.
وقد اعتنى الشيخ بتربية أولاده عنايةً كبيرة؟ فحرص على توجيه الذكور إلى طلب العلم الشرعيئ، ليكونوا علماء دعاة إلى دين الله، فنسبهم إلى الثانوية الشرعية بعد المرحلة الابتدائية وكان يسمع من بعض الناس عتباً في ذلك:
"لماذا كل الأولاد تريد أن تخرّجهم مشايخ؟ إ" فكان يجيب بقوله: "إنَّ كلَّ صاحبِ مهنةٍ شريفةٍ، رفيعةِ القدر بين الناس، يعتز بمهنته، ويريد أن يكونَ أو لاده مثلَه، فالطبيبُ يريد لأولاده آن بكونوا أطبماء، والمهندس يريد لأولاده أن يكونوا مهندسين، فلماذا لا يريدُ طالبُ العلم لاولاده أن يكونوا مثله؟! وإذا لم يكن آولاد المشايخ مشايخ، فمَن يتوخه الى طلب العلم الشرعي؟! ومَن أحق بذلك منهم؟! ثئم ما آحوج الأمة إلى طلاَّب العلم، الدعاة إلى دين الله تعالى على بصيرة، ونحن نرى العلم الشرعبئ يقل بين الناس، والجهل يفشو يوماً بعد يوم! "
واما بناته: فقد صرف الشيخ جزءاً كبيراً من وقته لرعاية بناته وتعليمهن، فنالت ابنته الكبرى من ذلك قدراَ كبيراً من عنايته، حتى أصبحت

داعية للنساء، وواعظة مؤثرة، فكانت تنوب عن والدتها في إقامة الدرس الأسبوعيّ للنساء، وقد اهتدى على يديها بفضل ال! هـ تعالى كثيرات، وا (تزمن الحجاب الشرعيئ، وحافظن على فرائضهنّ وواجباتهنّ.

وحرص رحمه ال! هـ على اختيار الأزواج الصالحين لهن، وكان يؤثر طالب العلم على من سواه، فزؤج أكثرهنّ لطلأب علم، لا يملكون شيئاً من متاع الدنيا، فأحيا بذلك سيرة السلف الصالح، وقدم النموذج العمليّ من نفسه، ليكون للمتقبن إماماَ.

وآما ابرز تلاميذ الشييخ رحمه الله: فمثل هذا الأمر يعسر فيه الإحاطة والاستقصاء، لأن الذين تاثروا بالشيخ في مختلف مراحل عمله التعليميئ والدينيئ والدعوفي، ويعدّون أنفسهم من تلامذته لا يحصيهم عدّ، ولا شجمعهم ذاكرة، وبخاضة في مرحلة عمل الشيخ في الثانوية الشرعية، التي هي مورد طلاب العلام ومنبتهم، ومعقل العلماء وحصنهم، وحسبُ الشيخ فضلأ وذكراً

أنه كان يمثل مدرسة دعوئة تربوية احيت كثيراً من المفاهيم الإسلامية التي كانت غائبة عن فكر الناس وواقعهم، واضلت كثيراً من الحقائق الإيمانية والدعوية التي حجبتها سحب الغفلة والنسيان.

مكانه الشيخ احمد بين العلماء:

وتتج! ى لنا مكانة الشيخ احمد رحمه الله بين إخوانه من العلماء في بدّه جوانب، أهقها:

ا – مشاركته في لقاءات العلماء، على مستوى مدينة حلب، وعلى مستوى سورية، فيما يعرض من امور تقتضي ذلك، وكان إيجابيّاً في ذلك مسارعاً.

2 – نشاطه في راب الصدع وجمع الكلمة، والدعوة إلى عقد اجتماعات العلماء، وقد كان الإيوان في جامع ابي ذر موئلاً لهم، يلتقون فيه في كلّ

مناسبة، ولهم فيه ذكريات لا تُنسى.

3 – ثناء علماء عصره عليه، واشادتهم بتقواه وصلاحه، وحكمته في الدعوة وتأثير 5، وسنذكر طرفاً من ذلك فيما يأتي بعون الله.

– ثناء الناس عليه، وشهادتهم فيه؟ ورئاؤهم له: ما أكثر ما سمعنا من مدح المادحين للشيخ من ذوي الفضل والعلم، والتقى والصلاح.

وإنَ من عاجل بشرى المؤمن في هذه الحياة الدنيا، أن تنطلق أ لسنة الخلق بالثناء عليه، وأن يوضع له القبول! في قلوب عباد الله الصالحين، مما يبشره بمحبة الله له، وقبوله عند 5، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح.

يقول! رحمه الله فيما كتب من سيرته الذاتية "شهادات:

1 – دعاني والدي رحمه الله تعالى مزة، وسألني أن افزَج عنه كرباً، فاستجبتُ سريعاً، فأمسك طرف ساعده الأيسر بين سبّابة اليد اليمنى، ابهامها، وقال!: " يا آحمد! ذزات جسمي راضية عنك ".

35

(35/1)

---

2 – وحدَثني الشيخ محمود سليمان القدسيّ رحمه الله تعالى، وكان عظيم المحثة للوالد رحمه الله تعالى، فقال: (كنتُ خارجاً مع والدك من باب السلام، في المسجد النبوقي الشريف، فقال لي: " ولدي آحمد فاقني بمراتب ").

3 – وكنتُ مزَة في حمص، مع رجل من حلب، فجلسنا مع الشيخ رحمه الله تعالى، في صحن زاويته، فمزَ على البعد طفل من أحفاده، وكأنه رآ 5 متكشفاً، فصاح به زاجراً، ثثم قال: "واللهِ ما آحدٌ اليومَ حفظَ دينَه، مثل الشيخ احمد".

4 – وكنّا مزة عند الشيخ في حمص، فذهب بنا إلى زيارة رجل من أهل الفضل، ولفا استقز بنا المجلس، قال الشيخ رحمه الله تعالى للرجل: "هؤلاء من حلب، يعتقدون بابي النصر، وكل واحد منهم يعدل خمسين رجلاً مثل أبي النصر "، وهذ 5 شهادات كريمة، أرجو خيرها في ديني ودنياي واَخرتي، إن شاء

الله تعالى " (1).

5 – ومن الشهادات: شهادة والد 5 رحمه الله به، كما جاء في كتابه: (فتح المجيب في مدح الحبيب) (2): ". . . وبعدها بأيام – أي: بعد رؤيا رأى المؤلّف فيها السيد احمد الصياد الرفاعي، وكان واسطة في إدخاله على الفبيئ! لجييه – ولد لي مولود، فسمَيته أحمد، ولقبته بالصياد، وعز الدين، وكنّيته ب (أبي عليّ)، وهو الان في سن الثلاثين من عمره، عالم عامل، موفق، كثير الرؤيا للنبي ع! ي!، والحمد لته على ذلك ".

6 – وحدثني الشيخ رحمه الله تعالى في معرض ردّه على بعض مَنْ ينتقصه: إن والد 5 الشيخ عيسى رحمه الله، تكفم في مجلس من مجالسه العامّة، وتعزض لذكر تم! ك ولده الشيخ أحمد بالسنّة، فأثنى عليه خيراً، وقال بالحرف

(1)

(2)

انظر ما جاء في كتاب الشيخ: (مراحل حياتي بفلمي).

ص 93 1.

36

ا لواحد: " ولدي أحمد أفضل مئي " (1).

7 – ومن الشهادات: شهادة صديقه الحفيئ الوفيئ، الشاعر الكبير، والمفكر الأديب، الأصتاذ عمر بهاء الدين الأميري؟ يقول رحمه الله (2)، وهو يتحدّث عن فضائل الشيخ عيسى رحمه الله ومآثره: " وهناك أثر اجتماضي هام، خففه الشيخ عيسى رحمه الله، وعنصر حي، ذهب وهو مسرور بأنه لا يزال حياً، ذلك نجله الكريم النجيب، الذي لا يشك ذو نظر آنه سيفوق أباه في علمه وعمله إن شاء الله، فقد هذّبه فأحسنَ تهذيبه، وثقفه وعفمه، فأشرقت بدايته. . ولا عجب، فقد قال ابن عطاء الله رحمه الله: "إذا أشرقتِ البداياتُ أشرقتِ النهاياتُ ". . وإني لأذكر ان دار الأرقم التي كثر ما سمعتم عن الحلقة الخاصة

التي انبثقت عنها؟ كان من اول أركانها الأخ الأستاذ احمد، نجل الشيخ عيسى رحمه الله ".

8 – ومن الشهادات: شهادة فضيلة أستاذنا الدكتور، الشيخ نور الدين عتر كما جاءت في كلمة الوفاء التي ادلى بها بعد وفاة الشيخ رحمه الله في جاهح أبي ذر، فكان مما قال:

". . . إن مصاب الناس اليوم، وفاجعتهم فادحة، حيث فقدوا! إماماً وقدوة، كان يحمل منهجاً، يمثل التم! ك بالحق والحرص على الحقّ مهما كانت الظروف، حتى مع أحمت الناس إليه، لقد كان أستاذنا الجليل رحمه الله تعالى إنساناً مرئياً، قل أمثاله في هذا الزمان، كانت التربية النبويّة هدفه ومقصده، وكان يسلك في هذا تخطيطاً جميلاً، وبنّا" وتربوياً.

وعندما شرُفت المدرسة الشرعئة الخسرويّة (الثانوية الشرعية بحلب ط) بإدارته رحمه الله بعث النشاط الخامد، وحزك الطافات الشائة التي كانت ميتة مهجورة، فإذا به يثير في هؤلاء الطلاب الصغار دوافع الحماس والنشاط،

(1)

(2)

وانظر ايضاً ما جاء في كتاب الشيخ: (مراحل حيا تي بقلمي).

كما جاءت في مفدمات كتاب: (فتح المجيب في مدح الحبيب)، ص 16 – 17.

37

فواحد منهم يبادر يكتب مقالاً إسلامياً، واَخر يُعذ خطبة، وهذا يُعدُّ كلمة، وذلك يدئج قصيدة، وكل هؤلاء يرون الرعاية والتشجيع، ويرون التحميس والتحفيز. . . " (1).

9 – ومن الشهادات: أبيات لفضيلة أستاذنا العلاّمة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا رحمه الله تعالى في الثناء على الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني بعد عودته من الحج:

ليهنِكَ ائها الأستاذُ حَجٌ كسبتَ به رِضا الرّبِّ الكريم
قَضيتَ بما سَعيتَ أجل فَرضٍ وأُبتَ اليومَ بالأجرِ العظيمَ
تُبادِرُ في شَبابِكَ وَاجباتٍ وذا مِنهاجُ كلِّ فتًى حَكيمِ
وأفضلُ نعمةٍ تُرجى شَبابٌ يكونُ على صِراطٍ مُستقيمِ
وَهَلْ لِلثاشيئنَ صَلاحُ سَيرٍ بِغَيرِ سُلوكِ أُستاذٍ قَويمِ
إذا قَادتْهُمُ الأفعالُ سَارُوا مَسيرَ البَدْرِ في قلبِ الغُيومِ
ضَربتَ بطاعةِ المولى مِثالاً لنا وعُرفتَ بالدِّينِ السَّليمِ
يُطابِقُ فِعْلُكَ الأقوالَ فينا وتَقوى اللهِ نِبراسُ العَليم
وتَقوى اللهِ عِصمةُ كُل سَارٍ ومِفتاحُ النَجاحِ المُستديمِ
مابكَ عِيدُنا فَالبِشْرُ فين! كَبشرِ النَبتِ بالغيثِ العَميمِ
عَواطفُ أحمد صِيغتْ عُقُوداً لأحمدَ خير أشاذٍ كَريمِ (2!

10 – ومما سمعت من شهادة بعض طلاب الشيخ رحمه الله تعالى، شها–ة

(1)

(2)

نقلت هذه الكلمات باختصار من الشريط المسخل في حفل أقيم في جامع أبي ذر، بعد وفاة الشيخ رحمه الله تعالى.

هذه الأبيات نظمها فضيلة استاذنا العلاَّمة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا رحمه الله تعالى، ووصلت للكاتب بخط ناظمها، وقد كتب في ذيلها: "نظمتها لابن أخيئ آحمد في 5 محرم 1362 هـ، الموافق 11 كانون الثاني 943 ام، لينشدها في المدرسة على أثر عودة أستاذنا فضيلة الشيخ أحمد البيانونيّ من الحج ".

38

(38/1)

الشيخ الدكتور أبي حمزة، حسين قاسم –حفظه الله – فقد سمعته أكثر من مرّة يقول!: "إنَ فضل الشيخ أحمد علينا لا يمكن أن ننساه أبداً، وإن ما نلنا من خيرٍ في حياتنا يعود بعد فضل الله تعالى إليه رحمه الله، لقد حدب علينا 5 إحاطنا

برعايته وعنايته، ووضع أقدامنا على طريق محبّة العلم الشوعي، والحرص عليه، وكنا قد قدمنا من الريف، فشعرنا بالضياع في جؤ المدينة وصخبها، ومغرياتها ومفاسدها، وتياراتها المتعددة، وكدنا ان ننزلق لولا لطف الله تعالى بنا، وما هيّأ لنا من رعاية الشيخ أحمد رحمه الله وأجزل مثوبته " (1).

1 1 – ومما سمعت من شهادة استاذنا طاهر خير ا ل! هـ رحمه ا لله تعالى:

"ولقد كان الشيخ احمد رحمه الله خير عونٍ لإصلاحِ جوانبِ الخلل والفساد الذي كان ضارب الأطناب في الثانوية الشوعية، وكان عمله معي في الإدارة ميدان اختبار دقيق لشخصيعه الإدارية، وحنكته وذكائه، وحكمته وبُعد نظر 5، وبالأخصّ كان ميداناً لاختبار قدرته على قيادة الفئات المتنافرة، والاتجاهات المختلفة، وكان نجاحُه في ذلك منقطع النظير، وفوق ما يتصور الإنسان، أو يطمح. . والسؤ في ذلك ما كان يتمتعّ به الشيخ أحمد من إخلاص في عمله، وتجزد عن حظوظ نفسه، وهمّة عالية في ضبط الأمور ومتابعتها، وانا أشهد أني ما لحظتُ عليه يوماً من الأيام اندفاعاً لغرض شخصيئ، أو حظّ نفسي، أو تذكير بأمر ليس من مرضاة الله تعالى، لقد كان الشيخ قويّاً أميناً في تحقل المسؤولية والنهوض بأعبائها.

لقد عرف الطلاب عنه الحزم والعزم في تطبيق النظام ومتابعته، فأحبو! الشيخ أحمد من قلوبهم، واستجابوا لشدّته، وتطبعوا بالنظام الذي أراد لهم أن يلتزموا به، لأنهم ادركوا من صميم قلوبهم، انه يغار عليهم، ويسعى

(1)

وقد سمعت منه هذه الكلمات عندما عدناه في مستشفى الملك خالد بجدّة، ومزة أخرى في بيته بمكّة المكرمة بصحبة بعض أهل العلم بتاريخ 16/ 4/ 1415 هـ.

لمصلحتهم، كما يغار الوالد على أولاد 5" (1).

2 1 – شهادة ا لأستاذ الفاضل احمد كرزون حفظه الله ورعاه:

"كان الشيخ احمد البيانوني رحمه الله يتّصف بالتواضع، فكان يختلط بالناس، ويأتي إليهم في اسواقهم ومتاجرهم، ويشتري حاجاته بنفسه، يمشي، وحده دون مرافقين له، ودون ان يستعين بأولاده الشباب، أو أحد محبّيه وتلامذته، فيسفم على الناس، ويرحب بهم ببشاشة، ويذكّرهم ويعظهم، ويسأل عن أوضاعهم ويعا لج مشكلاتهم ".

" درس عندي في الثانوية العلمئة التي كنتُ صاحبها ومديرها، فكان بحقّ مدرّساً ناجحاً في أسلوبه وضبطه، ومحبّة الطلاب له، وحرصهم على حضور دروسه، وكان يبذل قصارى جهد 5 في عمليّة التدري!، ويجمع معها الإرشاد والتوجيه بما يأتي من شواهد ونصوص يقرّرها على الطلاّب، وبما يوزعّ على الطلاب من كتب هادفة من مكتبة الثانويّة لتلخيصها كواجب للتعبير، مما حصان له الأثر الكبير في حُسن توجيههم ورعايتهم ".

"وقد أكرمني الله بصحبة الشيخ في سفر الحجّ، وكانت معه زوجته وابنته، فكنتُ معجباً بالأدب الإسلاميّ الرفيع، وخلق الحياء الفاضل الذي تمتزت به أهله، إذ لم نسمع منهنّ صوتاًاو كلمة خلال هذه الرحلة المباركة بطولها، وكن يلتزمن بحجابهنّ المتمئز الساتر لجميع ا طراف البدن، حتى خلا (ط فتراب الاستراحة للصلاة أو الطعام، مما يعطي المثل الرائع عن العلماء والدعاة عما ينبغي ان يكونوا من التربية الأسريّة السليمة، والتطبيق الأمثل لآداب سرعنا اكمل. . . وخلال تدريسه لنا لمناسك الحبئ اشار إلينا بلطف ولباقة، وبأسلوبه الفريد في الوعظ والتذكير ان نصطحب معنا هديّة مناسبة، يُسرُ بها من

(1)

باختصار من مقابلة خاصة مع الشيخ طاهر خير الله رحمه الله في بيته في المدينة المنورة، قبل وفاته بسنتين.

نقوم بزيارته كما هي العادة، وخير هدية نصطحبها معنا عند زيارة الحبيب –! هيه أن نطلق لحانا لنكسب رضا الله ورسوله! يم، وتكون محبّتنا في القلب والقالب. . . " (1).

13 – شهادة الأستاذ المرشد الكبير الشيخ محمد بن أحمد الهاشميّ (1298 – 381 اهـ، الموافق 1880 – 961 ام) بالشيخ أحمد رحمهما إدته تعالى، وثناؤ 5 عليه (2):

وهي مما سمعته من الشيخ أحمد، فقد حدثني رحمه الله أنه بعد وفاة الشيخ محمد ابي النصر ابن الشيخ محمد سليم خلف، رحمهما الله تعالى أحسّ باليتم بعد 5، وكان فقده عليه أشد من فقد الوالد، فبحث عن شيخ يلازمه، وينتفع بصحبته، وكان الشيخ قد سمع بالشيخ محمد الهاشمي رحمه اللّه فقصده في دمشق، وحضر مجلساً من مجالسه، ثم تفدم إليه وسلّم عليه وعزفه أنه من حلب، وأنه من تلاميذ الشيخ محمد أبي النصر رحمه الله، يطلب دلالته على شيخ يلازمه، وينتفع بصحبته بعد وفاة شيخه، فقال له الشيخ محمد الهاشمي رحمه الله: "أدلّك على ولد الشيخ عيسى رحمه الله، فقد سمعنا عن صلاحه وتقواه. . . "، فابتسم الشيخ، وقال له: "لقد دللتني على ضعيف "، وفهم منه الشيخ محمد الهاشمي رحمه الله أنه ولد الشيخ عيسى، ففال له: "أنت ولد الشيخ عيسى رحمه الله؟ " وعإنقه ودع! له بخير.

فأجَ عليه الشيخ رحمه الله فقال له: "أنت فيك البركة والخير، فالزم ما أنت عليه ".

(1)

(2)

باختصار يسير من شهادة خاضة، تكرم بكتابتها الأستاذ الفاضل بطلب من الباحث، فجزاه الله خيراً.

انظر ترجمته رحمه الله في كتاب: (تاريخ علماء دمشق)، للحافظ وأباظة: 2/ 747.

وكان الشيخ أحمد رحمه الله يعلّق على هذه الحادثة بقوله: " والله لو أن الشيخ محمد الهاشمي رحمه الله يومها دئني على شبخ لذهبت إليه ولزمته ".

14 – شهادة الأستاذ الجليل، والحافظ الفقيه الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت (1 131 – 1389 هـ، الموافق 1892 – 1969 م) بالشيخ أحمد رحمهما الله تعالى وثناؤه عليه (1):

فقد حدَثني الثيخ أسعد صاغرجي وهو من طلاّب العلم في دمثق ممن تتلمذوا على فضيلة الأستاذ الثيخ عبد الوهاب دبس وزيت رحمه اللّه وأخذوا عنه الفقه، ان الثيخ كان كثيراً ما يذكر لهم الشيخ أحمد رحمه الله، ويقول لهم: "ان هذا الشيخ اسفيه شيخ الصدق "، ويثني لهم على صدق الشيخ وتقوا 5.

15 – ومما قيل في رثائه من الشعر، ما قاله الأستاذ ضياء الدين الصابوني في لقاء في جامع أبي ذر، بعد وفاة الشيخ رحمه الله، وهو ممن عرف الشيخ في حفه وترحاله، وصحبه في سفره وحضره، وعرف عنه الكثير، وأحبّه وتأثر به، وكان يحضر مجالسه، فينشد فيه! اشعاره، فيسرّ بها الشيخ، فقد رثاه بقصيدة أكثر من ثلاثين بيتأ، ومما جاء فيها (2):

طأطئ الراسَ خاشعأ لجهاور فهوَ رمزٌ للدينِ من أوتادِهِ
كمْ أحست الشبابَ حنأً كريمأ ورعهاهم، بحبّه وفؤادِ5
وهو يمتازُ بالتواضُعِ والحلْمِ يضخي للدينِ في إسعاول
فعلى ثغرِ 5 ابتسامةُ بِشْرٍ ويفيضُ الحنانُ من أبرادِهِ
يتولى غراسَها بيديهِ ليرى جَنْيَها بيومِ حصادِهِ
هو خطبٌ على البلادِجليلٌ هذَرُكنَ الدينِ من أطوادِهِ
يُنْزَعُ العلمُ بانتزاعِ رجالٍ حملوهُ قد صحَّ في إسنادِهِ

(1)

(2)

انظر ترجمته في المرجع السابق: 2/ 9 82.

وقد نقلت من الثريط المسخل في تلك المناسبة.

–واما ما رؤي به من رؤى صالحة، وما رؤي له من بشارات، فهي أكثر من أن تحصى وتحصر، سواء أكان ذلك في حياته، أم في مرض وفاته، أم بعد وفاته، وقد سجَّل في خاتمة كتاب والد 5: (فتح المجيب في مدح الحبيب) جملةً من الرؤى الصالحة التي رآها أو رئيت له، وكان يحدِّثنا في بعض المناسبات بمثيلاتها تنشيطاً للهمم، وتثبيتاً على طريق الحقّ والهدى.

– ومن اجمل الرؤى التي رؤي بها بعد وفاته رحمه الله، رؤيا فضيلط أستاذنا الشيخ محمد العؤامة حفظه الله، يقول: " رأيت الشيخ أحمد رحمه الله بكامل هيئته وملبسه ونشاطه، قد نزل من جهة بيته متّجها نحو باب ألحديد، وكاد يصل سور الباب، فسلّمت عليه، فرحَّب بي كعادته في حياته فسألته – وأ نا اعلم انه قد توفّي –: ما حالكم يا سيدي؟ فقال بغبطة وسرور هذه الكلمات الثلاث بحروفها وترتيبها: اعطاني، واكرمني، ومتّعني بالنظر اليه " (1)، رحمه الله تعالى واجزل مثوبته.

(1)

لأ!!

من شهادة خاصة تكرم بها فضيلة أستاذنا محفد العوّامة حفظه الله بطلب من الباحث.

43

المبحث الثاني

نشاطاته او حياته العَمَليَّة

وميادينها التعليمية والدعوية والاجتماعية

هيّأ اللهُ للشيخ أحمد رحمه الله في التعليم ميداناً رحباً، فعمل في بيئالت،

متعددة، ومجالات متنوعة، فعُتن في الريف مدة ثماني سنوات، ثم عمل في المدينة مدة تقاربها في إدارة الثانوية الشرعية بحلب، ثم انتدب إلى العمل في المعهد العربي الإسلامي – وهو من المدارس الأهلية الخاصة – ثم قضى متفرقات حياته التعليمية بين عدة إعداديات وثانويات في حلب إلى أن طلب الإحالة على التقاعد عام 1968 م، حرصاً منه على التفرّغ لشؤون الدعوة، ورعاية إخوانه وتوجيههم.

ولئن كان سببَ تنقلاته من مدرسة إلى أخرى كيدُ بعض أعداء الإسلام له أحياناً فقد كان فيها نفعٌ كبير، وخيرٌ عميم، ورُبَّ ضارة نافعة، والمؤمن كالغيث حيثما وقع نفع.

كما أن الشيخ رحمه الله لم يقتصر عمله على مجال واحد من مجالات التعليم، وهو التعلم المدرسي الذي تأهل له بحكم دراسته، وإنما عمل في ميدان اجتماعي ارحب واطلق، يتصل فيه بفئات المجتمع كلها، ويلتقيها ويخاطبها، ألا وهو التعليم الديني في ميدان الخطابة والإمامة.

ثم دخلت حياته رحمه الله في طور جديد، عندما دخل مرحلة: العمل الدعوي والتربية الدعوية، فانطلق في تأسيس الجماعة، على المنهج ا ارزي اَه ش به، وعاش حياته داعياً إليه.

44

(44/1)

---

1 – نشاطه التعليمي:

تخرَج الشيخ رحمه الله في دار المعلمين عام 931 أم، وكان النظام يفرض أن يخدم المعقم الجديد في الريف سنتين قبل أن يحدّد موقع عمله في مدينته، فقضى في الريف ثماني سنوات كاملة، متنقّلاً من مدرسة إلى أخرى، وكان الشيخ يعد هذه المدة المديدة من نِعَمِ الله عليه، إذ هئأ له هذه العزلة عن المدينة وجوّها، ليوجّه قلبه إلى ما أراد به من الخير، وليتيح له مرحلة الوين العلمي الشرعي (1).

ثم انتقل بعد ثماني سنوات من العمل في الريف، إلى التدريس في مدينة حلب، ولمع نجمه مدرّساً ناجحاً، فنقل من ملاك التعليم الابتدائي إلر! التعليم الثانوي، فعمل في عدة إعداديات وثانويات، وكان تأثيره واضحاً في نفوس طلابه كم! كانت حظوته عالية لدى مدراء المدارس التي عمل فيها، تسند إليه المهمات الإدارية التي تحتاج إلى الكفاية والخبرة، ويرجع إليه الإداريون في المشورة، وحلّ المشكلات.

وكانت شخصيته المحببة تفرض احترامه وتقديره حتى في قلوب مخالفيه، وبعد عودة الشيخ من الريف بثلاث سنوات اي في عام 363 أهالموافق 943 ام توفي والده الشيخ عيسى، فعظم مصاب الشيخ به فاتّجه بهمّته إلى الشيخ محمد أبي النصر، وحرص على ملازمته والانتفاع بصحبته إلى أن توفي الشيخ محمد أبو النصر عام 368 ا هالموافق 948 1 م.

– وفي مجال التعليم المدرسي: شارك الشيخ في وضع مناهج التربية الإسلامية وتاليفها، لعدة مستويات في المرحلة الابتدائية، مع بعض الأساتذة، وقد امتازت تلك المؤلَّفات بالوضوح واعتماد الأسلوب التربوي المعاصر، الذي يمرّب المادة العلمية من الطلاَّب ويحبّبها.

(1) كما في رسالته: (مراحل حياتي بقلمي).

– ثم في أول السنة الدراسية لعام 5 96 1 م أو 966 1 م جرت محاولة لردّه إ لى التعليم الابتدائي كيدأ من بعض اعداء الإسلام، فأعلن رفضه لذلك، وتوخه إلى بيته، فلزمه قرابة عشرين يومأ، ونمى المدير إلى مسؤوليه موقف الشيخ، وبقي الأمر بينهم بين اخذ ورد، وإ قدام وإحجام حتى تراجعوا عن قرارهم، ونُقل الشيخ إ لى إ عدادية اخرى، وكان موقفه من مواقف عرة ا لعلماء ا لتي لا تُنسى.

– ثم إن من اهم الميادين التي عمل فيها في مجال التعليم المدرسيّ؟

العمل في إدارة الثانوية الشرعية، والعمل في المعهد العربي الإسلامي مدرساً

للغة العربية، وكان ذلك ما بين سنة 1951 – 964 ام، كان! ا في الثانوية الشرعية ثمانية اعوام.

ولأهمئة عمله في هذين المجالين، سنفرد الحديث عنهما فيما يلي:

أولاً: عمله في إدارة الثانوية الشرعية بحلب وإصلاحاته من سنة 1951 إلى 1958 م:

وكانت تسفى آنذاك: (الكلية الشرعية)، ولها ماضٍ عريق في تخريج العلماء الدعاة، وفيها يدرّس كبار العلماء والمشايخ، وكانت تسمّى: (أزهر سورية).

وكان عمل الشيخ في الثانوية الشرعية بمسعى من مديرها آنذاك الشيخ طاهر خير الله رحمه الله، وكانت تربطه بالشيخ صداقة وثيقة، فتكلَّم مع مدير الأوقاف، فطلب من وزارة المعارف انتداب الشيخ إلى العمل فيها فتمَّ ذلك (1)، وعُئن ناظراً للمدرسة، والناظر كالوكيل في اصطلاحنا اليوم.

حدثني أستاذنا الشيخ طاهر خير الله في بيته في المدينة المنورة (2)، ع! ت أثر الشيخ احمد رحمه الله في إصلاح الثانوية الشرعية، فأنا اثبتُ هنا خلاصة

(1)

(2)

وقد سمعت ذلك من الثخ طاهر خير الله رحمه الله.

قبل وفاته رحمه الله تعالى بنتين، وكانت وفاته في منتصف عام 459 اهـ تفريباَ.

(46/1)

ما كتبه عنه، يقول! رحمه الله: "كانت الثانوية الشرعية قبل أن يعمل فيها أخونا الشيخ أحمد رحمه الله، مسرحاً للاضطرابات والفوضى، والتسيّب والاهمال، وغياب المسؤولية الأمينة الواعية. . لقد عاش أكثر الطلاب فيها، وهم طلاب العلم الشرعي، وحملة امانة العلم والدعوة في وإقع مغلق محدود، وجهل تاتم

بما وراء المدرسة وما يعيشُه الناس في المجتمع.
وكانت الحصص الدراسئة لا تتصف بالنظام المدرسي السليم والانضباط الإدارفي المقبول!، مما يعطي صورةً غيرَ حسنةٍ عن المدرسة وأسا تذتها وطلابها، وبخاصة إذا ما قورنت بمدارس وزارة المعارف آنذاك. . وكانت علاقة الطلاب بالإدارة بالغة السوء، يرون الإدارة حاكماً مستبداً، يسعى لشرّهم والإضهار بهم، لا لتحقيق مصالحهم، وا لإحسان إليهم، فكانت المدرسة تشهد بين انحين والآخر إساءات من الطلاب لبعض المسؤولين، تصل إلى الضرب والجرخ والإهانة.
ولقد كان الشيخ أحمد رحمه الله خير عونٍ لإصلاحِ هذه الجوانب كلّها، وكان عمله في الإدارة ميدان اختبار دقيق لشخصيطّ الإدارية، وحنكته وذكائه، وحكمته وبُعد نظره، ولقد كان نجاحُه في ذلك كفه منقطع النظير، وفوق ما يتصوّر أي إنسان او يطمح.
والسرّ في هذا النجاح – والكلام كله للشيخ طاهر رحمه الله تعالى – ما كان يتمتعّ به الشيخ أحمد من إخلاص في عمله، وتجرّد عن حظوظ نفسه، وهمّة عالية في ضبط الأمور ومتابعتها، وأنا أشهد أني ما لحظت عليه يوماً من الأيام ذزة من غرضٍ شخصيئ، أو حط نفسيئ، أو تذكير بأمر ليس من مرضاة الله تعالى، لقد كان الشيخ قوئأ أميناً في تحفل المسؤولية والنهوض بأعبائها.
لقد عرف الطلاب عنه الحزم والعزم في تطبيق النظام ومتابعته، فأحبوا الشيخ أحمد من قلوبهم، واستجابوا لشدّته، وتطبعوا بالنظام الذي أرإد لهم أن يلتزموا به، حتى أدركوا من صميم قلوبهم، انه يغار عليهم، كما يغار الوالد على أولاده، ويحدب عليهم. . . ".

وعلاجاً لما رأى الشيخ احمد من جهل الطلاب بالمجتمع المحيط بهم، فقد اقترح الشيخ طاهر أن ينطموا رحلات تربوية للطلآب يتحقّق من ورائها عدّة

اهداف، يقول الشيخ طاهر:

" فوافق اقتراحه رغبة في نفسي، فنظَمنا رحلتين كبيرتين: الاولى: إلى حفاماب الحمّة، والثانية: في السنة التالية إلى بيت المقدس، لزيارة المسجد الأقصى، وآتت كلتا الرحلتين ثمراتها التربوية الطيبة في نفوس الطلاب، ووثقت علاقتهم بالإدارة، وادت إ لى حسن تجاوبهم معها.

ومن آثار عمل الشيخ في الثانوية الشرعية سعيه لإدخال المختبر إليها، وقد لقي في ذلك معارضة لا يُستهان بها، ولكنه صبر وعالج الامر بالحكمة، حتى تتم له ما يريد.

وقد مارس تدريس اللغة العربية، اثناء عمله في ال!! ارة، فكان خير مدرّس لطلابه.

ومما امتاز به عمله رحمه الله؟ دقّة رقابته الأخلاقية على الطلاب، ورعايته لهم، ومعالجة تقصير المفضر منهم بأحسن أسلوب، وأنجح علا!، وكل ذلك لم يكن بحكم عمله الإداري المجرّد، بل من منطلق التوجيه الدعوي، والإعداد التربوي المناسب، ليكونوا امناء على هذا الدين، وحملة لمش! ل العلم والدعوة.

وقد وصل الشيخ بضبطه لطلاب المدرسة وتطبيعهم على الطاعة والنظام، أنه كان يقف وقت الصلاة في ساحة المدرسة ناظراً إلى حركة الطلاب، فلا ترى أحداً منهم إلا وهو يسرع إلى المسجد عند الأذان، ولا يكاد يتخلّف طالب عق إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام.

وكان كذلك يقف صباحاً عند ابتداء الدوام، فلا يتساهل بعد قرع الجرس، ودخول الطلاب إلى الفصول، مع افي طالب يتأخر، ولو دقيقة واحدة، وكان يقول للطالب المتأخر وهو يحاسبه: "لماذا تأخرت خمس دقائق – مثلاً، ولم تبكر نصف ساعة؟! ".

وكذلك عالج، بالحكمة والموعظة الحسنة، تقصير بعض المدرّسين، الذين ألفوا التسئب والإهمال، حتى انضبطوا بالنظام ر استجابوا له ".

– وخلال عمله في الثانوية الشرعية، قام بإصدار العدد الأوّل من مجلة: (صوت الثانوية الشرعية)، وقد كتب فيه مقالة ضافية عن الخطّ العربي، والزخرفة الإسلامية، وقدَم نماذج جميلة من ذلك، وكان إصدار هذه المجفة ميداناً لتنافس الطلاب في كتابة المقالات، والحرص على النشاط الفكري والدعوي الجادّ.

وعندم! انهي انتداب الشيخ رحمه الله ترك بصماته الواضحة على هذا المعهد العلمي العريق، وفي قلوب أبنائه البررة، واساتذته الغيورين، ومحبيه المشفقين.

ثانياً – عمله في المعهد العربي الإسلامي مدرساً للغة العربية (1)، وذلك من سنة 1 958 – 5 96 1 م:

انتدب الشيخ لتدريس مإدة اللغة العربية في المعهد العربي الإسلامي، كما تعاقد للتدريس في عدّة مدارس خاصّة، منها ثانويّة الغزالي، والثانود" العلمية، ومع أن الشيخ كان يسند إليه تدريس اللغة العربية فقد كانت صورته الظاهرة، وتأثيره في قلوب الطلاب يجعل الناظر لا يشك أنه امإم مدرّس للدين، وداعية من دعاته، إذ كان يمزج مإدّته التي يدزسها بالتربية الإسلامية القويمة، والنصح الدائم والتذكير، فلا يشعر الطلاب إ لا وهم مأسورون لحديث الشيخ وتوجيهه.

– بقول عنه الأستاذ أحمد كرزون، وهو صاحب الثانوية العلمية، وقد (1)

وهو من المدارس المتوشطة والثانوية الخاصة، يتغ (الجمعية الخيرية الإسلامية) بحلب، وكان يهدف إلى إنشاء جيلِ مؤمن، صوقي في دينه وعلمه، وتربيته واخلاقه، وقد اختيرت له ثقة طثبة من خيار رجال التربية والتعليم في حلب.

درَس الشيخ عنده فيها (1): "كان الشيخ أحمد مدرَساً ناجحاً في أسلوبه وضبطه، ومحبه الطلاب له، وحرصهم على حضور دروسه، وقد تميَّز رحمه الله ببذل الجهد المخلص في التدريس، وجمع معه الإرشاد في اختبار النصوص والشواهد الثي يقررها للطلاب، وتوزيع الكتب الهادفة من مكتبة الثانوية، لتلخيصها ءصاجب للتعبير، مما كان له الأثر الكبير في حُسن توجيههم ورعايتهم. . . وكان لقربه من الطلاب، ومحبّة الطلاب له، وارتياحهم لأسلوبه يعرضون عليه إشكالاتهم الدينية، وما يعرض لهم من شبهات في العقيدة، أو الأحكام الشرعية، وما يلقيه عليهم بعض أعداء الإسلام من أباطيل، فكان لا يتبزم من أيّ إشكال أر شبهة، بل يجيب عن ذلك كله بانبساط مع الطلاب وانقاح لهم، وحوار أخويّ بعيد عن أئمما قيود.

وكان يربط لهم الحقائق الدينية التي يعرضها بالواقع الاجتماعي الذقي يعيشونه، ويثبت لهم صلاحية الإسلام بعقيدته وتشريعه وأحكامه لكل زه، ن ومكان، وان لا سعادة للبشر إلاّ باتّباعه، والعودة إليه في كل شأن.

وقد حدَّثنا كثيرأ عن مثل هذه الحوارات المشوّقة مع الطلاب، وس! ل بعضها في كتبه، وبخاصّة في سلسلة العقائد (2).

وكثيراَ ما أثمرت تلك المنإقشات، وتمخّضت عن اهتداء الطالب الذ 5ب ألقى الشبهات، أو نا قشها مع ا لشيخ، بل إن بعضهم أصبح من إ خوإ نه وتلا ميذه ".

2 – نشاطه الديني والدعوي:

– أما نشاطه الديني والأعمال التي قام بها؟ فقد أسند الشيخ عيسى رحمه

(1)

(2)

وقد تفضَّل عليئَ جزاه الله خيراَ بكتابة صفحات عن ذكرباته مع الشيخ ر. حمه الله، وما عرف عنه من مناقب ومآثر، خلال عمله معه في مجال التعليم، وصحبته له في سفر الحج المبارك.

انظر كتاب: (الإيمان بالثه تعالى) للمترجَم له، ص 42، (حوار مع طالب)؟ وكتاب (الإيمان باليوم الاَخر)، ص 137، (بيني وبين طالب).

الله إلى ولد 5 الشيخ أحمد الخطابة والإمامة نيابة عنه في مناسبات مختلفة، وعندما توفي الشيخ عيسى رحمه الله عام 363 ا هالموافق 1943 م كما سبق، أسندت خطابة جامع (العثمانية)، وإمامة جامع (أبي ذر) لولد 5 اكيخ أحمد رحمه الله فقام بذلك على خير وجه.

وكان للشيخ تجربة سابقة في الخطابة والاه سامة عندما كان يدرس في الريف، فقد كان في القرية مسجد مهجور، فافتتحه واعتنى به، وأقَهم في الصلوات، وصفى بهم الجمعة، وأقام لهم بعض الدروس، فاجتمعت قلوب ا لناس عليه.

وحدَثنا رحمه الله أن المسجد اصبح يغصّ بالمصفين في أيام الشتاء الباردة، كان الناس يأتون من أطراف القرية إ لى صلاه الفجر في الظلمة والمطر، والوحل والطين.

وكان أهل القرية عشيرتين مختلفتين، فاجتهد في إصلاح ذات بينهم، وجمع كلمتهم، وزار كلا الفريقين في مجالسهم وأنديتهم، حتى تمكن من غسل العداوة والبغضاء بين قلوبهم.

وأقام لهم في المسجد دروساً في الفقه وتلاوة القرآن الكريم وتجو يدد، وحث الناسَ على تربية أبنائهم على مبادئ الإسلام وهديه، وفضائله وإدابه، والقيام بمسؤوليتم في ذلك.

فعندما أُسندت إليه الخطابة والإمامة بعد وفاة والده كان له من تجربته السابقة ما يعينه على القيام بمسؤوليته خير قيام، وأداء الأمانة على أحسن وجه.

– وقد كان في الخطابة على منهج والد 5 الشيخ عيسى، يرىَ أنّ الأنفع فيها للناس والأقوى تأثيراَ، أن تكون مكتوبة، فهي ادقّ في عرض الفكرة، وأجمه! للموضوع وابلغ في التأثير، وقد دأب على ذلك، وكانت خطبته تمتاز ببلاكة القول وحُسن العرض وجزالة اللفظ، كما كانت موضوعاتها تعالج مشكلات المجتمع، وما يحتاجه الناس من تقوية الإيمان، والنعريف بحقائق الإسلام

ومبادئه، ونشر محاسنه وفضائله، ورد شبهات أعدائه، والحثّ على اتّباع احكامه، والتزام آدابه، وبيان اسباب تخفف المسلمين، وتسلّط أعدائهم عليهم.

وكان مَنْ يسمع إلقاءه لخطبة الجمعة، لا يظنّ أنه يلقي من الورقة، لدما كان عليه من صوت جهورفي، ولهجة خطابئة فصيحة مؤثرة.

– وأما نشاطه الدعوي؟ فقد كانت للشيخ تجارب دعوية ثرة في مجالات متعذدة:

ا – منها ما يتصل بإلعمل الدعوقي العائم، الذي يتصل بالعامَة تعليماُ وإرشاداَ وتوجيهاَ.

2 – ومنها ما يختص بإلعمل الدعوي الخاصق مع العاملين للإسلام، والدعاة إلى الله؟ تدارساً للمنهج الأمثل في خدمة الإسلام والدعوة إلى الله، والتشاور في امور المسلمين، وا لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

– ثم إن هذه الأعمال الدعوية؟ منها ما اتخذ صفة مرحلية، ثم زال بزوالها، ومنها ما اتخذ صفة الاستمرار على حسب طبيعته أيضأ، حتى اتصل بمرحلة الانطلاق بإلدعوة، وتربية الشباب على المنهج الذي اختاره، وسنعرض لى هنا كلا النوعين من هذه الأعمال عرضاً موجزاً مجملاً.

– فأما ما يتعفق بالعمل الدعوي العام، الذي يتضل بالعامّة فنجمله فيما يلي:

ا – العمل الدعوي في ميدان الريف وآثار 5.

2 – العمل الدعوي والتربوي في ميدان التعليم في المدارس، وقد سبة! الإلمام بهذين المجالين قريباً.

3 – العمل مع إخوان الشيخ محمد ابي النصر خلف رحمه الله، وتلامذة والده ومحبيه.

4 – ا لعمل الدينبئ وا لدعويّ مع ابناء ا لحي ور جاله من جيران جا مع أ بي ذر.

– أما العمل مع اخوان الشيخ محمد أبي النصر وتلامذة والده رحمهما الله

ومحبيهم؟ فقد ترك الشيخ محمد أبو النصر مراكز للدعوة والإشعاع الإيماني وا لتربوقي، وكانت تلك ا لمراكز يعوزها الأئمة ا لربا نيون، وا لتلامذة ا لمجتهدون، الذين يتابعون طريق شيخهم بتجزد لخلاص، وصدق وتجديد، يتمّمون ما بداه، ويتابعون ما وقف عند 5.

وقد كان من ابرز هذه المراكز في مدينة حلب (جامع أبي ذرأ، وذلك لمجاورة سكن الشيخ عيسى رحمه الله له، وهو أرفع تلاميذ الشيخ محمد أبي النصر قدرا، وأنبههم ذكراً، وقد كان كثير من تلامذة الشيخ أبي النصر يتوقعون أن يكون الشيخ احمد خلي! فة للشيخ أبي النصر.

فتقدَم الشيخ احمد إلى ذلك المجلس ليملأه، وقد حوَّلت إمامة الشيخ عيسى من جامع العثمانية إلى جامع أبي ذر بعد وفاة الشيخ عيسى وأُسندت إلى ولد 5 الشيخ احمد، فاجتهد الشيخ احمد في تحويل دعوة الشيخ محمد أبي النصر إلى منهج دعويّ عمليئ، يقوم على تقديم وصايا اسلامية تتصل بحياد المسلم اليومية لإحياء العمل بالإسلام وتطبيق أحكامه، وجعل وراء تلك الوصايا محاسبة آسبوعية لتقوى عزيمة المؤمن، وترتفع همّته، ونلك هي الترجمة العملية للتواصي بالحق والثواصي بالصبر، ولم يرتضِ الشيخ لتلك الدعوة آن تكون قاصرة على الوعظ والتذكير، وا لالتزام با لأوراد والأذكار، وقد وجد بعض الناس في هذا الأسلوب نشاطاً وقوة، فتجاوبوا معه واستحسنوه، ولكن كثيراً من العامة بل وبعض طلاب العلم أيضاً، لم يألفوا هذا الاشلوب ولم يعرفوه، ووجدوا لْي الدعوة إلى مجاهدة النفس، وتكليفها الالتزإم بفضائل الإسلام وآدابه خروجاً عما اعتادوه والفوه، وتبزم هؤلاء وقال قائلهم: " إنَّ الشيخ آحمد يريد آن يخرج على طريقة الشيخ محمد أبي النصر، وطريقة والده الشيخ عيسى، ويريد أن يعمل مشيخة لنفسه " (1).

(1)

وقد سمعت تفصيل ذلك من الشيخ عثمإن حزواني رحمه الله، وكان من خفص

(53/1)

ثم كان خلاف كبير على آمور آخرى شرعئة امتدّ طويلاً، ثم اَل الأمر إلى اعتزال الشيخ للعمل مع جماعة الشيخ عبد الباسط ولد الشيخ محمد أبي النصر، وتبعه في ذلك من ارتضى طريقته، واستجاب لدعوته (1).

– واما عمل الشيخ مع أبناء الحيئ ورجاله، من جيران جامع (أبي ذر)، وكان أكثرهم من العامة وكبار السنّ، فقد كان يصلي فيهم الصلوات الجهرية، ويجلس بعد صلاة الفجر فيقرأ لهم في كتاب من كتب العلم، ويشرح! ا يقرأ. . ولم يدع فرصة يمز فيها ذكر شيء من فضائل الإسلام واَدابه إلاّ استغلَّها بالحثِّ والتذكير والدعوة والتوجيه للتمشُّك بتلك الفضائل والاَداب.

وكان المواظبون على تلك المجالس يستمتعون بما يسمعون، ويسرّون بما عليه يطلعون، ولكنهم لا يغيرون من واقعهم أو واقع أسرهم شيئاً مع كثرة تذكير الشيخ بهذ 5 المعاني وحثّه عليها.

وقد قرأ الشيخ في تلك المجالس موسوعات علميّة منها: (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للإمام المناوي، و (حلية الاولياء) للإمام أبي نُعيم، و (الشفا بتعريف حفوق المصطفى) للقاضي عياض، وغيرها من الكتب، واستمر على ذلك عدّة سنين، ولكن الحصيلة العملية من ذلك كانت ضعيفة هزيلة، فخرج بنتيجة ان العمل مع العامة وكبار السنّ، ضعيف الاثر والجدوى.

–وآما العمل الدعوي الخاص، مع العاملين للإسلام من العلماء والدعاة إلى الله تعالى، فنجمل الحديث عنه في ثلاث نقاط:

(1)

تتلمذ على الشيخ أحمد ولازمه.

إنَ قضة هذا الخلاف طويلة الذيل، ممتدّة الاَثار، لم يكد طالب علم في مدينة حلب وبعض محافظاب الشمال أن يبتعد عنها أو لا يكون له موقف منها، وقد

اضربت عن الخوض فيها هنا رعاية لحق الدعوة والتاريخ، واكتفيت هنا بالإشارة إلى ما كان وراءها من آثار.

54

(54/1)

ا –دعوة الأقران وزملاء الدراسة وأسلوبه فيها. .

2 – المشاركة في إنشاء (دار الأرقم) والعمل مع رجالها، ثم الاعتزال

3 – نشاطه مع العلماء والدعاة إلى الله، وسعيه لجمع كلمة العلماء وتوحيد جهودهم.

ا – فأما دعوة الأقران وزملاء الدراسة وأسلوبه فيها، فقد حدَّثنا رحمه الله انَه عندما أكرمه الله بالهداية، عكف على نفسه وأسرته أولاً، ثم رأ! أنّ عليه حقاً شرعياً لازماً نحو أولئك الذين قضى معهم سنيّ دراسته، وكانت بينه وبين بعضهم علائق ودّ وصداقة وثيقة، فاتخذ لمخاطبتهم أسلوباً من الأسا ليب النبو ية في الدعوة، إذ أرسل إليهم رسائل، يتلطف فيها بالخطاب، ويبتدئها بذ! ص محبته لزميله، وانه يريد له الخير كما يريده لنفسه، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويذكره بحياتهم الدراسية، وما كان فيها من إيجابيات، ويسأله عن حاله واهتماماته في هذه الحياة وطموحاته، ثم يوضح له ما وفّقه الله إليه من الاتباع والالتزام بأوامر الله، وهدجما رسوله جمفه وسنّته، والدعوة إلى سبيله، وأن السعادة الحقيقية للمرء أن يعرف قيمة وجوده، وغا ية خلقه، وعاقبة امر 5، ثم يختم رسالته بالرغبة بالزيارة لتدارس هذا الأمر والوصول إلى نتيجة (1).

ثم تكون الزيارة للتأكيد على تلك المعاني والوصول إلى نتيجة محدّده، وقد كانت إجابة كثير من هؤلاء، فيها مجاملة وثناء على الشيخ بما هو عليه، ورضا بما هم عليه، وائهم على خير، واعتذر بعضهم أنه لا يستطيع الض وج عما هو عليه من عاداب، وقد عدَ الشيخ هذا الأسلوب ا لذ! اتّخذه مع زملاء درإسته إعذاراً له عند الله، وقضاء لحق الصداقة والمعرفة التي كانت بينه وبينهم.

(1) ينظر نموذج تلك الرسائل في: (مراحل حياتي بقلمي).
55

(55/1)

---

2 – وأما مشاركة الشيخ رحمه الله تعالى في إنشاء (دار الأرقم) والعمل مع رجالها، ومتابعة تطوراتها، ثم الاعتزال عنها، فلماذا شارك في إنشائها؟ ثثم لماذا اعتزل عنها؟

لقد كان للشيخ رحمه الله علاقات وثيقة مع ثلّة من رجال الفكر الإسلامي ذوي الغَيرة الدينية، والتوخه الدعوي؟ منهم القاضي الشرعي الشيخ عبد الوهاب الألتونجي، والشاعر الإسلامي الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، والعالم الفقيه الشيخ مصطفى احمد الزرقا، والمحامي الشهير الأستاذ عبد القادر السبسبي (1)، وغيرهم آخرون. . فكانت بينهم لقاءات، يتدارسون فيها واقع الأمة، والسبيل الأمثل لخدمة الإسلام، فتمخضت تلك اللقاءات المتتالية عن إنشاء ما أسموه: (حركة التهذيب الروحي) أو (الإحياء الروحي) ولعل التسمية تكشف عن أهداف تلك الحركة ومقاصدها، وقد اقترح لها كتاب: (إحياء علوم الدين)، للإمام الغزالي رحمه الله، ليكون مرجعاً يلتقي عليه اولئك المجتمعون (2).

– ثم تسفَت تلك (الحركة): (جماعة شباب محمد تج! حم)، ثم غيّرت التسمية إلى (دار الأرقم) وتمّ اختيار مركز لها في باب النصر في مدينة حلب، واتّبع المنتسبون إليها أسلوباً لجلب الناس إلى المركز، وذلك بإنشاء قاعة للمطالعة المجانية، وتمّ التبزع بالكتب من المنتسبين إلى: (دار الأرقم)، وشجع الناس على ذلك، فامتلأت المكتبة بالكتب ما بين عشية وضحاها.

ثمّ اقترح القائمون على (دار الأرقم) ان يتثم إصدار: (نشرة أخبار العالم

(1)

(2)

قال عنه في الأعلام: 38/ 4: حفوقيئ من أهل حلب مولداً ووفاة (1304 –

393 اهـ= 1886 – 973 ام) حفظ مجلّة الأحكام العدلية، وعمل محامياً ومدرساً، وكان من مؤلّسسي دار ا لأرقم بحلب (936 1 م).
وقد سمعت تفصيل إنشائها من الشيخ رحمه الله في عدة مناسبات، كما سمعت طرفاً منه من الأستاذ الأميري رحمه الله.
56

(56/1)

الإسلامي)، لتعريف المسلمين بما يجري لإخوانهم في العالم، وما يقع من احداث، فنفذت الفكرة، فكانت تُعدّ نشرة الأخبار كلّ أسبوع، ويتمّ إلقاؤها على الناس بعد صلاة الجمعة، في الجامع الأموي الكبير في حلب، ثم تُلقى ايضاً في جامع (بانقوسا).
– ولقد كان هدت الشيخ رحمه الله –كما حدّثنا – من لقائه مع هؤلاء الدعاه أن تكون حركة عملية تطبيقية، تهدف إلى التم! ك بالإسلام، والدعوة إليه علر، بصيرة.
وظل الشيخ في جميع لقاءاته –كما أخبرنا – يركّز على هذه المعاني، ويحاول ان يشد الحركة إلى الوجهة التطبيقية العملية، التي تعنى بالالتزام ا لإسلامي، وتهتئم با لا تباع، ولكنه را ى بعد مدة أنّ كثير اً من المجتمعين لا ا ستعد إد عندهم للتجاوب مع خطته العملية، ولا توخه لهم إلى ذلك، فمرّر أن يعتزل عنهم، إذ كيف يتحفس للإسلام، ويغار على دين الله، ويحمل دعوته من لا يستجيب لفضائله ولا يلتزم بآدابه؟! لقد كان السلوك الإسلامي الملتزم، هو محك الرجال وميزان الدعوات في نظره رحمه الله.
3 – وأما نشاطه مع العلماء والدعاة إلى الله نعالى، وسعي! لجمع كلمة العلماء، فيعدُ هذا المجال الدعوي من الجوانب الحيوية الهامة في حياة الشيخ رحمه الله، إذ ظهر في مرحلة مبكرة من حياته، ثم استمرّ واتصل إلى وفاته، وهو من ناحية أخرى يبرز إيجابية الشيخ وتضحيته في سبيل الله، وقؤته في الحق، كما يبرز لنا مكانته بين إخوانه العلماء.

ولقد عُرف الشيخ رحمه الله بين علماء (حلب) سبّاقاً إلى كل لقاء، وعرفوه إيجابياً بما يتبنى من مواقف، وما يقدم من آراء.

وكانت لقاءات العلماء على نوعين: منها ما هو دوري رتيب، ومنها ما يكون في اوقات الأزمات والشدة، وكان (مجلس جامع أبي ذر) المسمى (الليوان) وفيه مكتبة الشيخ الخاصة، مفتوحاً للقاء العلماء في كل مناسبة.

57

(57/1)

– وكان يرى رحمه الله أن خير اسلوب ينظم هذه اللقاءات، أن تقوم الشورى الحقيقية، واحترام الرأي، والبعد عن الفردية والاستبداد بالرأي من قِبَل أكب كان.

وكان لاجتماع العلماء وتشاورهم نتائج طيبة في إلغاء كثير من المنكرات، ومظاهر الفساد والانحراف الأخلاقي في المجتمع، والقضاء على الحفلات الماجنة، التي يُراد من ورائها إفساد الناشئة، وزرع بذور الفساد في الامة. ولقد بلغ من هيبة العلماء ببركة اجتماع كلمتهم، أنهم كانوا يسمعون بمنكر صت المنكرات أنه سيحدث في اي مكان من مدينة (حلب) فيجتمعون ويتشاورون، ثم ينتدبون بعضهم لمقابلة المحافظ لإلغاء هذا المنكر، فما يكون من المحافظ إلا ان يتصل بالجهة التي تريد إقامة الحفلة، ويبلغها ضرورة إلغائها بناء على احتجاج العلماء واستنكارهم، ولقد حدث من ذلك مواقف عديده كان لها أثر طثب في الحياة العامّة للأمة.

– وكان قفةَ نشاط الشبخ الدعوفي التفاته إلى تربية الشباب وتوجيههم، وتُعدُ هذه المرحلة المرحلةَ الغنيّة الخصبة في حياته نشاطاً وعطاءً، ودعوة وتربية، وتأليفاً وكتابة، وهي ثمرة تكوينه العلميّ والتربويّ، ومن بركات منبته الطيّب، وما منَّ الله به عليه من مواهب.

وقد تبلور في هذه المرحلة من حياته فهمه الإسلامي، ومنهجه الدعويّ والتربويّ، على ضوء خبراته في شتى الميادين الاجتماعية، كما تجلّت فيها

شخصيته بخصائصها ومزاياها.

وهي تعد الخاتمة الحسنى التي ختصت بها حياته رحمه الله، إذ إنها تبدأ من عام 1385 هالموافق لسنة 1965 م، وتمتد إلى وفاته رحمه الله وأجزل هـ (1)

معوبته.

(1)

وسنتناول الحديث عن ذلك عند الحديث عن منهجه الدعوقي والتربويّ في المبحث الرابع من هذا الفصل بإذن الله تعالى.

58

(58/1)

---

3 – نشا طه! لاجتما عي:

أما نشاطه الاجتماعي، فكلّ ما سبق الحديث عنه من أوجه نشاطه رحمه الله تعد ألواناً من النشاط الاجتماعيئ، الذي خاضه الشيخ في حياته، وكان فيه إيجابئاً معطاء.

وبقي لون نحث ان نشير إ ليه، وهو ايجابية الثيخ في علاقاته ا لاجتماعية، ودقة ذوقه في معإملة الناس، ومراعاة مشاعرهم وعاداتهم التي تتعارض مع هدي الإسلام، ومشاركتهم في أفراحهم واحزانهم، وتقديم الهدايا لهما تأليفأ للقلوب، وحرصاً على نشر الدعوة، والأمثلة على ذلك من حياته كثيرة متنوّعة، وقد كانت سبب هداية كثيرين واستجابتهم، وسيمز بنا طرف منها في الحديث عن أخلاقه وصفاته بإذن الله.

وكان لا ينتظر من احد جزاءً ولا شكوراً، ولا ردّ زيارة بمثلها، أو هدية بأحسن منها.

وكان يشارك في الأفراح التي يدعى إليها، وقد أخذ نفسه بعزيمة ألاّ يتلكّأ عن الكلام في مثل هذه المناسبات، ونصح الحضور وتذكيرهم، فقد قضى الشيخ رحمه الله في ميدان التعليم المدرسي اكثر من ثلاثين سنة، فامتزج النصح

والتذكير بشخصيته وكيانه، وإن من حكمة الداعية وعقله وذكائه أن يحسن التعامل مع كل الفئات، ويخاطب الناس بما يفهمون، ويتخذ الأساليب المناسبة للتأثير فيهم، والدخول إلى قلوبهم، وإننا لن نبلغ ذلك إلا بالسلوك الإسلامي الحكيم، والتحقق بالخلق النبوي الكريم، وهذا ما كان يحرص عليه الشيخ رحمه الله في كل مناسبة.

!! د،

59

(59/1)

!! أ التالث

شصيّته وأخلاقه وصفاته

حليته:

لقد حبا الله تعالى الشيخ احمد بسطة في الجسم، وقوة في البدن وفتوة، وحيوية ونشاطاً يلحظ ذلك كل من راَه، وكان ذلك عنوان شخصيته الباطنة التي يكتشفها الإنسان بالمخالطة والتعامل. كان اقرب إلى الطول، بل يعدُّ طويلاً في عرف الناس، ممتلئ الجسم مع تناسب في الأعضاء ظاهر، حنطي البشرة، اسود العينين واسعهما، اقنى الأنف، ضليع الفم، ناعم الصوت مع قوّة وجهارة صوت، فصيح اللسان بئن الحروف والمخارج من غير تصنع أو تكلّف، خفيف اللحية، سوفي الخلقة، وكان سريع المشية، ما رأيت أحداَ أشبه بمشية رسول الله !! رِو منه، كان إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب، يبدا من لقيه بالسلام عرفه أم لم يعرفه، متواضعاً في مشيته ولباسه، ومجلسه وحديثه، رفيع الذوق فيما يأتي ويذر، بعيداَ عن التصنع والتكفف.

ملامح لشخصيته وخصائصها:

تتجلّى أهمّ ملامح شخصية الشيخ رحمه الله في النقاط التالية:

ا – طبيعة جامعة، عملية واقعية.

2 – واعية نزيهة، مربية حكيمة.

3 – قائدة موهوبة، إدارية دقيقة.

4 – قوية عزيزة، مهيبة محبوبة.

وشْكفم عن هذه الملامح فيما يلي باختصار:

60

(60/1)

---

1 – طبيعة جامعة، عملية واقعية:

ولقد كان الشيخ رحمه الله من ذوي الطبيعة الجامعة العملية الواقعية، يعرف ذلك كل من عرفه وخالطه، ولقد تركّزت تربيته العملية على ذلك، وأولاه عنايته واهتمامه.

–أذكر أننا كففنا مرة باقتراح منهج مناسب لمستوى من مستويات الإخوة، فعقدنا لقاءات عديدة، وخرجنا بدراسة رتّبناها وعرضناها على الشيخ رحمه الله فنظر في تلك الأوراق وقلّبها ثمّ قال! لنا مبتسماً: "لقد كنا شباباً مثلكم كتبنا وخطّطنا، ووضعنا تصورات كثيرة، ثم رآينا آن القليل العملي الواقعي، الذي ينفذ، خير من كثير لا يتجاوز الأوراق التي كتب فيها، فاعيدوا النظر فيما اقترحتم وكتبتم، وحددوا من ذلك ما ترونه واقعياً عملياً. . ".

– ومع بواكير توتجه الشيخ الدينيئ والدعوي كانت ملاحظته الاشاسية على كثير من الدعإة؟ الانشغال بالكلام عن الالتزام والعصل، وقد حدّثنا عن لقائه مع الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله في موسم الحج، وتعرّفه عليه، وكان الشيخ قد سمع بدعوة الشيخ البنا، فبعدما تحدّث الإمام عن دعوته، وعرَّف الحاضرين بها، سأله الشيخ أحمد سؤالاً واحداً في هذا اللقاء: ما مدى تطابق هذه المفاهيم عن الإسلام ومبادئه مع سلوك القائمين بالدعوة؟ فابتسم الشيخ حسن البنا، وقال له: "هناك فرق بين كل دعوة والواقع الذي يكون عليه أبناؤها، ولكننا نسعى مستعبنين بالته، أن نترجم أقوالنا الى أفعال، وألا يكون حظنا من دعوتنا الكلام!.

وقد كانت الحيا 5 العملية محور دعوة الشيخ وفكرته في دروسه وخطبه

وكتبه وتوجيها ته.

2 – واعية نزيهة، مربية حكيمة:

وقد تجفت في شخصية الشيخ صفة الوعي والنزاهة في أمور عديدة اهمها:

61

(61/1)

---

1 – التجرّد عن أن يتّخذ موقفاَ، يكون فيه تبعاً لأحد م! ت الناس دون اقتناع بذلك.

2 – اصالة رأيه وفكره في منهجه الدعوي وفي حياته الخاصة.

3 – دقّة فهمه وتحليله لواقع الأمة ومشكلاتها، والعقبات التي في طريقها، وسبيل النهوض بها، والوسائل والأساليب التي ينبغي اتباعها والأخذ بها في هذا العصر.

4 – وعيُهُ لمخططات أعداء الإسلام، وأساليبهم في التسلل إلى الامة الإسلامية، وإحكام السيطرة عليها، بتذويب الشخصية الإسلامية في العادات لضمان تبعئتها، وتفريغها من هويّتها المؤثرة الفاعلة، وسيمز بنا في الفصول التالية من الأمثلة والنماذج ما يعفينا عن التدليل هنا.

–وآما نزاهة الشيخ فأذكر بما سبق في الفصل الأول من شهادة الشيخ طاهر خير الله رحمه الله إذ يفول: "إن من أعلى الصفات التي رأيتها في الشيخ أحمد رحمه الله: الإخلاص والغيرة على المصلحة والنزاهة، وأشهد آنه ما اقترح يوماً ما اقتراحاً، او قدم رأياَ، وكان له فيه حط لنفسه او مصلحة لها، بخلاف بعض الناس الذبن لا تحرّكهم إلا أهواؤهم، ولا يدورون إلا في فلك مصالحهم الخاصة ".

3 – قائدة موهوبة، إدارية دقيقة:

1 – برزت شخصية الشيخ القيادية منذ شبابه المبكر فانتسب إلى فرقة الكشافة، وقاد رحلاتها، ثم اعتزلها عندما ابتعدت عن هدي الإسلام وآدابه كما

حدثنا بذلك رحمه الله.

2 – وظهرت إدارته الدقيقة في إدارة الثانوية الشرعية كما سبق قريباً.

ولم يكن مجاله في ذلك قاصراً على ضبط النظام، والقضاء على التسيب والفوضى، بصورة إدارية بحتة، صمانما امتزج ذلك بالتوجيه التربوي، والحبّ

62

(62/1)

والشفقة، وشع عليه إخلاص الشيخ وغيرته، مما جعل كثيرأ من طلاب العلم يستشعرون أن الشيخ بمنزلة الوالد لهم، وهذا ما شهد به كثي! همن طلأبه وتلامذته.

3 – كما ظهرت قيادة الشيخ وضبطه وحسن إدارته، ودقته وحرصه عاى النظام في منهجه الدعوي وسلوكه التربوي في بيته ومع طلابه في المدرسة و! تربيته للشباب في المسجد.

– فحياته الاسرية وتربيته لأولاده، كانت تقوم على النظام والانضباط والدقة في العمل، وكانت أعمال البيت موزّعة بين البنين والبنات بعدل ونظام، يعرف كل واحد منهم واجباته ومسؤوليا ته.

– وكانت حياته الخاصة منظمة بدقّة؟ في عبادته ومواعيد نومه وراحته، وطعامه وشرابه، لا يخرج عن نظامه في ذلك إلاّ نادرأ.

– وكان يغرس في طلاّبه حبّ النظام والانضباط، ويعلّمهم أنّ ذلك من اخلاق الإسلام التي استهتر بها كثير من المسلمين، فيحثّهم على تنظيم حيا تهم، وأداء واجباتهم في وقتها، ويرون مصداق ذلك في شخصيته وسلوكه، فيستجيبون لنصحه وتوجيهه.

– وفي ميدان تربيته لإخوانه وعلاقته بهم تجلَّت شخصية الشيخ القيادية الموهوبة، وادارته الدقيقة الحازمة، إذ كان يرى أن ذلك من لبّ الإلملام وروحه، ومن أهم ما ينبغي أن تعنى به الجماعة التي تريد خدمة الإسلام، وبناء جيل إ سلامي راشد.

– وكان برى ا لانتظام والانضباط عبادة من العبادات التي فرّط بها المسلمون وأهملوها، وأن ظاهرة التستب علّة من أسوا علل العاملين للإسلام المستشحرية في صفوف التجمعات الإسلامية، وهي في القادة والمسؤولين أفحش وأشنع.

– هذا وقد اصطبغت توجيهاته وتعليماته لإخوانه كلها بهذه الصبغة:

1 – فالاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، له نظامه الدقيق،

63

(63/1)

وبرنامجه المعلن، الذي يلتزم به الإخوة المعتكفون بدقّة.

2 – والرحلات التربوية الهادفة مع ما فيها من ترويح عن النفس، لها نظامها الدقيق، وهي مضبوطة، بدءاً من الاستيقاظ للتهجّد إلى مثيله من اليوم التالي، لا وقت فيها للفوضى، أو العبث وضياع الوقت فيما لا يجدي.

3 – والدروس الخاصة للإخوة لا يسمح بالتأخر فيها أكثر من خمس دقائق يعدها فرقاً يتسامح به بين الساعات.

4 – والأعمال المطلوبة من الإخوة يحاسبون ويتابعرن على أدائها في الوقت المحدد.

5 – ولكل اخ برنامج تربوي شامل بحسب سنّه ومستواه، فيه وصايا إسلامية متنوعة يسال عن تطبيقها، ويحاسب على مدى الالتزام بها، وتناقش معه أسباب تقصيره وضعفه (1).

– ومن اولى الرسائل الدعوية التي كتبها الشيخ رحمه الله، وكانت مادة توجيهية وتربوية لجميع إخوانه؟ رسالة بعنوان: (ضرورة العمل الإسلامي المنظم الواعي) ثم ضمّنها بعد ذلك في كتابه: (الدعوة إلى ا لإسلام وأركانها).

4 – قوية عزيزة، مهيبة محبوبة:

كنتَ إذا جالستَ الشيخ يجذبكَ تواضعه الشديد، وتأسرك دماثة أخلاقه، ولطف معشره، ولكنك ترى إلى ذلك شخصية قد زانتها القوة في الحق والاعتزاز بالإسلام، يبرز ذلك في لهجته وحديثه، وتعامله وموا قفه، وكان كثيراً

ما يتمثل بكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " نحن قوئم أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزّة بغيره اذئنا الله. . . ".

وقوة الشيخ في الحقّ وعزة نفسه، جعلت له في قلوب الناس مهابة (1)

ينظر ما كتبه الباحث في كتاب: (أصاليب تربوية ومواقف دعوية من حياة الشيخ أحمد).

وتقديراً، ومع تلك الهيبة فقد كانت شخصيته محبوبة، بما كان عليه من حكمة ولباقة، وذوق في التعامل مع الناس ولطف وبعدٍ عن الانتصار للنفس، أ و السعي وراء حظوظها، فكان قريباً من قلوب مَن يعرفونه أو يخالطونه.

وبعد؟ فإن جمع الشيخ رحمه الله تعالى بين هذه الخصائص والصفات في شخْصيمْه كان محل إعجاب الناس به، وسرّ نجاحه في حياته ودعوته، وإ لا فإن كثيوأ مق الناس من تكون له بعض هذ 5 الصفات، ثم يكون له ما يضعفها أ و يذهب بها، من أخلاق أخرى وصفات.

0 أثر شخصيته في منهجه ودعوته:

ولقد انعكست شخصية الشيخ على سلوكه ومنهجه ودعوته، فتلمح تلك الشخصية بمزاياها في كل جانب من جوانب حياته الخاصة أو العامة، ونعدّد هنا بعض النماذج، فمن أهم هذه الآثار:

1 – ا لأخذ با لعزائم وا لبُعد عن تتبع ا لرخص، وا لأ قوال الضعيفة أ و الشا ذّة.

2 – الحرص التام على التزام الستة، والعمل بها، وإ حيائها.

3 – الدقة في الإعداد والتكوين، والحرص على الاتّزان في بناء الشخصية ا لإسلا مية.

4 – الاعتزاز بالإسلام، والصدع بالحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم.

0 صفاته الإيمانية:

ونتحدث في هذه النقطة عن صفات الشيخ الإيمانية، التي رأيناها في حياته ومواقفه، وكان لها تأثيرها في سلوكه، وفي استجابة الناس لفكرته ودعوته، وذلك في النقاط التالية:

1 – عقيدته وعبادته:

أما عقيدته؟ فهي عقيدة أهل السنة والجماعة، بمفهومها الصحيح، ومدلولها الواسع، ومنهجه في فهمها، وتدريسها، والكتابة فيها هو منهج

65

(65/1)

السلف الصالح، البعيد عن التكلفات التي لا طائل تحتها، فهو يؤمن بالصفاات كما جاءت، ويفوّض في المتشابهات، ويصف الله سبحانه بكلّ كمالٍ وصف به ذاته او وصفه به رسوله جم! م، وينزّهه سبحانه عما لا يليق به، وقد حرص الشيخ على تربية أبنائه دهاخوانه على أساس هذا الصفاء العقدي، وكَتبَ سلسلةَ العقائد لعامّة المسلمين بأسلوب سهل ممتع ميسَّر، وبلغة مناسبة للعصر، على هدي الكتاب والسنّة، وبالأسلوب الفرَاني في عرض العقيدة وتثبيتها في القلوب، مِع الحرص على توضيح الحقائق، والإجابة عن الإشكالات وكشف الشبهات دُا).

– وكان حريصاً رحمه الله على تثبيت العقيدة في قلوب طلابه في المدارس، وبثّ حقائقها، والإجابة عن شبهاتهم التي تتعلق بوجود الخالق سبحانه، وبالقضاء والقدر، التي يثيرها الملاحدة وأعداء الإسلام، فيضرب لهم الأمثال، ويجفي الشبهات، ويحاورهم بحكمة وهدوء حتى تذعن عقولهم لمنطق الحق وحججه.

– وأما عبادته؟ فقد حدَثنا عن مجاهدته الشديدة لنفسه، أول إقباله علي! التم! ك بالسنّة وشغفه بالعلم، وقد تاثر في ذلك بكتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي رحمه الله، فأخذ نفسه بالمجاهدة الشديدة، حتى نحل جسمه، واصفرّ لونه، ثم عاد إلى الاعتدال، الذي هو منهج السنّة النبوية في العبادة والعمل كله، فكان حريصاً على الاتباع في عباداته والاعتدال فيها.

وكان محافظاً على نوافل العبادات حريصاً على التهجّد من الليل سفراً وحضراً، يربّي أولاده على ذلك، ويحثّ إخوانه ويوصيهم به ولو ركعتين من الليل.

وكان يحرص على قيلولة النهار والنوم المبكّر، فلا يسهر إلا لمصلحة شرعية راجحة رعايةَ للاستيقاظ في وقت السحر، واغتنام نفحاته المباركة.

(1) انظر ما جاء في الفصل الثاني من هذه الدراسة من التعريف بسلسلة العقائد.

(66/1)

وكان كثير الذكر دته عز وجل، ويظهر ذلك من حضور قلبه مع الله تبارك وتعالى، ورقته وسرعة دمعته، وشدة اعتباره واتعاظه بكل ما يرا 5، أو يسمعه.

وكان محافظاً على آذكار السنة وآدعيتها وآدابها، يأخذ بها، ويعلّمها إخوانه في كل مناسبة، ويحث على حفظها وادائها في أ وقاتها.

وكان حريصاً على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان المبارك مق كل عام، ويحث إخوانه على ذلك، ويضع لهم نظاماً دفيقاً متنوّعآ، يملأ الأوقات خلال! اليوم كله، يُعلنه للإخوة، ويلتزمون بتنفيذه بدقّة، منه ما هو مشترك، ومنه ما يؤدّى بصورة فردية.

وآما رحلاته للحج والعمرة؟ فهي باب فريد من أبواب عبادته ونشاطه، وفنّ عجيب من فنون حبّه دئه ورسوله! لمجيبه، وشوقه المتأجج وحنينه، يشهد بذلك كلّ من خالطه، أو أكرمه الله بصحبته في رحلة من هذ 5 الرحلات المباركة.

وكان يشترط على من يرغب بصحبته في سفر الحج أن يستجيب لكل ما يرشده إليه من سنن وآداب واوامر شرعية. . وكان يقول!: " إننا نذهب إلى الحج لنتخلّص من ذنوبنا واوزارنا، فكيف نصحب معنا من يصرّ على المعصية، ونخالطه ونجالسه، وهو يأبى ان يتخلّى عن مخالفة هدي النبي! ييه؟! إن من شرط المرافقة الموافقة. . . ".

وقال مرة لبعض التجار وقد أراد صحبته في رحلة الحج: "إن شروطنا

شديدة قد لا تتحملها – يريد ان يحمّسه بذلك – قال: وما هي؟ قال: " ألاَ يصز مرافقنا على معصية، أو مخالفة للسنة. . . " قال: افعل، قال: "فمن الاَن، عاهد النّه على ألا تحلق لحيتك "، فاستجاب وصحب الشيخ، وعاد محافظاً على كثير من الاَداب والسنن التي تعكمها في ذلك السفر المبارك.

وكان يعدُ رحلة الحج والزيارة شفاء لقلبه وروحه وجسده، ويقول:

"إنني اقضي نصف العام في ذكريات الحج والزيارة، ونصفه الآخر في الشوق والحنين إ لى تلك الديار".

67

(67/1)

---

2 – ولاؤه لئه ورسولى صيم:

وقد كان الشيخ رحمه الله في الذروة ممن عرفنا في الولاء للّه ورسو له 5سض فمن ذلك:

– كنا معه مزة في بعض الرحلات؟ فطلب منا أن نفكر في أرج!! عمل نتقزب به إلى الله ونرجو أن يكون سبب نجاتنا بين يديه سبحانه، ففكّر كلٌّ لتّ! بأعماله، واجاب بشيء من ذلك: ثم سألناه عن أرجى أعماله عنده فقال: "ليس لي كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن آرجى عمل عندي: الحث في ال! هـ، والبغض في الله ". وله شعر كثير، يصف فيه حبه دئه تعالى ولرسوله لمجبهو، وشدّة ولائه، ومنهجه في الطاعة، والحرص على الاتباع الصاددتى (1).

– ومن مظاهر ولائه ايضاً دئه ورسوله ع! يم شذة فرحه بالشباب المقبال على الله تعالى، وكان يقول لنا: "والله إنني آفرج بهؤلاء الشباب كما أفرج باولادي، بل كان بقول: ان بعض هؤلاء الشباب أح! ث اليئ من بعض أولادي ".

3 – تقواه دئه تعالى وخشيته:

كان الشيخ عطيم الخوف والرجاء، كثير البكاء من خشية اللّه، يستشهد كثيراً بأقوال الصحابة واحوالهم، وقد املى علينا في أماليه: (تذكير و. تحذير) طرفاً من ذلك، وكئى نفسه (أبا الرجاء) املاً في رحمة الله وفضله، وما رأيت

رجلاً من أهل العلم بكاء مثله.

وكان كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين، وقد كتبهما في بعض وصاياه:

اكرمَ الاكرمينَ أنتَ رجائي وشفيعي إليكَ أكرمُ خلقِك

اَ أُرى بينَ اكرمَيْنِ مضاماً أو مضاعاً، حاشا الوفا– وحقِّك

ومن تقواه رحمه الله حفظه للسانه ومجلسه عن الغيبة واللغو والكلام فيما لا يعني، ذكر مزة بعض مجالسيه ظالماً باسمه وذكر أفعاله، فتغتر وجه الشيخ (1)

ينطر كتابه: مجموعة العبادات، ص 278، 282.

(68/1)

وقال له: " نره فمك ومجلسك ".

وقإل مرة أخرى في مثل ذلك الموقف: "عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات ".

4 – زهده وورعه:

لم يحرص الشيخ على ادّخار شيء من المال، وكان دخله ي إً بالنسبة لأقرانه، فلو أراد الادخار لترك من بعد 5 ثروة جيّدة، ولكنه كان يرى ان أموإ اسنا في هذا العصر قد دخلتها الشبهات، ولا رخصة للمؤمن الورع أن يدّخر شيئاً منها.

ومن زهد 5 رحمه الله، أنّه كان لا يبالي بإقبإل الدنيا أو إدبارها، قد توكّل على الله في كلّ سأن، وكان كل من خالطه يرى البركة ظاهرة في حياتة وحياة اسرته، ويتمثّل كثيراَ بقول سلمان الفارسي رضي اللّه عنه: "أنا عبدٌ في بيتِ سيدي، ما أطعمني أكلت، وما كساني لبست ".

وكان من سيرته انه يضع راتبه في صندوق صغير على رفّ ظاهر في البيت، فمن لزمه شيء من أولاده اخذ منه دون سؤال، فإذا نفد ما في الصندوق، استدان من بعض إخوانه إلى أن يحلّ الشهر الجديد فيفي ما استدان، ويضع ما

بقي في الصندوق.
وكان يوشع على آسرته توسيعاً ظاهراَ فيما أحلّ الله وأباح، في 1ممبيل
حملهم على الالتزام بمنهج الله.
وكان يرى ان الدنيا اتفه من أن يحاسب المؤمن عليها إخوانه، أ و
يخاصم أحداَ فيها، وكان يقول: " والله! لو أن الدنيا كانت لقمة، وكان في
نقديمها لأحد هدايته، لقدَمتها مسروراً، وكنتُ الرابح بذلك"
5 – أدبه وحياؤه:
وكان الشيخ عظيم الأدب مع الله ورسوله! يك، يتجلّى ذلك في شذة
تمسّكه بالدين، ودقة اتّباعه للمصطفى! يك، وأخذ 5 بهديه، وإنكاره الشديد على

من يتوقف عن الطاعة والاتباع، لأنه لم يفهم الحكمة من الأمر والنهي، أو لأيّة
علّة يتعلّل بها.
ومن أدبه مع الله ورسوله ع! بم، أنه كان لا يذكر اسم الله إلا با اصْعظيم
والتمجيد والحمد والثناء، ولا يذكر اسم رسوله ع! يم إلا بالصلاة والسلام عليه
وعلى آلى، مع توقيره وإجلال مقامه.
وكان من ادبه مع أصحاب رسول الله ع! بيه نهيه عن الخوض في اختلافهم،
لأنهم مجتهدون مأجورون، يبتغون نصرة الحق ورضوان الله، وكان يذكّر دائماً
بفضلهم وسبقهم، ومواقفهم العظيمة في الجهاد والنصرة، فكيف يسبقهم سابق
أو يدرك فضلهم لاحق؟ وقد اختارهم الله لصحبة نبيه جم! م فجعلهم خير القرون،
وكانوا خير امة أُخرجت للناس.
ومن أدبه انه كان يدعو إلى حسن الظن بالعلماء السابقين وأئمة الدين،
وكل من عُرف بعلم أو صلاح، أو اشتغال بهداية الخلق، وأن تحمل أقوالهم
وأحوالهم على ما يوافق الشرع، فإن لم يمكن نردها ولا ننسبها إليهم، ونعدّها
قد دشت عليهم من أعداء الإسلام أو من ح! ادهم، ليكون المؤمن دقيقاً في
أحكامه سليم الفلب، حسن الظن بالمسلمين.

وكان يجل علماء عصره، الذين عرفوا بالورع والتقوى، والاستقامة في العلم والعمل، ويستفتيهم ويستنير بآرائهم، وقد رايته مرّات يقبّل يد بعضهم.

ومن أدبه أنه كان لا يواجه احداً بما يكر 5، بل يكنّي ويلمّح بألطف الكلمات والكنايات كما هو أدب القرآن والسنّة النبوية، ولكنه لا يستحي من قول الحق والصدع به.

وقد خُتمت حياته رحمه الله وهو يكتب كتاباً جامعاً عن الاداب الإسلامية، فكتب جزءاً منه، ثم اشتد به المرض، ووافته المنية، وأقبل على ر–بّه بآدابه التي عاش حياته في رحابها (1).

(1) لم يعثر على مخطوطة هذا الكتاب فيما عثر عليه من مخطوطات كتبه.

---

6 – احياؤه للسنة وتعظيمها، وحرصه على الاتّباع الكامل لرسول الله! م! يم:

مزَ بنا خلال هذ 5 الدراسة نماذج عديدة من إحيائه للسنة، وحرصه عإى اتباع المصطفى! لجفه، فلقد امتزج حبه للسنّة، والحرص على إحيائها وإتّباعها بلحمه ودمه، وكانت غيرته على تهاون الناس بها تفوق كل غيرة.

واسمع اليه يقول: ". . . فالمسلم الكامل يحرص على السنة حرصه على الفرض، لأن التهاون في السنة يؤدي إلى التهاون في الفريضة، ويفرّ من المكروه فراره من الحرام، لأن التهاون في الحرام، وارتكاب الصغيرة، يسوق إلى اقتراف الكبيرة. . والإسلام كل لا يتجزا، وليس من شأن المسلم الكامل أن يمتثل امراً، ويخالف آخر، وإلا كان كالذين قال الله فيهم: " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعضِى أتكِنث وَتَكفُرُوتَ ببَغفن " 1 ا لبقرة: 5 8).

المسلم الكامل لا يقول مثلاً: إنَّ اللحية سنّة يجوز تركها، والنظرة الحرام صغيرة لا يضز إطلاقها، وخاتم الذهب في يد الرجل يسير يتغاضى عنه، والأمر الفلاني مستحبّ، فلا بأس بتركه. . لا، من قال هذا فقد حلّ من ثوب إسمه عروة، وعرض عراه إلى الانحلال. . من قال هذا، رضي بهدم حجر من صربخ إسلامه، وعرَّضه للخراب والدمار. . من قال هذا، نزل من ا وج إسلامه درجة،

ومنها إلى اخواتها وانحدر بعدها إلى الحضيض. . من قال هذا، انحرف عن صراط الإسلام السوقي ومحجته البيضاء درجة، ثم يبتعد عنه، ومن ابتعد ضل في الفيافي والقفار. . ومن هنا أصيب المسلمون في دينهم، ووصلو! إلى ما نرى من تضييع وضياع ".

وكتب رسالة: (التكريم الصادق بالاتباع الكامل) لتعريف الناس بحقيقة الح! ث الذي يريده الله ورسوله! لخو منهم، ولإحياء روح الاتباع للسنّة في قلوب الناس، والرذ على اولئك المدعين للمحئة بغير عمل او اتباع، ووزعت تلك الرسالة في مناسبات احتفال الناس في شهر ربيع الأول.

7 – اخلاصه ونصحه، وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

كان لكلام الشيخ تأثير واضح في القلوب، مما يدلّ على قوة إخلاصه

وصدقه، فكم من كلمات يسيرة ألقاها على بعض من تعامل معه أو التقا 5، فكانت سبباً في هدايته وتغيير مجرى حياته.

وكان يلاحظ علينا دقائق الملاحطات في انفسنا وءإداتنا وأخلاقنا ومظاهرنا فينصحنا ويوجهنا في الوقت الذي لم يرَ كثير منا من آبائهم وأهمات! هم مثل ذلك، مما يؤكد على أن اثر العالم الداعية المربّي، أعظم من أنر الوالد وأبقى.

وكان رحمه الله لا يكون في مجلس عام أو خاص إلاّ وينصح ويذكّر، ويتحدّث عن علل الأمة وادوائها، ويلفت الأنظار إلى خطر المعاصي التي وقعت فيها على الفرد والجماعة.

واما امره بالمعروف ونهيه عن المنكر؟ فقد كان يراه الركن العظيم الذي تهدّم في حياة المسلمين الاجتماعية، دياقامته سرّ الحفاظ على تعاليم الإسلام حية، كما ان إهماله من قِبَل العلماء والدعاة ادى إلى عودة الإسلام غريباً كما بدا، وشيوع الجهل بالإسلام، وانتشار المفاسد والمنكرات، وكان يرى أن من

عزيمة الداعية، ألا يقز منكراً في مجلس يجلسه، أو مناسبة يحضرها، وألاّ يسكت عن إنكاره، متحلياً بآداب ذلك وشروطه، واتّخاذ سبيل ال! كمة والموعظة الحسنة في إنكار المنكر، وكتب في ذلك كتابه: (الأمر بالمحروف والنهي عن المنكر)، ولقد عُرف رحمه الله بين الخاصة والعامة بحرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مناسبة.

ولكنّه كان حكيماَ في اسلوبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حريصاَ على استجابة المدعو، وقبوله للنصيحة وعمله بها، يبذل من ماله وجهده لإزالة المنكر، دماقامة المعروف بغير حساب.

وكان شديد الغيرة على حرمات الله إذا انتهكت، يرى في وجهه الغضب والحزن الشديد عندما يسمع بمنكر من المنكرات، وكان يرى أن المنكرإت العامة لا يزيلها إ لا اجتماع كلمة العلماء، ومراجعة المسؤولين فيها، فكان دائب السعي لجمع كلمة العلماء لهذا الغرض.

(72/1)

وطبيعة الشيخ العملية، جعلته لا يتحدّث عن المنكرإب حديئأ عاماَ، هانما ترجم ذلك إلى أسلوب عملي، فكتب مذكرة تحت عنوان: (موقف المسلم الحق من منكرات الزمان)، فصّل فيها المنكرات التي فشت في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، وبتن ما يجب على المؤمن في إنكارها، وأملاها علينا في مجلس: (تذكير وتحذير) ثم ضمّن بعضَها كتابَه: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

8 – قوَّته في الحق وصلابته، وجرأ ته وصراحته:

قوة الشيخ في الحق وصلابته كانت سمة ظاهرة تميّز حياته وشخصيته، فما أكثر ما كان يذكرُ ويذكّر: "!! داء بعض الدعاة فضلاً عن عامة المسلمين أنهم ضعفاء مهازيل، مستكينون أمام الأهواء والشهوات، منهزكمون أ مام المغريات والملهيات، يتمكن من رقابهم الباطل في أول جولة من صراعهم معه، وإن

أعظم ابتلاء لدعوة الإسلام أن يدّعي نصرتها من لا يكون قوياً في الحق، صلباً في دين الله. . . " (1).

أ – وإن من قوة الشيخ في الحق، وحرصه عليه، وجرأ ته فيه: أنه لم يكن ليؤثر عليه أهلاً ولا ولداً، ولا صديقاً ولا قريباَ، ولم يكن ليبالي بمخالفة الناس له أو موافقتهم (2)، هاذا ظهر له أنّ الحق مع مخالفه سرعان ما فاء إليه ولزم ركابه، وكان يقول: "إن أعناقنا جسر للحق وأهله "، ويقول أيضاً: " إن ولدي وأبعد الناس عندي في الحق سواء!.

ب – وكان إيثاره للحق وحرصه عليه يحمله على أن يشتذ على أهله وولده أكثر من الآخرين، وكان يتمثّل بما أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا اراد أن يأمر الناس بشيء جمع أهله وولده وقال لهم: " إني أريد ان آمر الناس

(1)

(2)

من امالي الشيخ في (تذكير وتحذير).

وقد مرَ بنا قريب من هذا الكلام في شهادة الدكتور نور الدين العتر في المبحث الاول من هذا الفصل.

(73/1)

بكذا وكذا، ووالله لا يبلغني ان احداً منكم خالف ما امرتُ الناسَ به، أو وقعَ فيما نهيتُ الناصَ عنه إ لا أضعفتُ له العقوبةَ لمكانه مني ".

ب – ومن حرصه على الحق وايثاره له: طلبه للنصيحة من إخوانه، ومن الناس بصورة علنية، وفي مجالسه الخاصة والعامة، وفرحه بالنصيحة التي تُقدَّم له، وشكره لصاحبها ومكافأته عليها، حتى ولولم يتأكّد له وقوعه فيما يخالفها.

أذكر ان بعض الشباب قدم للشيخ نصيحة أنه رآه يشبّك بين اصابعه في احد دروسه العامة، وهو مكروه كراهة تنزيه في المسجد، فقبل الشيخ نصيحته، وقدم له عليها هدية، وبلغه ان محبته ازدادت في قلبه، مع أنه لا يذكر أنه فعل

ذلك (1).

د – وله شعر لطبف في بيان حرصه على الحق، وإيثاره على الخلق، وهو من اقدم شعره، أذكر منه هذين البيتين:

إنَا مع الحق إذ ما الناسُ جهلاً أعرضوا

ولا نبالي! و إن سخطو أو إن رضوا

واسمع الشيخ يعبر عن تصوره لما ينبغي ان يكون عليه الدعاة إلى الله تعالى العاملون، من قوةٍ في الحقّ وحرصٍ على اتّباعه، في هذا النداء الذقي يوجهه إليهم: "اصدقوا الله يصدقكم، اَمنوا بالئه كما اَمن به المسلمون الأؤلون، وأخلصوا آعمالكم له، واستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. . ابدؤوا بأنفسكم، جاهدوها في الله، واحملوها على تقوى الدّ، واستقيموا على دين الله. . كونوا مسلمين، واعثروا بالإسلام، وآعلنوا اعتزازكم به، وارفعوا رؤوسكم عالية، فإنكم إذا فعلتم، كنتم خلفاء الله في الأرض. . مُزوا بالمعروف، وانْهَوْا عن المنكر، ولا تأخذكم في الحق لومة لائم. . إن الإسلام (1)

وجاء في شهادة آستاذنا فضيلة الثيخ محمد العوامة قصة مشابهة عن الثيخ رحمه الله.

الذْي تنتسبون اليه، وتُعرفون به، يناديكم، وششصرخ ضمائركم، فكونوا له ا لأنصار، والْدوه با لأموال وا لأرواح، كما فعل المسلمون الأولون " (1).

أخلاقه وشمائله:

ونتحدث في هذ 5 النقطة عن أهئم أخلاقه التي كان يتحلّى بها في حياته الاجتماعية مع الناس، مع أهله وأولاد 5 هاخوانه ومحثيه، حتى مع مخالفيه في الرأي والمنهج، ولا شك أن بين النقطة السابقة وهذه النقطة تداخلاً واتصالاً، ولكئنا مثزنا بين النقطتين من حيث غلبةُ الجانب الإيماني على النقطة السابقة،

وغلبة الجانب الاجتماعي على هذ 5 النقطة.

ونجمل حديثنا عن ذلك فى النقاط التالية:

1 – صبره وحلمه وحُسن خُلقه:

إنَ كل من خإلط الشيخ أحمد يشهد بما كان عليه من حسن الخُلق وكرم الطبع، وما سيأتي من الحديث ليس إلا تفصيلاً لما أكرمه الله به من أخلاق نبوية، وشمائل محببة.

أما صبره وحلمه؟ فأول ما يطالعنا من صبر الشيخ رحمه الله وجَلَده؟

صبره نفسه على المنهج الشديد الذي هداه الله إليه، من مجاهدة النفس على طاعة الفه، وطاعة رسوله بلَخيو، والشم! ك بسنن الإسلام وآدابه، والصبر على أذى الناس في ذلك، وبخاصة إذا علمنا أن المرحلة التي عاشها الشيخ في نشأته كانت مرحلة انفصال بين فئتين من الناس، فئة المشايخ وفئة عامة المثقفين، هذا الانفصال الذي فرض عزلة على المشايخ أن يدخلوا ميادين الحياة الاجتماعية والتعليمية، وتلك العزلة جعلت الوطأة شديدة على من يريد أن يقتحم ميدان المشايخ من عامة المثقفين، أو من يحاول ان يُقحِمَ المشيخة إلى ميدان عامة المثقفين، ويعيشها في أجوائهم.

(1) ا نظر: (ا لدعوة إ لى ا لإسلام وأركا نها)، ص 2 2.

وبعد انطلاق الشيخ بنشاطه في الدعوة، لقي أذئ كثيراً من فئات عذة من الناس، لأن منهجه خالف منهجهم، او تعارض مع ما ألفوا في حياتهم، أ و تعصباً لاتجاهات وانتماءات، فأعرض عنهم وصبر، وأمر إخوانه ألا يقابا! ا الإساءة بمثلها.

2 – عفوه وصفحه، وسلامة صدره:

إنّ المؤمن عندما يحكم صلته بربه، ويسعى جهده في مرضاته، يغطّي حاله مع الله سبحانه، من الانس والرضا والفرح بالئه والشعور بقربه، عإى

علاقته بإلناس وعلاقة الناس به، فلا يبالي اي موقف وقفوا منه، يحرص على هدايتهم واستجابتهم، ويغتتم لغفلتهم وإعراضهم، ويشفق عليهم أن يعزضوا انفسهم لغضب الله، ولا يتأثر بإيذائهم وإساءتهم، لأنه يرى الناس مرضى، والطبيب العاقل لا يغضب من المرضى، بل يشفق عليهم ويعذرهم.

ولقد حدَثنا الشيخ بهذه المعاني كثيراً ووجّهنا إليها، ولمسنا تحققه بها في مواقف عديدة، فمع شدة تم! ك الشيخ بالحق وغيرته عليه، فقد كان لا يحمل في قلبه على مخالفه غلأ او حفداَ، لأن خلافه معه كان دئه، وتلك معادلة صعبة، قل مَن يستطيع التحقق بها من دعاة الإسلام.

– وكان كثيراً ما يتمثّل الإمام الشافعي رحمه الله، وقد ضمّنه إحدى وصاياه:

مَنْ نالَ مِنِّي او علقتُ بذِفَتِهْ سامحتُهُ دئهِ رَاجِي مِئتِهْ

كيلا اعوّقَ مؤمناَ يومَ الجَزَا ولا أُلسِيءُ محمَّداً في أُمَّتِهْ

3 – جوده وكرمه:

عرف الشيخ بين اهله وإخوانه، ومحبيه ومعارفه، بالكرم والجود فهانت عليه الدنيا على قدر عظمة الآخرة في قلبه، وكان كثيراً ما يقول: " أقبح من كل قبيح صوفيّ شحيح. .."، وكان يعجب مما يرى عليه بعض الأغنياء من شِح بالمالط وحرص عليه، وتلكؤ عن الإنفاق في سبيل الله، ويقول عنهم: "إئهم فقراء مهما ملكوا! ".

وكان يستقل ما يبذل في سبيل الدعوة وهداية الناس، وكثيراً ما يقول في مجالسه: "لو كانت الدنيا كفها لقمة، ووضعت في فم إنسان لهدايته، لكانت قليلة في جنب الهدابة ".

ومن مظاهر جوده وكرمه، ما كان عليه من كرم الضيافة، والتوسيع على أهله وأولاده بما احل الله، وكان ذلك جزءاً من منهجه التربوي، الذي سار عليه

ودعا إ ليه.

وكل من نزل ضيفاً بالشيخ يعجب لما يرى عليه من حسن وفادته، وكرم ضيافته، ومباسطته وإكرامه، وعزمه عليه في الطعام والشى اب، أخأ–إً بالسنّة النبوتة وهديها في ذلك.

ومن نماذج بذله وإنفاقه في سبيل الله أنه عندما جرت اعمال تجديد (جامع أ. ي ذر) وتوسعته، اراد ان يساهم بما يستطيع من ماله، وكان ضيّق ذات اليد يومها، فحمل (سجادة عجمية) من بيته، هي من أنفس السجاد، هول يملك سواها، وفرشه! في (جامع أبي ذر) وترك غرفة نومه جرداء، واستقبلت ذلك زوجه بالتشجيع والفرح والرضا (1).

4 – تواضعه وعزّة نفسه:

عرف الشيخ بين إخوانه بشدة تواضعه، ولين جانبه، وخفض جنا حه لعباد الله.

فكان يظهر عليه ذلك في ملبسه ومشيته، وفي لين قوله وحُسن كلامه.

ومن تواضعه أنه كان يكره أن يتميّز عن إخوانه بشيء، فلا يرضى القيام له إذا دخل مجلساً من مجالسه الخاصة أو العامة، ويكره أن تُقبّل يده مع انه يرى أن تقبيل يد العالم والوالدين والرجل الصا لح كل ذلك مكرمة وفضيلة، وما كان يرى ذلك لنفسه تواضعاً منه رحمه الله.

(1)

وقد حدثني والدي رحمه الله بهذ 5 القصة.

77

(77/1)

وكان يخدم نفسه بنفسه، ولا يرضى ان يخدمه أحد من إخوانه، فكثيراً ما كنا نرا 5 يحمل من السوق حاجاته، فلا نستطيع بشقّ الأنفس أن نحمل عنه، وستشهد لنا بقول علي رضي الله عنه: " صاحب الحاجة احق بحملها".

وإذا تمكن احد إخوانه فحمل عنه بعض حاجاته فلا يعطيه إلا تألفاً لقلبه،

ثم يكرمه بشيء مما معه، ولا يكتفي بشكره باللسان، فإذا أبى قال له: " سايرتك فساير ني ".

وكان يبدا من لقيه بالسلام، وبثاشة الوجه، ولو كان شاباً صغير السنّ.

وفي الاعتكاف كان ينام بيننا، ولا يتميز عنا بشيء.

وفي الرحلات كنت ترا 5 أكثرنا حملاً للمتاع، وأعظمنا تحمّلا للمشاقّ، يخدم إخوانه، ويعين اهل المطبخ في اعمالهم من طبخ الطعام، وغسيل الاواني، وتهيء الطعام، وترتيب المكان.

وكان في بيته يخدم أهله، فكثيراً ما كان يخرج إلينا وعلى يديه اثار ذلك، وهو من اتباع السثة، وحُسن العشرة.

وكان يخدم ضيفه بنفسه، ويقدّم له الفاكهة المقشّرة، وربما أ طعمه بيده.

5 – حدته وكضبه، ورحمته وضفقته:

كان في الشيخ رحمه الله حِذة هي من طبعه وخِلقته، وهي لا تضير المؤمن ما لم يسئ إلى احد، او تدخله في باطل، أو تجعله يحيد عن الحقّ، والمؤمن سرعان ما يفيء إلى الحق إن لخت به الحِدة، او أخرجته عن مقتضى الحكمة، فيهدأ طبعه، وتسكن نفسه، ويعالج الموقف بالحكمة وحسن الخلق.

وأما غضبه؟ فما رأيته رحمه الله غضب لنفسه قط، أو انتصر لها، وإنما كان غضبه دثه تعالى، ورضاه دئه تعالى، وبشتدّ غضبه ويزداد على حسب عِظَمِ المنكر وخطره.

أما رحمته وشفقته؟ فلئن غلبت على الشيخ الشدّة والحزم، والقوه والعزم، ولكن ذلك لم يكن مجانباً للحكمة، أو بعيداً عن الشنمقة والرحمة بعباد الله، فمن امثلة ذلك:

فمن رحمته بأولاده وشفقته، انه كان لا يوقظهم إلى التهجّد في الشتاء، حتى يسخن لهم الماء للوضوء، ويدفئ لهم البيت الذي يريدون الصلاة

فيه، وهذا ايضاً من اسلوبه التربوي لتحبيبهم بالطاعة، وترغيبهم بها.
ومن رحمته وشفقته، أنه كان يحثنا دائماً على الاعتدال، وإعطاء أنفسنا حظها من النوم والاستجمام، كيلا تمل العمل الصالح، فتسأم وتقطع عن عمل الخير.
ومن أجمل نماذج شفقته ورحمته: موقفه في رعايته للأيتام وتو جيههم، فقد طُلب منه ان يرسل بعض إخوانه لتوجيه طلاب الميتم الإسلاميئ، التابع للجمعية الخيرثة الإسلامثة بحلب، وكان الأيتام فيه مسيّبين دون أيّ توجيه ديني او رعاية تربوية، فكثرت فيهم المشكلات الأخلاقية، والانحرافات السلوكية، وخان بعض القائمين عليهم الأمانة، وتبع ذلك تخلّف كثير منهم دراسياً، فجمع الشيخ بعض إخوانه الذين اختارهم لهذا العمل، وكإن الباحث أحدهم، وشدّد علينا في الوصية بهؤلاء الأيتام، وأكد لنا ان مهمتنا معهم التحبّب إليهما، والتحبيب لهم بالإسلام، وهي تتعارض مع استعمال الضرب مطلقاً، وعندما رأينا واقعهم عانينا منهم مظاهر كثيرة من فساد التربية، الذي يرى غير المتمرس بالتربية انه لا يفلح معها إ لا الضرب واستعمال العصا، فحدَثْنا الشيخَ عما رأينا وقلنا: إنَ الضربَ امر لا مفزَ منه مع هؤلاء، إئهم احداث جانحون، فأصرّ علينا ألأ نفعل مهما يكن الأمر، وكان رحمه الله كفما عرض عليه هذا الواقع، أصرّ على منع الضرب، وبعد سنوات أثمر أسلوب الشيخ التربوي مع هؤلاء إليتامى، وظهرت منهم ثفة سوثة، مستجيبة لدين الله ودعوته، مفبلة على الخير.
وكان الشيخ يوليهم عناية خاصة، فيزورهم بين الحين والآخر،

ويوخههم، ويفدم لهم انواع الحلوى والضيافة، ويهديهم بعد الحج بطاقات عن مناسك الحج ومشاعره، مما ترك في نفوسهم اطيب الأثر.

6 – بزه وصلة رحمه، وخدمنه لأهله ومروءته:

وكا ن رحمه الله بَزاَ بأهله وا و لاده، بزاَ بإ خوانه، بز أ بطلاّب ا لعلم وا لعلماء.

فأما بزه بأهله وأولاده؟ فقد كان على غاية من حُسن الخُلُق معهم، ولُطف المعشر، وسمؤ المعاملة، والتكريم بما استطاع من المباحات ترويحاً عن نفوسهم، وتجديداً لنشاطهم على طاعة الله تعالى، وكان يتمثّل لذلك بما روى في الحديث: "رحم الله والداًاعان ولدَه على بزه " (1).

قإل لي مزة ولده الشيخ محمد ابو النصر رحمه الله: " انَّ برّ الوالد بنا يفو! مزات كثبرة بزنا به، وهذا شعوري وشعور جميع ا لإخوة والأخوات "، وحعذا من اصدق المعايير التي تثبت نجاح الوالد في علاقته بأولاده، وأدائه لحق الأبؤة التربوفي على الوجه الأمثل.

ومن بزه بزوجه ووفائه لها انه صبر على مرضها ثماني سنين، ولم نسمع منه خلال ذلك أي تضخر او تبرم، بل كان خلالها على غاية من الإحسان والخدمة، والحثٌ لأولاده على مضاعفة البز بامهم، والتنافس في ذلك، وعندما تزؤج زوجه الثانية حرص الا يبلغ هذا الأمر إلى زوجه الأولى بزاً بها، وحرصاً على خاطرها، واكّد على اولاد 5 وبناته ذلك.

وأمَا برّه بإخوانه؟ فقد كان يتفقد أحوالهم، ويرعى شؤونهم بنفسه ويتابعها، ويقدم ما يستطيع لكشف كرباتهم، وتفريج همومهم، وكان يقدم مساعدات دورية لبعض إخوانه المعسرين، او الذين لا دخل لهم، ولا يدّخر وسعاً في ذلك.

(1)

رواه أبو الشيخ بن حبان، في كتاب الثواب، من حديث عليئ وابن عمر رضي الله تعالى عنهم بسند ضعيف، كما في تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 17 2.

وكان يولي طلاب العلم الشرعي عناية خاصة، وبراً أكبر، لما يرى من إجحاف المجتمع بحقوقهم، ولما في بزهم من العون لهم على اداء رسالتهم التي فيها الخير الأعتم للأمة.

وبلغ من برّه لطلاب العلم الشرعي انه كان لا يقدّم على طالب العلم في تزويج بناته أحداً، وقد زوّج أكثر بناته لطلاب علم لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً.

وأما صلته لرحمه؟ فقد كان حريصاً على صلة أرحامه، يحسن إليهم ويكرمهم، ويحرص على زيارتهم في كلّ مناسبة، ودعوتهم إلى الخير وتذكيرهم.

7 – حكمته وبديهته:

كان الشيخ رحمه الله حكيماً في فهمه ومنهجه، حكيماً في مواقفه واسلوبه، وكان من حكمته في مواقفه حرصه على الشورى في معالجة أمور إخوانه، وفي علاقته مع العلماء والمشايخ.

– وكان حاضر البديهة، مسدد الإجابة، وتتجفى بديهته في إجاباته للطلاب ومناقشاته لهم، وبخاصة في إثبات وجود الله، والتعريف بحقائة! الإسلام، والردّ على شبهات أعدائه، فله في ذلك مواقف كثيرة كان يحدّثنا عنها في مناسباتها.

8 – ذوقه ولطفه ومزاحه وفُكاهنه:

وكان رحمه الله على غاية الذوق واللطف، له ذوقه الخاصّ في كلّ أمر، ولا عجب في ذلك بعد ان عرفنا انّ الشيئ كان ذا ذوق فنّي عالٍ في الخطّ والرسم، وذا إحساصٍ رفيع بالجمال!.

فكان له ذوقه الرفيع في الكتابة، يكتب على ورق غير مسطّر باستقامة في الكتابة، لا تختلف عن الكتابة على الورق المسطر، وكان يترك هامشاً من اليمين

عريضاً، وهامشاَ من الشمال اضيق، وينبّهنا إلى فعل ذلك مراعاة لجمال الشكل، وحس! !! مظهر.

وكالْت له اذواقه في المأكل والمشرب والملبس، مع الحرص على

!! بساطة وترك التكفف، فكثيراً ما عدل لأهله طريقة طبخ بعض الأنواع من الماكولات إ لى طريقة أحسن.

وهو أول من ارشد الخئاطين إلى وضع أزرار لجئة المشايخ، كما حدّثني بذلك خئاطه الخاصق، وكانوا قبل ذلك يتركونها بغير أزرار، فهي مفتوحة دائماَ.

وكان من ذوقه ولطفه، أنه لا يواجه احداً بما يكره، وهذا أدب نبويّ عظيم، يستهتر به بعض الدعاة اليوم، بحجّة الجرأة في الحقّ وعدم المبالاة بالناس.

وكان كثيراَ ما يأتيه الآَباء، يشكون أبناءهم لشدة تم! كهم بدينهم، فيتلطف بهم، ويهتثهم على اشقامة اولادهم، ويغبطهم على حُسن نشاتهم وسيرهم، ويذكرهم ان كثيراَ من الناس يضخون من انحرافات أبنائهم، ويتمنّون اشقامتهم، ولو دفعوا في ذلك الألوف المؤلفة، ويبيّن لهم أنه يوخه الائناء دائماً إلى البز بوالديهم، وحسن الطاعة لهم، وينصحهم ألا يمنعوا أولادهم من الإقبال على المسجد، وأن يشعروهم بالفرح بتدينهم، والرغبة في استزادتهم من الخير.

وأما مزاحه وفكاهته، فقد عرف الشيخ بروح الدعابة والمزاح، فكان لا يمل جليسه من فكاهة حديثه، ومداعباته التي تدخل السرور على القلوب.

!! هـ! بهلا

(82/1)

المبحث الرالع

ملامح فكره الدعويّ والتربويّ

تشخصيه لواقع الأمة، وسبيل النهوض بها:

إن كتابات الشيخ ورسائله الدعويّة المتنوّعة خير ما يعزفنا بتشخيصه لواقع الأفة وأسباب تخففها، يقول رحمه الله: " ومن أ برز ا مراض هذا المجتمع:

1 – الجهل بالإسلام 0 2 – ضعف الإيمان.

3 – التهاون بالمعاصي مع الإصرار 4 – التقليد الاعمى.

5 – فتنة النساء. 6 – الرضا بالصلاح النسبي.

7 – ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

8 – إهمال تربية البنين والبنات ".

ويشرح هذ 5 النقاط ويوضحها، ثم يفول رحمه الله: " لكل داء دواء: هذا داء المسلمين، فما هو دواؤهم؟ " فيجيب بقوله: " لا يصلحُ اَخرُ هذ 5 الامة إلاّ بما صلح به أولها، فإذا أراد المسلمون النجاة سلكوا سبيل النجاة، وسبيل النجاة العودة الصادقة إلى دين الله وشرعه، بمجاهدة النفوس على التمسك بالإسلام والعمل بأحكامه، وبالصحبة الصالحة المعينة على السير في هذا الطريق القويم. . ولا بد في ذلك من التاَخي في الله، والتعاون على مرضاة الله، والتناصح في دين الله، والرجوع إلى المساجد، بيوت الله، والاستشفاء فيها من أدران المادة، وعلل المادة، وتغذية الروح بطاعة الله. . أما القعود عن ذلك، والغرور بالأماني، من غير سعي ولا طلب، فلا يوصل إلى غاية، وليس هو من شان العاقلين " (1).

(1) مقدمة الطبعة الثامنة من رسالة (سبيل الهدى والعمل)، ص 4 2.

وواضح من كلامه رحمه الله آن سبيل الإصلاح ان تعود للمساجد رسالتها، وان ينهض العلماء والدعاة من جانب المحراب، ومن آحب البقاع إلى الله، داعين إلى دين الله، يعقدون بين الناس أواصر الحمث والأخوّة في الله، على التناصح والتعاون على مرضاة الله.

وكان يرى أن كثيرأ من العاملين ل! سلام في عصرنا، يقضرون عن تمثيل الإسلام تمثيلاً كاملاً وهم يدعون إليه، أو يخطئون الطريقَ الصحيح في الدعوه والعمل، فلا تتلاءم دعوتهم مع الواقع المعاصر، أو تقصُرُ معالجتهم عق أدواء

الأمة وعللها، فلا تثمر الثمرة المطلوبة، يقول رحمه الله: " نرى كثيراً ممن يدعي الغيرةَ على الإسلام، والعملَ للإسلام، لم يمهدوا الأسباب الموصلة إلى هذه الأمنية الغالية، بل ساروا في طريق ملتوية واهمة لا تحقق لهم غاية، ولا تصل بهم إ لى مقصود. . . " (1).

ويفصّل ذلك فيقول: "في المسلمين افراد وجماعات، انتسبوا إلى التصوف، فتبوؤوا صدور مجالس، والتفّ حولهم ناس، فاكتفوا بمواعظ يلقونها، ومجالس ذكر يقيمونها، فإذا فرغوا منها انفضق الناس عنها، وخرتجوا من مجالسهم كما دخلوا، لم يقوم ذلك شيئاً من عوجهم، ولا من عوج بيوتهم، ولا من سلوك نسائهم وأولادهم، ولا من تصرفاتهم في أعمالهم ومعاملاتهم.

ظنَ هؤلاء أنهم قاموا بواجب الدعوة إلى الإسلام بما فعلوا، وظن الأتباع انهم على خير ما يمكن أن يكون عليه المسلمون اليوم، واغتزوا أنهم من جماعة فلان او فلان. . ف! ذا أمروا بخير، او نهوا عن شر، تعقَلوا بفساد الزمان، وعوج أهله، وأنَ تيار الفساد جارف، وعذروا أنفسهم في آثام لا عذر لها3 فيها. . وفي الناس اَخرون، أرادوا خدمة الإسلام، فكتبوا وخطبوا، وخططوا مناهج، ورسموا الطريق إ لى بعيد، ولكنهم أغفلوا ا مر أنفسهم، فلم يبدؤوا بها، ولم يحملوها على العمل بالإسلام، قبل ان يكونوا دعاة إليه، وبهذا أخطؤوا

(1) ينظر المرجع السابق، ص 17.

طريق الإصلاح من أ ول خطوة، ولم يرجعوا من عملهم بطا ئل " (1).

ولقد كانت كتابات الشيخ رحمه الله إ لى مخيمات الشباب ورسائله العامة والخاصة كلها تفيض بالحديث عن هذه المعاني، وتهدف إلى تعميقها وتأصيله!، ومما جاء في بعض مجالسه ودروسه: " هذا هو الطريق، وإذا عرف أحدُكم غيرَه، أو أقربَ منه، أو أهدى سبيلاً فليدلعا عليه، فإنَّ الدينَ النصيحة، ولا نعذره ولا نسامحه أن بسكت عن ذلك ".

اما كيف يمكن أن تتحقق العودة إلى الإسلام في حياة الأمة، وعلى مستوى المجتمع؟.

فيكاد يجمِعُ العاملون للإسلام في عصرنا، كما يتفق كبار أئمة السلف، أنه لا بد من التعاون واجتماع الكلمة على نصرة دين الله، والتقاء القلوب على الأخوَّة في الله، وا لتعا ون لإقا مة شرع الله، وبلوغ مرضاته.

ولقد سمعنا من الشيخ مراراً هذه الكلمات: " لو صلح الناس حتى كانوا بصلاح أبي بكر الصدبق رضي الله عنه وكانوا متفرقين، لم تقم للإسلام قائمةٌ ما لم يتعاونوا على نصرة دين الله، ويجتمعوا على تحقيق ذلك ".

لا بد من البدء بتربية الفرد المسلم، الذي يرئى على قيم الإسلام واداط، ثم لا بدّ من تكوين الأسرة المسلمة والعناية بها، ثم السعي لإقامة المجتمع المسلم، وذلك أرقى فهم في فقه العمل للإسلام، والدعوة إ ليه.

ولقد كان رحمه الله يتمنّى كثيراً من دروسه العامة والخاصة أن يقومَ في كل مسجد دعوة الى الإسلام من هذا النوع، يقوم عليها طالب علم ذو فقه شرعيّ، ووعي وبصيرة، لتأخذ المساجد دورها الرائد، وتؤدي رسالتها في جمع الشباب، ونشر الدعوة بين الناس (2).

(1)

(2)

المرجع السابق، ص 18.

من درس عاتم مسخل للشيخ رحمه الله.

ويوضمح الشيخ الأسس التي يرى قيام الدعوة عليها، فيقول رخمه الله:

". . . ومن اول خطوات الدعوة إلى الإسلام: البدء بإعداد الأفراد في أنفسهم، وذلك! بتكليفهم أعمالاً ومجاهدات، ثم بمحاسبتهم عليها، ثم بإعداد الأسر الصالحة، ولا يتهيا ذلك إلا باختيار الزوجة الصالحة لبناء البيت الصا لج، ثم

بتربية الأولاد تربية إسلامية صالحة، وشعور الرجال بالمسؤولية عن كل كبير وصغير، من شأن الأسر ونشأتها وسلوكها. . ثم بدعوة الناس إلى المساجد بيوت الله، لتجديد الإيمان في قلوبهم، ودعوتهم الى الدين، والعمل بأحكامه، الاحلال حلاله، وتحريم حرامه، وربطهم بمحاسبات على أعمالهم، في جوّ اخوّة اسلامية صادقة ناصحة.

فإذا راى المسلمون العاملون خلوّ المجتمع ممن يدعو إلى الإسلاَم عاف هذْا المنهج الواضح السديد؟ نهضوا يعملون، مستعينين بالئه عزَّ وجلّ، لتحقيق هذه الغاية الكريمة، وسدّ هذا الفراغ البئن، وذهبوا يدعون إلى الإسلام دعوة عملية صإدقة، قائمة على منهاج عملي واضح. . ينبغي أ لا تكون دعوتهم قاصرة على جلسة وعظ فقط، يضيفونها إلى جلسات المساجد الأخرى، ش لا على حلقات علمية بحتة، يجمعون الطلاب عليها، ولا على ذكر صوري لساني، ولا يحدث انقلاباَ في نفوس الأفراد والجماعات، فليس ينقص الناس اليوم جلسات وعظ، ولا صفوف علم، ولا حلقات ذكر، كما تنقصهم الدعوة إلى تطبيق وعمل دماصلاح. . فإن الأمّة الإسلامية اليوم في أمسن الحاجة إ لى دعوة! ن مذا النوع، بعيدة عن الأهواء، وخالصة لوجه الله، لا تشوبها شائبة من مطمع دنيوي، او غرض نفسي، أو عرض زائل.

ينبغي أن يبدأ الدعاة بأنفسهم، يقوون فيها الإيمان بالئه تبارك وتعالى، ويربونها على تقوى الله عز وجل، ويجاهدونها على امتثال أمره، 5 اجتناب نهيه، حتى ينجوا مما وقع فيه الناس في هذا المجتمع المريض، من مخالفة لدين الله، وخروج على طاعة الله، وتلوث بمعاصي الله. . يركزون دعوتهم أولاً على نفوسهم، ويعتبرون هذا البدء نقطة الانطلاق للعمل الإسلامي المجدقي،

(86/1)

فاذا استقامت لهم نفوسهم، دعوا الناسَ زرافات ووحداناً إلى سبيل الهد!

والعمل، فإن استجاب لهم الناس بذلك، دعوهم إلى إصلاح أسرهم، وبصلاح

الأسر يصلح المجتمع. . ان الأفراد الصالحين، لَبناب صالحات لبناص صرح الاسلام المجيد، وانَّ الأسر الصالحة دعائم قوية لبناَء المجتمع الصالح، ومتى صلح المجتمع، أو غلب فيه الصلاح، تكؤ! الراي العامّ الصالح، فانتصرت الفضيلة، وانهزمت الرذيلة. . ينبغي أن يبدؤوا دعوتهم هذ 5، وهم مؤمنون إيماناً لا يعتريه شكّ، أنهم على حق إن ماتوا صمان عاشوا، وأن يعاهدوا الله عزَّ وجل، الاّ يحيدوا عن دعوتهم قيد شعرة، مهما اعترضتهم مصاعب، أو مرّب بهم محن. . " (1). كا

وكثيراً ما كان الشيخ في مجالسه العامة والخاصة، يشبّه العمل للإسلام بصخرة كبيرة لا يستطيع حملها إلا جمع كبير من الرجال الأشداء، والعاملون للإسلام إنما يحاولون القيام بحمل هذا العبء الكبير، فعلى قدر التاَخي بينهم، والترابط بين قلوبهم، تتضافر جهودهم، وتتحد قواهم للنهوض بالعمل، وحمل أعبائه، د! ان المخلص العا قل الواعي منهم هو الذ! يفرح بكثرة الأعوان، وزيادة الأنصار، الذين يعينونه على حمل الأمانة، والقيام بجزء من ا لمسؤولية، ولو لم يعملوا معه في الميدان نفسه الذ! يعمل فيه، فميادين الدعوة الإسلامية كلها تصث في نهاية الأمر في ميدان واحد، وتعمل لغاية واحدة، وأهداف واحدة.

منهجه في اركان الدعوة الى الإسلام:

حدد الشيخ رحمه الله في كتابه: (اركان الدعوة الى الإسلام) تلك الأركان بخمسة أركان؟ هي: ا لإيمان، والعلم، والعمل، والدكر، والأخوّة الصادقة.

1 – وفي حديثه عن الايمان وهو ركن الدعوة الأول، يتحدث عن أثر

(1)

الدعوة إ لى ا لإسلام وأركا نها، للشيخ احمد رحمه الله، ص 2 2.

المعاصي والمخالفات في ضعف الإيمان وانهياره، فيقول: ". . . تهاون المسلمون اليوم، في أفرادهم، واسرهم ومجتمعاتهم، تهاونوا بسنن الإسلام وآدابه، واقز بعضهم بعضاً على ذلك، فتجزا ذوو النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة على ما هو اكبر، فتركوا الفروض، ووقعوا في المحرّمات، وسكت الناس بعضهم عن بعض، ولم يأمروا بمعروف، ولم ينهوا عن منكر، فضعفت شعلة الإيمان في الفلوب، واستحكمت فيها ظلمات المعاصي، و! ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون. . ضعفت شعلة الإيمان في قلوب بعضهم، ثم انطفات، فسقطوا في فتنة الشهوات، وانتشرت فيهم فتنة الشبهات، ووقعوا في وهدة الكفر، فأنكروا الخالق، والشرائع والنبوات، والحشر والمعاد، والثواب والعقاب، والجنة والنار. . . فكم في بيوت المسلمين اليوم، وفي مجتمعاتهم مَن اسماؤهم أسماء المسلمين، وهم في عداد الكفرة والملحدين. . .! ".

"إن المجتمع البشرى اليوم، أحوج ما ي! كون إلى دعوة الإيمان بالئه تبارك وتعالى، وان دعوة ا لإيمان أحوج ما ت! كون إ لى رجال صدقوا في إيمانهم، فكونوا أولئك الدعاة الصادقين، لنكن دنياكم كلها: من دراسة علم، ومزاولة صناعة، أو تجارة، وتبوء وظيفة أو منصب، وحيازة مال أو جاه، ليكن ذلك كله قوى مصروفة لدعوة الإيمان، إذا فعلتم ذلك سعدتم في نفسكم، وأنقذتم البشرية من ظلمات الكفر وأوحال المادة، ومتاهات الضلال والشقاء. . . ".

2 – وفي الركن الثاني من أركان الدعوة، وهو العلم، يتحدَّث عن فضل العلم وأهميته فيقول: ". . . والتعليم خصوصية من أعظم خصوصيات الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فقد ارسلهم الله إلى أممهم معلّمين ومرشدين، وهداة ومصلحين، وامتن على هذا الأفة الأمية خاصة، ببعثة نبيها إليها معلّماً ومزكياً، ومنقذاً من الضلال، فقال تعالى: " هوَ الذِى بَعَثَ فِى اَلاجمتَ رَسُو، مِّنْهم شلُوا عَلَتهِتم ءَالقء وَيُرَكيهِتم وَيُعَاثُهُمُ ألكِتَف وَألحكمَةَ لَ! ن؟ دؤُا مِن قتل لَفِى ضَنَلٍ! ينٍ ص! هـ!] الجمعة: 2،.

ولما كان نبتنا –لمخاتم النبيين، وشريعته خاتمة الشرائع، كانت أمته أحقّ

الأمم ان تحمل لواء العلم على مز العصور والدهور، تبلّغ العالم، ولا سيما فيب جاهليته هذه، الشريعة الإسلامية الغرّاء، وتعفمه سنن الهدى، وتهديه إلى سواء الصراط.

ولا عجب ان تكون للعلم هذه الفضيلة الكبرى، والخصوصية العظمى، فبالعلم يهتدي الإنسان إلى كل مجهول، وتتحقق له سعادة الدين والدنيا. . وبالعلم يستنير العقل، وتتسع آفاقه، وتعظم إدراكاته، وبه يعرف الإنسان ا لحقائق على وجهها ا لصحيح، ويميّز بين ا لحق وا لبا طل، وبين ا لهدى والضلال، وبنور العلم الساطع يعطي ا لأنسان كل شيء حقه، وينزله منزلته، ويبوئه مرتبته، ويقدم الأهئم على المهتم. . وبهذا كله يصلح الإنسان لخلافة الله في الأرض، وينهيأ لعمارتها على الوجه اكمل. . فالعلم ضرورة من ضرورات الحياة السعيدة الرشيدة.

وبالعلم يتمكن الداعي إلى الإسلام من نشر دعوته على هدى وبصيرة. . وبذلك ترتكز دعوته على ركن متين لا يتزلزل، فهو بالعلم يكشف للنالمه! عن جمال الإسلام ومحاسنه، ويرذ شبهات المشتبهين، ويزيل أوهام المشككين، ويفوي إ يمان المؤمنين ".

ويوخه نداءه للمسلمبن عامة ولشباب الدعوة خاصة، فيقول: " أخلصوا علمكم وعملكم دلّه تعالى، واقصدوا بهما وجه الله، وتع! موا لتعملوا، ونفقهوا لتتقوا، لا لدنيا تصيبونها، ولا لأموال تجمعونها، ولا لمناصب تتبوؤونها، فكلٌّ حقير فانٍ، وحطام زائل. . تعقَموا العلم لتتقربوا به من ربكم عزً وجك، ولتنصروا دين الله في الأرض، ولتكونوا دعاة إلى الله تبارك وتعالى بالاقوال والأفعال. . اعكفوا على طلب العلوم الشرعية، حتى تفهموا الإسلام حق الفهم، ثم ضموا إليها العلوم الكونية، وتثقفوا الثفافة العصرية، فانها فرض كفاية، وعليها تتوقف نصرة الإسلام، إذ لا بد من إعداد القوة، وهذ 5 العلوم من مقدماتها وأركانها. . كونوا قادة في العلم، قادة في العمل، فالإسلام دين العلم والعمل، ولا ظهور ولا نجاح للمسلمين إ لا بهما ".

3 – وفي الركن الثالث من اركان الدعوة إلى الإسلام، وهو العمل به وتطبيق احكامه، يتحدَث عن مفهوم الرخصة والحزيمة في الإسلام، ويضرب الأمثلة ثم يقول: ". . . فالأخذ بالشدة عزيمة، والأخذ باليسر رخصة، وللعزائم رجال، وللأخذ بالرخص احوال، وفي الحديث الشريف: (إنَّ اللّهَ يدبئُ ان تؤتى رخصُه كما يحبُّ ان تؤتى عزائمُه) (1).

فشريعة الله تعالى بين الرخصة والحزيمة، ليأخذ العبد نفسه بهذه وتلك، فلا يتتبع الرخص، فيفصر عن الكمال المنشود، ويحرم الخير الذي أراده الله تعالى لأوليائه وصفوة عباده، ولا يلتزم العزائم في جميع أحواله، فتمل نفسه العبادة، وتحرم لذة الطاعة، ويقعد بها العجز عن الاستمرار فيها، فيبقى في حسرة وكآبة، هذا بالنسبة لعامة المسلمين.

اما الدعاة إلى الله تبارك وتعالى وهداة خلقه إليه، فينبغي أن يأخذوا انفسهم بالعزائم في أكثر أحوالهم، لأنهم نصبوا أنفسهم للناس فدوة، والناس لهم أتباع، وما أحوج الناس إلى ائمة يدعون بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم إلى خير، ويهدون باستقامتهم إلى استقامة. . حتى يسير الناس على منهاجهم. . ولا بقاء للإسلام الكامل إلا بأمثال هؤلاء الكاملين. . وبهذا أدّب الله تعالى خواصن عباده، الذين نصبهم قدوة للناس وائمة للعالم. . ".

ثم يتحدث عن (اهمبة الناحية النطبيقبة في الإسلام) فيقول: "ليس الإسلام نظرية من النظريات تعرض وتناقث!، فيتقئلها من يتقبّلها، ويعرض عنها من يعرض، ويبرهن على صدقها من اقتنع بها، ويحاول دحضها من لم يقتنع. . وليس الإسلام فكرة مجزدة، تقر بها العقول، او لا تقز، وتؤيدها الأقوال، أ و تنبذها وتردها. . وليس الإسلام دعوى تدعى، ولا كلمة تقال. . لا، إنَّ الإسلام شريعة الله في أرضه، انزلها على رسوله محمد ع! فه خاتم النبيين،

(1) رواه البخاري ومسلم، كما في المرجع نفسه، ص 9 1 1.

وجعلها خاتمة الشرائع وناسخة لها، واختارها لتكون صالحة لكل زمان ومكان، وأمر الله تعالى نبئه! شَي! بتبليغها، ودعوة الناس إليها، ليستجيبوا لها، ولتكون منهاجاً لهم في حياتهم، يسيرون عليه، ويعملون بمقتضاه، فمن آ! ن بالإسلام شريعة عمل بها، واذعن لها".

ثم يتحدث عن (اهمية النموذج الإسلامي في المجتمع)، فيقول: "لا قيام للإسلام في المجتمع إلا بوجود افراد فيه، يطئقون الإسلام في أنفسه! ا، فيكونون نماذج حية، يمثفون الإسلام تمثيلاً عملياً، يدعون إليه بأقوالهم وافعالهم، ويمثقونه في عباداتهم ومعاملاتهم واخلاقهم، وفي مساجدهما وأسواقهم، وفي سزهم وعلانيتهم وسائر تصزفاتهم. . بهذ! قام الإسلام أول مرة، يوم آمن به رجال، فعملوا به، وطئقوا أحكامه، ومثّلوه في مجتمعهم، وعلاقات أفراده، وصلات بعضهم ببعض ".

ثم يقول تحت عنوان: (فقد النموذج الإسلامي في واقعنا): –"لا تخلر المجتمعات الإسلامية اليوم في اقطار المسلمين من أفراد يعملون بالإسلام، ويطبقونه في أنفسهم تطبيقاً صالحاً؟ إلآ أنَ هؤلاء الأفراد مغمورون في مجتمعاتهم، ليس لهم فيه! بروز ولا ظهور. . فلا بدّ إذن من اجتماع هؤلاء العاملين، ليؤلفوا نواة صالحة صادقة للمجتمع الإسلامي المنتظر".

ويخلص الى ضرورة الجانب العمليئ في الدعو 5، فيقول: " قيام جماعة على هذا الأساس واجب: إذا رأى المسلمون انهيار الإسلام في مجتمعهم، وما وصل إليه من الغربة، ورأوا الهوة العميقة التي انحدر إليها المسلمون بسبب تخففهم عن الإسلام: رأوا من الواجب المحتم أن يعملوا على إيجاد النماذج الإسلامية الصالحة في المجتمع كأفراد، ثم تكوينها نموذجاً إ سلامياً كجماعة. وانما ينهيأ ذلك على سواعد رجال آمنوا بالئه وبشريعة الله، وصدقوا في تكوين أنفسهم، وتربيتها على ا لإسلام الكامل، وتضافروا على الخير، وتعاونوا على الحق، الى أن يتألف منهم مجتمع صالح، يمثّل القدوة العملية المفقودة،

وما ذلك على الله بعزيز ".

91

(91/1)

---

4 – ويتحدَث في الركن الرابع من اركان الدعوة إلى الإسلام، وهو (الذكر) عن أهمية الجانب الروحي في حياة الإنسان، واهتمام الإسلام به فيقول: ". . . اهتئمَ الإسلام بالروح اهتماماً كبيراً، وحث على سلامتها من أدران المادة، واوصاف البهيمة، وهيأ لها غذاءً روحياً، يحفظ بقاءها، ويبعث فيه القوة والصفاء، والطهارة والإشراق، فكما أن الجسد إذا انقطع عفه غذاؤه، ذبل وضعف، وانخفت قواه، وصار إلى هلاك، فكذلك الروح إذا انقطع عنها غذاؤها الروحي، كان مآلها الذبول والاضمحلال، وصارت إلى موت معنوي. . .".

وعن آهمية الذكر للمسلم يقول: "وأنت بعد هذا إذا سمعت قول الرسول الكريم! سي!: (مَثَلُ الذي يذكر ربه، والذي لا يذكره مثل الحيّ والميت) (1)، عرفت ان الذكر دعامة قوية يقوم عليها بناء الدين كله، ينبئ عن هذا قول النّه جلّ ذكره: " فابهروفي– أكزكُتم " 1 البقرة: 52 1)، فلا عجب إذن أن يشبّه النبي عنَي! الذاكر، وقد استنار قلبه بنور المعرفة، وتحلّى قالبه بحلة الطاعة، بالحي الذي تزين ظاهره ببهجة الحياة، وباطنه بنور العلم والإدراك، وأن يشبّه الغافل، وقد قسا قلبه، وأظلمت نفسه بالجثة الهامدة، تعطّل ظاهرها، وأظلم باطنها، فلحقت بعالم الجماد".

وتحت عنوان (الذكر والدعوة إلى الإسلام) يقول: " الدعاة إلى الله تعالى لا بدّ لهم من عُددِ، واقوى عُددهم قلوبٌ عامرة بالإيمان، مثرقة بأنوار اليقينط دائمة الصلة بالئه تبارك وتعالى، ويعبّر عن هذ 5 القلوب السنة ناطقة بالحقّ داعية إليه. . فإذا عمرت قلوب الدعاة بذكر الله تعالى، وأشرقت بالإيمان واليقين، عئرت عنها الألسن بأوضح بيان، ونطقت بالحكمة والعرفان، فكلّ كلام يبرز، وعليه كسوة القلب الذي برز منه. . وقديماَ قيل: (ما خرج من القلبِ وقعَ في

القلبِ، وما خرجَ من اللسانِ لا يجاوزُ الآذان).

(1)

رواه البخاري: 1 1/ 175 و 177؟ ومسلم (779).

92

والذكر ينوِّر القلوب، ويجلو البصائر، فإذا تنوَّرت قلوب الدعاة إ لى الله تعالى، وانجلت بصائرهم، دعوا إ لى الله على بصيرة، وأ منو ا من الزلل: " وَمَن! مجعَل اَلتَهُ لَهُ نُورَا فَمَا لَ! مِن لؤرٍ " أ النور: 0 4).

والذكر اول ما يجب أن يدعو إليه الدعاة، لأن القلوب الغافلة ميتة، لا تسمع، ولا تبصر، ولا تحس، ولا تعي، فاصحابها كالأنعام أو الجماد. . قال تعالى: " رَلَقَد ذَرَآنَا لِجَهَنَصَ صَثِيرا مِفَ اَتِجنِ وَاَ قيشِ! اَلُتم فلُوب لا يَفقَهُونَ بِهَا وَاَ لَهُ أَعْلُإبر ، يبُقِرُونَ بِهَا رَاَلُتم ءاذَان لم يسمَعُونَ! أ أُوْلَكَكَ كَالاثَغَصِ قَي هُتم أَضَل أُوْلَبهكَ هُمُ اَلقَفِلُوتَ" 1 ا لأعراف: 9 7 1).

فإذا حييت قلوب المدعوين بذكر الله، أصاخت اَذانهم لدعوة الحق، وانشرحت صدورهم، وتفتحت قلوبهم، واستجابت إ ليها نفوسهم. . ".

ثم يوجه الشيخ رحمه الله نداءه الى المسلمين عامة، والدعاة العاملين خاصة فيقول:

"اذكروا الله تعالى في جميع احوالكم، حتى تكونوا من أوليائه، الذين يتولأهم ويرعاهم، ولا يكلهم إلى غيره طرفة عين، فإذا تولاكم ورعاكم كنتم على هدى في جميع حركاتكم وسكناتكم. . ومن كان كذلك فهو مؤيد منصور، محفوف بإلعنإية والرعاية، سائر على هدىً، داعٍ إلى الله على بصيرة، 5 له النصر عاجلاً واَجلاً. . اديموا ذكر النّه، يمدّكم بإلثبات على الحق، والصبر على جفاء الخلق، فذاكر الله عز وجل موصول بإدئه، مستأنس به، لا يركن إلى غيره، ولا يرجو إ لا إياه، ولا يخاف إ لا منه، فخير زاد ا لدعاة إ لى الله دوام ذكر الله. . ا سأل الله تعالى ان يجعلني ومن يقرأ كلمتي هذه من الذاكرين، وأن يلحقنا

بإلصالحين، إنه سميع مجيب ".

5 – وفي الركن الخامس من اركان الدعوة إلى الإسلام، وهو (الاخوة الصادقة)، يقول في بيان أهميتها: ". . . واقوى روابط الأخوة رابطة الدين، قال تعالى: "إنَمَا اَلمُؤنُونَ إِخئ " 1 الحجرات: 0 1،، وهذه أخوّة إيمانية

عامة، وقد يكون بين المؤمنين اخوة خاصة، فيتاَخى جماعة في الله، يحمت بعضهم بعضاً، يسود أخوّتهم الإخلاص الأتثم، والوفاء الأكمل، فيتعاملون بالإيثار، ويتفادون بالأموال والأرواح، وهذه أسمى مراتب الأخوّة: لما ها خر المسلمون الأؤلون إلى المدينة تنافس فيهم الأنصار. . فما نزل مهاجر على انصاري إ لا بقرعة. . ثم اخى النبي! يَخم! ر بين المهاجرين والأنصار، ووثّق روابط الأخؤة بينهم، حتى تنازل الأخ الأنصاري لأخيه المهاجر عن نصف ماله، وآثر5 على نفسه فيما يحبّ".

والأخؤة في الله هي الصحبة الصالحة، التي تعد ضرورة ملحّة من ضرورات الاجتماع الإسلامي الرشيد؟! فكم من ضعيف متحيّر، متردّد متشكك، صحب مؤمناً قوفي الإيمان، صادق اليقين، فانتقلت إليه عدوى الخير، وتخفص من ظلمات الثكّ والارتياب، ورسخ في قلبه الإيمان واليقين، وما انتشرت دعوة الإيمان منذ أول امرها، إلا بصحبة اهل الإيمان. . . ".

". . وكما أن عدوى الخير تسري، فكذلك عدوى الشرّ، فمن! صحب أهل المعاصي والغفلات، اوصلته صحبتهم إلى ما وصلوا إليه من المعاصيب والمخالفات، التي تضعف الإيمان، ثمّ توصل إلى الكفر البواح، وعاقبة ذلك الندامة يوم القيامة!.

وينحدث عن خطر وهن الأخوة الصالحة على المجتمع، فيقول: " إذا انقطعت أواصر الأخوة في مجتمع، وتفككت روابط المحبة بين أفراده، ظهرت الأثرة البغيضة، وسعى الفرد في شان نفسه، والقى بمصلحة المجموع عُرْض

الحائط، فامتلأت الصدور بالأحقاد، وفشت بين الناس الشحناء، واشتعلت نار الحسد في القلوب، وظلم القوي الضعيف، وفسدث ذات البين. . وإذا حصل هذا الوهن، لم يعد يربط الناس بعضهم ببعض إلأ مصا لح شخصية، لا تلبث أن تنقضي، لأنها سريعة التقفب، لا دوام لها ولا استمرار. . وقد تربط بين الناس حي! ذٍ علاقات غير صحيحة، من حزبية ضائة عمياء، أو عصبية لمبادئ منحرفة واهواء، او مريدية مغفلة جامدة، لا نمت الى التصوف الصادق بصلة، و لا تهتدي بهدي السلف الصا لح الرشيد. . .!.

94

(94/1)

وهذا الكلام صريح في بيان موقف الشيخ من المريدية العمياء، التي يدعو اليها بعض المتصوفة، بصورة تتعارض مع هدي الإسلام وحقائقه، وكان لها أثر كبير في ا نحراف روا بط ا لمسلمين، واورثتهم روح النبعية المعطّلة لحقّ ا لنصيحة، التي هي ل! ث الدين وروحه. . وا نما ا لأخؤة ا لإسلامية ا لناصحة هي ا لمبد آ وا لمنهج، الذي ينبغي ان يحكم روابط المسلمين وعلاقاتهم. . .

وتحت عنوان (الأخوة في الله آصرة وئيقة بين الدعاة إلى الله عزَّ وجلّ) يقو!:

"الدعوة إلى الإسلام عمل جليل، اختار ال! هـ تعالى له في أول الأمر صفوة الخلق رسوله محمداَ ع! يم، والإسلام اليوم عاد إلى غربته الأولى، والدعوة إليه أحوج ما تكون إلى رجال اولي عزم وقوّة، ولا تتحقق هذ 5 القوة إلا في انصار حق ودعاة صدق، ربطت بينهم رابطة أخوة صادقة. .

فعلى المسلمين أن يعملوا على تحقيق هذه الأخوّة فيما بينهم، ليصلوا في دعوتهم إ لى الغاية المرجؤة، والله ولي التوفيق ".

اسلوبه في الدعوة والوسائل العملية للتربية والتكوين:

اتخذ الشيخ رحمه الله لتحقيق فكرته الدعوية ومنهجه التربوي، ما يناسب ذلك من الأساليب التربوية، والوسائل العملية، ويمكن تلخيصها في النقاط

التالية:

1 – الوصايا والمحاسبة عليها: وتشمل الوصايا: السنن والاداب، والفضائل الإسلامية التي يتساهل كثير من المسلمين في الالتزام بها، على مستوى الفرد أو الأسرة.

وهي تتنوَع على حسب السن والثقافة بين مستوى وآخر من مستويات الإخوة، وتعدل كل مستوى بين الحين والاَخر، ويزاد عليها، وينقص منها على حسب المصلحة.

95

(95/1)

وكإن يكفف كل اخ من إخوانه أن يجلس يومياً جلسةً، يحاسب فيها نفسه على اعماله كلها، وعلى هذه الوصايا بشكل خاصّ، ويسجّل في ورقة خاصّة مدى إخلاله او التزامه بها.

ويتابع الأخ الموجّه الإخوة بهذ 5 الوصايا، ويحثهم عليها، ويذكّرهم بها بين الحين والاَخر، ويشجع الملتزمين بها، وينبّه المقصرين، وكإن الشيخ يعد هذا الأسلوب ترجمة عمليةً لمبدأ التواصي بالحق والتواصي بالصبر، الذي جعله الله تعالى شعار المؤمنين الناجين من الخسران.

وقد أدّى هذا الأسلوب التربوي الدعوي ثمرات طئبة في رفع مستوى كثير من الإخوة، كما استفاد منه كثير من العاملين للإسلام، وانتشر في صفوف عدة تجمّعات إ سلامية، ر ات فيه أسلوباً ناجحاً في تربية الشباب ورفع مستواهم.

2 – البرنامج اليومي للفرد والأسرة: ويتبع الوصايا: البرنامج اليو! للفرد والأسرة، وهو برنامج يشمل اعمال اليوم والليلة، يعين الا خ وأسرته على تنظيم حياتهم، والاستفادة من أوقاتهم، وملء الفراغ بالنافع المفيد، ويوضّح ما ينبغي القيام به من أعمال إسلامية يومية، لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، ومتابعة الأسرة ورعايته! في جميع الجوانب.

3 – الدروس الشرعية واللقاءات التربوية والدعوية الخاصة والعامة،

واللقاءات المفتوحة: ولكل منها منهاجه العلميّ والتربوي المناسب.
وقد كإن الشيخ رحمه الله يتعاون في هذا المجال مع أقي طالب علم، أ و صاحب اختصاص يثق بدينه وعلمه، فيكلّفه بتدريس بعض العلوم الشرعية لبعض الشباب.
كما كإن للشيخ لقاء اسبوعي رتيب مع عدّة حلقات متقاربة من إخوانه، أملى فيها علينا امالي على شكل وصايا، وسمّاها: (تذكير وتحذير) (1)، وهي
(1)
وقد استخرج منها الباحث أساليب6 الشيخ الئربوية، وأهم المفاهيم الدعوية،

(96/1)

تمثل صورة من فكره الدعوي، ومنهجه التربوي.
4 – الزيارات الأخوية الهادفة؟ القائمة على الحبّ في الله، والتناصح وتقوية آواصر الأخوّة، والتعاون على البرّ والتقوى: ولا شكّ أن الحبّ في ال! هـ تعالى، والتزاور فيه من أعظم القربات إلى الله سبحانه، واحمث الأعمال وأزكاها عنده، ولكن بعض الناس تنقلب الأخوة في الله في حياتهم إلى علاقة دنيوية، تقوم على المجاملة، وتبتعد عن التناصح، والت!،ون على البِرّ والتقوى، وتحكمها عادات الناس واعرافهم، وبخاصة إذا دخلتها الأسباب الدنيوية من المصاهرة، أو التعامل المادي كالتجارة ونحوها، فتضعف المعاني الإيمانية، وتغلب الصلة المادية، وتنسى حقوق ا لأخوة وواجباتها.
ومن هنا كان الشيخ يؤكد في توجيهاته أن تبقى علاقات الأخوة متميزة خالصة، قائمة على الحمت في الله، واداء الحقوق الأخوية، بعيدة عن العا، قات الدنيوية ما امكن، وكتب لنا في ذلك كلمة توجيهية بعنوان: (ضوإبط العلاقات المادية بين الإخوة).
5 – خروج يوم هادف: وتجتمع في هذا الخروج عدة حلقات متقاربة في المستوى، ويكون إ لى ضاحية من الضواحي، من بعد صلاة الفجر إ لى المساء، وقد يكون فيه إحياء شيء من الليل بالعبادة وتدارس العلم، ويكون له برنامج

يملأ الوقت كله بما ينفع ويفيد، مما يقوّي اواصر الأخوّة بين الشباب، ويوثق علاقاتهم.

6 – الاعتكا! والإحياءات: حرص الشيخ رحمه الله على إحياء سكة الاعتكاف كل عام، فكان يعتكف في (جامع أبي ذر) ويحث إخوانه على ذلك، ولو بشكل جزئي على حسب ظروف كل أخ، وكان يضع للاعتكاف برنامجاً يومياً، يعلنه للإخوة، ويشارك في اكثر ففراته.

وجعلها في رسالة صدرت قريباً بعنوان: (أساليب تربوية، ومفاهيم دعوية من حياة الشيخ احمد رحمه الله).

97

(97/1)

وكان الاعتكاف عدا عما فيه من العبادة، فإن فيه حياة جماعية كاملة، يتدرّب فيها الإخوة على التعامل الأخوي، واداء حقودتى الاخوّة، وتظهر فيه أخلالتى الإخوة من الخدمة والتعاون، وا لخ! ث والإيثار، والبذل والتناصح.

وكانت الإحياءات تقام بين الحين والاخر، لمناسبة أو غير مناسبة، وغالبأ ما يكون فيها سحور، ثم صيام اليوم الذي يليها، ويغلب عليها طابع العبادة، من صلاة أو ذكر أو تلاوة القرآن الكريم 5تدارسٍ له، وتطهح في! موضوعات فكرية ودعوية للحوار والمناقشة.

7 – الدورات الصيفية الشرعية والثقافية: حرص الشيخ رحمه اللّه على استغلال اوقات الصيف لدى الشباب، وكان اكثرهم من طلاب المدارس، فأ قام لهم دورات صيفية مكثفة، في العلوم الشرعية، التي يحتاجها الشباب: في الفقه والتوحيد، والتجويد والتفسير، والحديث والسيرة النبوية، وقرَّر له! ا مناهج مختارة لحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، وتعاون مع بعض طلاّب العلم الشرعي! لتدريس هذه العلوم، ووضع لهم المناهج المناسبة، كما نبَم لهم مواعيد الدروس في المسجد على غرار الأساليب المدرسية، فكانت الدروس تبدأ من بعد العصر وتنتهي بعد العشاء بساعتين كل يوم، ومنها ما يكون بعد الفجر.

كما كان يختار للشباب في صيف كلّ عام بعض الكتب الثقافية التي يثق بكتّابها، ويرى أنهم يحملون فكراً شمولياً متوازناً، بعيداً عن الإفراط أو التفريط، ويطالب الشباب بدراسته! وتلخيصها، ثم يُختبرون بها، وتقدّم الجوائز للفا ئزين تشجيعاً لهم وترغيباً.

8 – المخيمات التربوية السنوية: بدأت المخيمات التربوية السنوية مع قيام الجماعة ونشأتها (1)، وفكرتها قريبة من (الكشافة) أو (الجوالة) وت! د (1)

بلغ عدد المخيّمات التي أُقيمت في حياة الشيخ أربعة عر مخيماً، وقد وخه إلى كل مخيم كلمة توجيهتة مكتوبة، تبلغ كل واحده منها عر صفحات أو أكثر، ولو جمعت لكان منها كتاب دعوفي وتربوي مفيد، ولا ندري ما فعلت بها ا لأيام.

98

(98/1)

تكون صورة مصغَرة عنها إلأ انها ذات منهج إسلاميّ، وتتجلى أهمئتها في تجسيد افكار الدعوة ومفإهيمها، فاشتراك الأخ فيها يختصر مرحلة كبيرة من التربية والبناء، لأنه يعيش فيها حياة إسلامية بجميع جوانب حياته وعلاقاته.

وكان برنامجها اليومي يبدأ من صلاة التهجّد، وينتهي بعد صلاة العشاء بساعتين، ويشمل: صلاة التهجد، ثم صلاة الفجر بجماعة، وبحض الأوراد والأذكار المْبوية، ثم تلاوة القرآن الكريم، ثم درس الرياضة الصباحي، وبعده صلاة الضحى، والفطور، ثم نشاطات متنوعة، وفيها ندوات فكرية وتربوية، ثم صلاة الظهر والغداء بعدها، وبعد صلاة العصر إلقاء بعض الكلمات الدعويّة والتربوية، ثم مباريات رياضية، ثم صلاة المغرب وجلسة أسئلة فقهية، ثم العشاء وصلاة العشاء والنوم.

وكان الشيخ رحمه الله يولي الخروج إلى هذه المخيمات أهمية كبيرة، ولا يعذر اي اخ في التخقف عنها، لما يرى لها من أهداف تربوية، وثمرات إيمانية، وكان يتحمّل التكاليف المادية عن بعض الإخوة الذين لا مورد لهم، حرصاً

عليهم الا يفوتهم هذا الخير.

ولقد لمس الإخوة آثار هذه المخيمات وثمارها في أنفسهم، حتى شهد كثير منهم ان الصفاء والخشوع الذي حصل لهم فيها لم يروا مثله في حياتهم، حتى ولا في رحلاتهم إلى الحج والعمرة.

مصادر منهجه التربوفي وملامحه:

يتمثلَى منهج الشيخ التربوي في كتابه: (منهاج التربية الصالحة)، ومن خلال دراسة هذا الكتاب يتضح لنا أن مصادر 5 فيما كتب تتجلّى بما يلي:

1 – القرآن الكريم.

2 – السئة النبوية المطهّرة، والسيرة العطرة.

3 – فقه السلف الصالح وسيرتهم وآثارهم التربوية، وما أثر عنهم من أقوال ومواقف.

فهو يتتبع شْبعاً دقيقاً ما جاء في الكتاب الكريم، والسنّة المطهّرة والسيرة البوية العطرة لإثبات أي مبدأ من مبادئ التربية الإسلامية، ولو كان فرعيّاً، وربطه بدليله الشرعي (1).

كما يتتبع أقوال السلف ومواقفهم التربوية، ومواعظهم ووصاياهم، وكان شديد التأثّر بها في حياته لكثرة مطالعته لسيرهم وتراجمهم، مما انعكس على تكوينه الفكري ومنهجه التربوي.

وممن تأثر بآرائهم في هذا المجا! على وجه الخصوص: الإمام الغزالي رحمه الله، لهو من كبار أعلام التربية الإسلامية، وله آراؤه الدقيقة في مبادئ التربية واصولها وأساليبها (2).

واما ملامح منهجه التربوفي: فيمكننا أن نستخلص ملامحه وسماته العامّة من كتابه المذكور نفسه، ونجملها في النقاط التالية:

1 – اعتزاز المؤلف بمنهج التربية الإسلامية، وتحذيره من التاثر بالنظريات

الغربية، فهي نظريات مادية لا دينية، وبيان خطرها على عقيدة الأمة، وشخصيتها وكيانها (3).

2 – واقعية المنهج الذي يعرضه، ونقده للواقع التربوي الذي يراه فيما حوله، ومناقشته لبعض المفاهيم الشائعة الخارجة عن المنهج الصحيح في التربية (4).

(1)

(2)

(3)

(4)

ينظر على سبيل المثال!: (منهاج التربية الصالحة) للشيخ احمد عز الدين البيانوني، ص 12، 34، 35، 77.

وقد أشار رحمه الله إلى شدة تاثره بالإمام الغزالي في سيرته الذاتية: (مراحل حياتي بقلمي).

ينظر: المرجع السابق، ص 1 2.

ينظر: المرجع السابق، صه 7.

100

(100/1)

---

3 – تحذير 5 من الدعوة إلى تحديد النسل، وبيان أنها فكرة مغرضة، تتعارض مع دعوة الإسلام إلى إكثار النسل الصالح، وهي أثر من آثار طغيان المادية في هذا العصر، وليست من هدي الإسلام في شيء، ولا تلتقي كمع إيمان المؤمن بقدر الله ورزقه المقسوم لعباده (1).

4 – شمول منهجه التربوي لأصول الإسلام وحقائقه، وآدابه وفضائله، واعتناؤ 5 بتربية الجسم والعقل والروح تربية متوازنة، وغرسه لحقائق الإيه، ن ومكارم الأخلاق (2).

5 – شمول مفهوم التربية الإسلامية لما فبل الزواج، فالذي يريد أن يرزق

الأولاد الصالحين البررة عليه أن يختار الزوجة الصالحة، ذات الأصل الطيب والنشاة المستقيمة، وتأكيده على أثر الوالدين المؤمنين، والمعلمين الصالحين في صلاح الولد واستقامة سلوكه (3).

6 – اهتمامه بأثر الأم في تربية الطفولة المبكرة، وتحذير 5 من خطأ إهمال كثير من الآباء والأمهات لذلك، وإنما يتقصرن على العناية الجسدية بالأولاد لمادارة البيت وخدمته (4).

7 – الحرص على اتباع السنة النبوية في كل مرحلة من مراحل حياة الناشئ وتربيته، لتكون نشاتُه منذ الأيام الأولى صالحةً، والأخذ بهذه الآداب في تربية الوالدين أيضاَ على آداب الإسلام وهديه، وبذلك تكون التربية الإسلامية مناخاً تصطبغ به حياة الأسرة كلها ْ().

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

ينظر: المرجع السابق، ص 2 2.

تلاحظ المفذمات في المرجع السابق من ص 76 وما بعد.

ينظر: المرجع السابق، ص 76.

المرجع السابق نفسه.

والمنهج المعروض كثه في المرجع السابق يتتغ آداب السنة، ويدعو إلى=

---

8 – اهتمامه بنشأة العادات في الإنسان منذ الصغر، فلا بد للإنسان من عادات، يعتادها ويدرج عليها، وخير ما يعتاده ما كان موإفقاً لهدي النبوة، وعندما تغرس الآداب الإسلامية في نفس الناشئ، ويشبّ عليها ويعتادها، فإنه

لا يرى في التزامه بها بعد ذلك أية مشقة أو حرج.

9 – تحذيره من العادات الجاهلية الشائعة بين الناس وتنديده بها، و بيان سخفها وخطرها على عقيدة ا لطفل وعفليته، وا ستقامة نشأ ته وسلا مة تفكيره (1).

1 0 – تأكيده على ضرورة تربية الطفل منذ الصغر على الطاعة، وتعودا–ه على مخالفة هواه، تدريباً له على امتثال اوامر الله تعالى، والبعد عن معصيته، ففي التربية على طاعة الوالدين مران للطفل على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ! ر (2).

1 1 – تنبيهه الوالدين والمربين إلى وجوب امر الطفل ونهيه بكل ما يجب عليه أن يفعله أو يبتعد عنه بعد بلوغه، كا لأمر بستر العورة، وأ مر ا لفتاة بالحجاب، والبعد عن الاختلاط بالرجال الأجانب، ونهي الغلام عن الاختلاط بالنساء، ولبى الذهب والحرير (3).

12 – تحذيره من اختلاف الأبوين أو المربين في منهاج التربية، وتاكيده على ضرورة الاتفاق لينشأ الولد نشأة سويّة، وبيانه لخطر تناقض سلوك الآباء والأمهات والمرئين في التربية، يأمر المربي بالصدق ويكذب، وينهى عن التدخين ويدخن، أو يأمر بالشيء مرة، وبضده مرة أخرى من دون سبب معقول، أو يأذن الأب بشيء، وتنهى الأم عنه في آن واحد، فيتبلبل الطفل في

(1)

(2)

(3)

غرسها خطوة خطوة.

المرجع السابق نفسه.

المرجع السابق نفسه.

المرجع السابق نفسه.

معرفة الخير من الشر، ويحار فيمن يقدّم طاعته منهما، وقد يجزه ذلك إلى الانطلاق مع هواه، والتمزد عن طاعة الوالدين كليهما، فتسقط مكانتهما من لْفسه، ويقع فى العقوق (1).

13 – دعولْه لاَباء والأمهات أن يكونوا قدوة صالحة لأولادهم، وأسوة حسثة لمحي الأقوال والأفعال والأخلاق، لأن كل ما يقال أو يفعل آمام الطفل إ نما هو جزء من تربيته (2).

1 4 – دعوته إلى ان يكون للناشئ مثل اعلى يتطلّع إليه، ويقتدي به، لينشأ محئاً للكمال، متطقعاً إلى رفيع الخصال، عالي الهمة، حريصاً على معالي الأمور في كل شان (3).

1 5 – تحذيره من الفتنة بالأولاد، والانحراف معهم في طريق الشر والفساد إن انحرفوا عن سبيل الله، فربّ أولاد كانوا وبالاً على والديهم في الدنيا والاَخرة، ورلت أولاد كانوا سبباً لهداية والديهم أو زيادة استقامتهم (4).

وقد كانت أسرة الشيخ هي الميدان العمليّ الأول لتطبيق هذا المنهج، ثمّ كانت الجمإعة التي أنشاها هي الميدان الثاني، كما كانت علاقاته التعليمية والاجتماعية، كقها تترجم هذا المنهج، وتتوخى خطاه.

خصائص فكره الدعوفي والتربويّ:

امتازت شخصئة الشيخ أحمد رحمه الله بأصالة الفكر، واستقلال الرأي، والبعد عن التبعية لاحد من دون حجة او دليل.

وشعتطيع الناظر أن يجد النماذج المتعدّدة على ذلك من خلال استعراض

(1)

(2)

(3)

(4)

المرجع السابق نفسه.

ينظر المرجع السابق، ص 1 2 وفي مواطن أخرى من الكتاب.

المرجع السابق، ص 76.

المرجع السابق نفسه.

أفي كتاب من كتب الشيخ ومؤلفاته، كما يمكننا أن نلخص تلك الخصائص لفكره ومنهجه، ونجملها في النقاط التالية:

1 – الوضوح الفكري التائم في أسلوبه، وفي طريقة عرضه لأفكاره، وفي اختياره العبارة السهلة التي تلائم العاميئ المحدود العلم، ولا تنزل عن مستوى المثقف ثقافة جيدة.

2 – تقريب المفاهيم، وتيسير العلوم وحُسن عرضها بما يتلاءم مع الجيل المعاصر، وقدرته على الفهم والتقئل، بل والانجذاب إلى العلوم الإسلامية، والحرص على الاغترات من معينها.

ولعل هذا كان السر وراء اختيار الشيخ ليشارك في وضع مناهج مادّة التربية الإسلامية في بعض المراحل الدراسية.

3 – إحياء منهج السلف في الطاعة والاتباع في كل شأن من شؤون الحياة.

فمنهج السلف ليس عقيدة فحسب، بل هو عقيدة نقلية خالصة صافية، وعبادة مخبتة، والتزام بحقائق الدين ومبادئه وفضائله وآدابه، وتأشّ واتّباع لهدي النبوة في كلّ شيء، وهو منهج دعوفي متمئز، يحرص على اجتماع الكلمة، والتأليف بين القلوب (1).

4 – إحياء المفاهيم الإسلامية، والحقائق الإيمانية، وتصحيح ما علق بها من أوهام الناس، وأخطائهم وانحرافاتهم، وحثّهم على العمل بها، ومن هذه المفاهيم:

ا– مفهوم الإسلام وحقيقته، ومفهوم الطاعة والاتباع (2).

(1)

(2)

ينظر شذة تقديره للسلف في كتابه: ا لأمر بالمعروف وا لنهي عن المنكر ص 1 0 1، 1 37، 1 72؟ وفي كتابه: ا لدعوة إ لى ا لإسلام وأركا نها، ص 1 5 – 0 6.

ينظر: الدعوة إلى الإسلام وأركانها، ص 08 1 – 135؟ ومقدمة سبل الهدى

ب – مفهوم التوكل على الله تعالى0

جـ – مفهوم الأخوة الإسلامية.

د – مفهوم التناصح بين المسلمين (1).

هـ– مفهوم السئة النبوية، وضرورة الأخذ بها، وخطر الاستهتار بها أ و إهمالها.

5 – إحياء رسالة المسجد في التربية والدعوة، ونشاهالعلم و!! لاح الأمة (2).

6 – إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع (3).

7 – الاهتمام بربط الدعوة بالعلم الشرعي، وتنشط طلاب العلم لينطلقو! بالدعوة في كل الميادين، والتحذير من بُعْد الدعوة إلى الله عن العلم الشرعيّ، وضوابطه الشرعية والمنهجئة (4).

8 – تأصيل المنهج التربوي العملي في بناء الفرد والأسرة، وفي الانطلاق بالدعوة، المستوحى من الكتاب والسنة، ووقائع السيرة النبوية، وسيرة السلف الصالح واجتهاداتهم.

9 – الاتزان والاعتدال، والشمولية في الفهم والعمل، والحرص على

(1)

(2)

(3)

(4)

ينظر: الدعوة إلى ا لإسلام وأركانها، ص 67 1 – 1 9 1.

ينظر: الدعوة إلى الإسلام وأركانها، ص 9 1، 65 – 0 0 1؟ وأمالي الشيخ في

تذكير وتحذير، ص 6 4.
ينظر: كتاب الشيخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وامالي الشيخ في
تذكير وتحذير، ص 68.
ينظر: كتاب الشيخ من محاسن الإسلام، اول الكتاب، وص 78 – 160؟
ومنهاج التربية الصالحة.
105

(105/1)

وسطية الإسلام في كل جانب من جوانب الحياة بعيداً عن التفلُت أو التطرف (1).
10 – الانطلاق من منهج دعوي واضح الأهداف والمعالم، بعيد عن
مواقف ردّة الفعل المرتجلة، أو الاشتغال بمعارك بين العاملين للإسلام جانبية،
او الدخول في صراع سياسي، يبعد الناس عن الدعوة، أو يعطّل مسيرتها (2).

---

(1)
(2)

ينظر ما سبق من المراجع.
ينظر التعريف بجماعة الهدى، ففيه عرض واضح لمنهج الجماعة الفكرفي
والنربوفي.
106

(106/1)

الفصل الثاني
تعريف بمؤلفاته

(107/1)

(108/1)

تمهيد

أسلوبه في التأليف وخصائص كتاباته ومزاياها

لا شك أنَ هدف الكاتب مما يكتب، ودوافعه التي تلحّ عليه بالكتابة، والشريحة التي يريد ان يخاطبها. . كل ذلك يحدّد له الأسلوبَ الذي يكتب ب! ويتوخاه. .

وما كل من اراد أسلوبأ احسنه، وقدر عليه، ووُفِّق له. ولقد كان الشيخ رحمه الله من العلماء القلائل، الذين اسهموا في سدّ الفجوة بين الجيل الغابر والجيل المعاصر، الذي لم يعد يتقبّلُ الأساليبَ القديمة في العرض والتأليف، وأصبحت الكتبُ القديمةُ تعثرُ من قِبَل كثير من الناس أنّها الكتب الصفراء، وفيها كثير مفا لا يدخلُ تحت اهتمامات الناس في هذا العصر، بل وفيها أخطاء علميّة قد اكتشف في هذا العصر أنّها لم تكن مستندة إلى حقائق علمية، وإنّما إلى مقولات شائعة، كانت مبلغ الناسن من العلم في تلك العصور، ومع ذلك فلم يستطع كثير من العلماء والمشايخ التحرّر منها، أو الجرأةَ على مخالفت! ا، ولقد أُوتي الشيخ رحمه الله قدرة خاصّة على تقريب ذلك إلى لغة سهلة معاصرة، وتلخيصه بأحسن عبارة، واسهل اسلوب، مع اجتناب ما لا فائدة منه، أو لا يتناسب مع هذا العصر، ومن ثثم ففد اسهمت كتاباته رحمه الله في ت! عيق هذا الهدف، وامتازب مؤئفاته بعدة مزايا آهمّها:

1 – تقريبُ العلوم الإسلامية، وتبسيط عرضها لتناسب لغة العصر–، وتكون مؤثرة جذابة، لا تنزل عن الخاضة، ولا تعلو على مستوى العامّة، وهذا ما نلاحظه في كتابه: (مجموعة العبادات على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى).

2 – ربط الحقائق الإسلامية بادلّتها الشرعية من الكتاب والسنة، والسيرة النبوئة، وهدي السلف الصالح، ففي كتب الشيخ وفرة من الأدئة الشرعيّة مقصودة، وكثرْة هادفة، القصد منها تثبيت الحقائق الإسلامئة في القلوب، وحمل الناس على التمسّك بها، والعمل بمقتضاها، وكان جلُّ اعتماد 5 فيئ ذلك على الأحاديث الصحيحة والحسنة.

ويستشهد أحياناً بالأحإديث الضعيفة، وقد رخمم! العلماء في رواية الأحاديث الضعيفة، والعمل بها في فضائل الاعمال، إذا كانت تندرج لّحت اصل شرعيئ عام، ولم يشتد ضعفها، وما يذكره من الأحاديث الضعيفة كفه مهّ، يتحقق فيه ذلك.

واما استشهاده بقصص الصالحين وأخبارهم، فهو من خير ما يعطي كتبه نكهة روحئة تربوئة مؤثرة، إذ إنّ " حكايات الصالحين تحف الجئة "، كما جاء عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى، وقال الجنيد رحمه الله تعالى: "الحكايات جندٌ من جنود الله عز وجلّ، يموّي بها إيمان المريدين "، فقيل له: هل لهذا شاهد؟ قال: قوله تعالى: " وَخ نَقُضُ عللكَ مِن أَنبَا إَلرسُلِ مَا نثُ! تُ بِهِء فُؤَادَذا!] هود: 0 12). وقال آخر: "استكثروا من الحكايات فإنها دُرَر، وربّما كانت فيها الدرة اليتيمة إ (1)، فأخبار الصالحين توقظ القلوب وترقّقها، وتنهض بالعزائم وتُثبتها، وترقى بالمؤمن في مدارج الخير والكمال، وتدفع الغفلة عن قلبه بإذن الله تعالى.

ومن آثار ذلك: وصل الجيل المعاصر بسلف هذا الأقة الصالحة، وبيان أن سبيل عودة الأمة إلى ما كانت عليه من العرة والتمكين هو العودة الصادقة إلى دين الله تعالى، ونبذ التبعتة للشرق أو الغرب، كما في مقدّمة رسالة: (الحق والباطل).

(1)

من مفذمة كتاب: (صفحات من صبر العلماء)، ص 18، لأستاذنا الث! يخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، نقلاً عن كتاب: (اللفط في حكايات الصالحين).

3 – عرض محاسن الإسلام ومزاياه، وفضائله وكمالاته، وردّ شبهات اعداء الإسلام، وتفنيد مزاعمهم، وهو ما يلاحظ في كتبه في كلّ مناسبة، عدا ما أفرده بالحديث من ذلك وتحدث عنه في رسالة: (من محاسن الإسلام).

4 – الاهتمام بالجانب التربوفي العمليئ، سواءٌ ما كان يتّصل منه بالعقيدة أو السلوك، والبعد عن الموضوعات التي لا فائدة عمليّة منها.

وإنَ القارئ لكتبه يجد فيها روح الإيمان والإخلاص، وحرارة الغَيرة الصادقة على مبادئ الإسلام وحرماته، والتركيز على العمل وانسلوك، والاعتزاز بكل ما جاء به الإسلام. . .

5 – التركيز والاختصار، والبعد عن التطوي!! المملّ، أو الاختصار المخل، أو الحشو والتكرار، فأسلوب كتابته أشبه بالمادّة التحضيريّة التي يعدّها المعلّم لتدرشمه، والتي تثبه المذكرات.

فكتابه: (الإيمان بالته تعالى) يُقرأ في جلسة واحدة، وكذلك كتابه: (شؤم المعصية وبركة التقوى) يُقرأ في جلسة واحدة، وكذلك رسالة: (سبيل الهدى والعمل)، لأن القصد الأؤل مفا يكتب التذكير لا التعليم، وأكثر الناس حاجتهم إلى التذكير اكثر من حاجتهم إلى التعليم.

6 – ومن مزايا مؤئفاته: تصحيح المفاهيم الخاطئة في فهم الدين 5 مبادئه ومصطلحاته، مفا يصذ الناس عن العمل الصا لج، ويجعلهم يسلكون مسالك منحرفة، في فهم الدين والعمل به، وهم يظنّون أنهم على خير وهدى، بدءاً من مفهوم الإسلام وحقيقته، إلى مفهوم التوكل، ومفهوم الأيمان بالقضاء والقدر، ومفهوم الرجاء وحقيقة الغرور، ومفهوم التم! ك بالدين وحقيقته. . وغير ذلك مقا نراه مبثوثاً في كتبِه ورسائله. .

7 – ومن مزايا كتبه: البعدُ عن اثافئ الخلافاتِ الفكريةِ والفقهثةِ، لما فيها من تشويشِ العامة، وحملِهم على ما يتَعُ الخلافُ فيه، وإشغالِ الناسِ بالقيل

والقال وكثرة الجدال، عمّا يُهفُهم من صالح العمل، وإنكارُه على من يفعل ذلك ويشغل الناس بالجدل والمراء.

8 – ومن مزايا كتبه: ما عرض فيها من تجاربه الدعوئة والتربوئة، مفا فيه فوائد جمة للعلماء والدعاة إلى الله تعالى، كما عرض في كتاب (الإيمان بالفضاء والفدر) من حوار 5 مع بعض الطلاّب في مناسباتٍ مختلفة، وكما عرضر في كتاب (الإيمان بالملائكة) من تجربته العملئة عمّا يزعم من تحضير الأرواح، وما وصل إليه من نتيجة، تثبت كذب هؤلاء المدّعين وخداعهم للناس، ومن ذلك أيضاً ما ذكره في كتاب (الرؤى والأحلام) من رقة جرّبها بدعاء نبو قيّ مبارك، كإن فيها حفظ من شز الشياطين وكيدهم، وسبمث لمنع إجهاض المرأة الحإمل.

9 – ومن مَزايا كتبه: ما يختم به اكثرَها من أدعية نبوئة مختارة مناسبة، تقوي الإيمان وتشحذ العزائم، وتوخه الفلوب إلى الله تعالى، ثمّ يوجّه نداءً للمؤمنين، او للدعاة إلى الله تعالى، أو لعامّة الناس، ينهِضُ الهمم، ويحفزُ على الالتزام والعمل، ويحث على تطبيق ما جاء في الكتاب من أحكام وآداب.

***

المبحث الأول

كتبه المطبوعة ورسائله

إن المَزئة الكبرى لكتب الشيخ رحمه الله أنها مراة صادقةٌ عن شخ! حه وسلوكه، فأنا اشهد، وأظنّ أن كل مَنْ عرف الشيخ معرفة وثيقة يشهد: أنَّ الشيخ ما كتب كلمةَ أو قالها إلأ وهو متحقق بما يكتب أو يقول، ليس في نفسه

فحسب، بل في اسرته ايضاً، كما كان حريصاً على أن ينقل ذلك إلى إخوانه ومحتيه. .

وكان من بركة ذلك انَ الله تعالى كتب له القبول عند 5، فلا برة بما يؤلف، ولا بكثرَة ما يؤلف إن لم يكتب الله له القبول، وهذا القبول عند الله من مظاهر 5 وعلاماته: أن يوضع له القبول عند عباد الله، فيعمّ خيره، ويعظم أثر 5، وينتفج به الناس. .

وعندما يجمع العالم الداعية بين التعليم والدعوة، والتربية والرعاية، والتأليف والكتابة، يكون قد استكمل ابواب النصح للأفة، واحكم ابواب الخير لنفسه، إذ ترك بعده علماً ينتفع الناس به، فاستمز عمله من بعده إلى ما شاء الله، والله يعطي الفضل كيف يشاءُ. .

وقل من العلماء والدعاة من يستطيع التوفيق بين القيام باعباء الدعوة ومسؤولياتها، والقدرة على الكتابة والتاليف، وتبليغ الفكرة لأوسع جمهور ممكن من الناس حاضراً ومستقبلاً، بل إن بعض الذين شغلوا بكثير من الدروس واللقاءات العامة، يقفلون من أهمئة الخطاب المكتوب، ويرون الانشغال بذلك ضرباً من تبديد الجهد، وضياع الوقت.

ولكن الكتاب يبلغ ما لا يبلغ الخطاب، ويبقى ما لا يبقى الخطاب، والكلام المسموع تكر عليه عوامل النسيان فتمحوه، وامّا الكتاب المرقوم فهو

(113/1)

حجّة لمن كتبه، وحجّة على من بلغه، وذكر لمن قراه ووعا 5.

وقد وفّق الله تعالى الشيخ احمد رحمه الله، فكان من أولئك الذين اعتنوا بإلكتابة، ورأوا فيها ضرورة دعويّة، ووسيلة حيويّة، من وسإئل تبليغ الدعوة، ونصرة الفكرة، وتقريب الحق إلى أبناء جيله، فترك لنا من بعده رحمه الله، اَثاراً كثيرة متنوعة، كلّها ذات غرض دعوفي وتربوفي، يتجلّى في موضوعاته وأفكاره وضوح الأهدات وشرت المقاصد.

سرد مؤلفاته رحمه اللّه:

كتبه المطبوعة ورسائله:

أولاً– كتب ورسائل منوعة:

1 – رسالة سبيل الهدى والعمل.

2 – كتاب الاجتهاد والمجتهدون.

3 – كتاب قبسات من نور النبوة بالاشتراك مع فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتّاح أبي غدة رحمه الله وأجزل مثوبته.

4 – رسالة أخطاء لغوية شائعة وتصويباتها.

5 – كتاب مجموعة العبادات على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وفي ختامه قصائد من شعره.

6 – رسالة التكريم الصادق بالاتّباع الكامل.

7 – الاشتراك مع بعض مدرسي التربية الإسلامية، في وضع مناهج هذه المادة للمرحلة الابتدائية، وتربيتها.

ثانياَ–سلسلة العقائد وهي:

1 – الإيمان بإدئه تعالى.

2 – الإيمان بإلرسل.

---

3 – الإيمان بالملائكة.

4 – الإيمان باليوم الآَخر.

5 – الإيمان: خصائصه، علاماته، ثمراته، وهو في قسمين.

6 – الكفر والمكفّرات.

ثالثاً – سلسلة (من هدي ا لإسلام):

ا –شؤم المعصية وبركة التقوى.

2 – هذا الإنسان.

3 – الدعوة إلى الإسلام وأركانها.

4 – من محاسن الإسلام.

5 – الفتن.

6 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7 – القلب.

8 – منهاج التربية الصالحة.

9 – فضيلة الدعاء والذكر، وهو مطبوع في قسمين.

1 0 – الحقّ والباطل.

1 1 – التوبة، وهو مطبوع في قسمين.

1 2 – العمل الصالح.

13 – الرؤى وا لأحلام.

1 4 – الهدى والضلال.

15 – العشر المهلكات.

كتبه غير المطبوعة ورسائله:

1 – كتاب بلوغ الأمل وشرح وصايا: (سبيل الهدى والعمل).

1 1 5

(115/1)

---

2 – من مواطن العبر في قصص القرآن الكريم، او: نَفحات الرحمن في بيان مواطن العبر في قصص القرآن.

3 – من نداءات القرآن الكريم.

4 – مختارات من كلام السلف.

5 – مجموعة العبادات على المذهب الشافعيّ.

6 – كتاب الآداب الإسلامئة.

7 – نسا ئيات.

8 – مراحل حياتي بقلمي.

9 – ديوان شعره، واسمه: (النزر الطفيف من نظم العبد الضعيف).

10 – تتفة العشر المهلكات.

11 – رسائل دعويّة وتربويّة، في مونحموعات متنوّعة، كان قد وجّهها للشباب في المخيّمات التربوئة.

12 – الأمالي في جلسة الأحد والثلاثاء الأسبوعيّة، وكانت بعنوان: (تذكيروتحذير) (1).

خطبه؟ وكلها مكتوبة.

***

---

(1) وقد استخرج منها الباحث أساليب تربويّة، وتوخهات دعويّة، ونشر نماذج منها في كتاب بعنوان: (أساليب تربوية، ومواقف دعويّة من حياة الشيخ أحمد رحمه الله).

(116/1)

---

1 – رسالة سبيل الهدى والعمل

المقاس صغير، وعدد صفحاب الطبعة العاشرة (100).

سبب تأليف هذه الرسالة:

وقد حدثنا مرة عن سبب تأليفه لهذه الرسالة فذكر أنه كان في كلّ لقاء مع أقاربه وارحامه يحثهم على التمسّك بفضائل الإسلام وآدابه، ويذكر لهم بعض الفضائل، ويحثّهم عليها، فقالت له مرة بعض محارمه: إننا لا نعرف كثيراً من الأحكام والأعمال المطلوبة من المسلم، ولو عرفناها لعملنا بها، ولسنا على علم شرعيّ واسع، فلو دللتنا على كتاب مختصر، يجمع أ وامر الإسلام ونواهيه باختصار. . فأعجبت الفكرة الشيخ، وفكّر في كتاب يكون كذلك، ؤلم يجد، فعزم على ان يقوم بهذا الجهد، وأن يجعلَه على أسلوب الوصايا: افعلْ كذا، واتركْ كذا، وان يستقصي فيه أحكام الإسلام وآدابه في كلّ جانب من جواقب

الحياة، فاجتهد في ذلك، حتى كان له ما أراد. .

– يقول في مقدمة الطبعة الأولى من رسالة: (سبيل الهدى والعمل):

"وبعد: ايّها الأخ المسلم! انت في زفي ادبر خيره، وأقبل شزه، عَبَدَ الناس فيه الهوى، وأخطؤوا طريق الهدى، مع أنّ النبيئَ! سَّج! قال: "تركتُ فيكم شيئبن لن تضلّوا بعدهما: كتابَ الله وسنّني " (1).

ومن أجل ذلكَ جمعتُ لكَ في هذه الرسالة من الأوإمز والنَّواهي ما استطعت، فجاهد نفسك على العمل بها تكن من المتقين، ولا تركن إلى 5 كأ يصذك عنها، او عن شيء منها، وتدبّر قول ربّك عزّ وجلّ: " وَجَمَفنَا بَغفم لبَعْنهى فِتنَةً أَتضَحيرُوت وَ! انَ رَثُك بَصِ! يم " أ ا لفر قا ن: 0 2).

---

(1) رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأنتِ أنتها الأخْت المسلمة! خذي هذه الوصايا بالقبول، واعملي بها، واعلمي أنكِ نصف المجتمع، ومربّية النصف الاخر، فإذا صلحتِ صلح، وإذا فسدتِ فسد.

اعملي بهدي ا لدين، وتحلّي بفضائله ومكارمه، ولا يغرّنكِ شبا ب يذهب، وجمال خفب، وثوب يبلى، إئما الجمال دين وخُلق وعفاف. . . ".

ويقول في مقدمة الطبعة الثامنة من رسالة: (سبيل الهدى والعمل):

"وبعد؟ فقد من الله تبارك وتعالى على عباده ببعثة نبئه سيدنا محمد غ! حم، والعالم يتخبط في ظلمات الجاهلية الجهلاء، والضلالة العمياء، فأنقذهم بشريعته من الظلمات إلى النور، وجعلهم باتباعه سادة الأمم، وملوك الارض، فسطروا في تاريخ الإسلام الزاهر صفحاب مشرقة خالدة، تشزف الإنسانية إلى أبد الآباد.

ولم يزالوا كذلك في عزة وقوة ورفعة، يرفلون في حلل السعادة والسيادة،

حتى زئت بهم الأهواء، وأضَالَتهم الفتن، فنزلوا من علياء الإسلام درجة درجة،
حتى صاروا إلى هذه الهوة السحيقة، وتاهوا في فيافي المعاصي والضلال،
والمذاهب المنحرفة الحمقاء، فذهبت ريحهم، وتفزقت كلمتهم، وطمع بهم
العدو، فذئوا بعد عر، وضعفوا بعد قوة، واصبح مجتمعهم مجتمعاً مريضاً،
تفاقمت علله، وبشابكت أسقامه: " ذَ لِكَ بِاَلث أدئَهَ لَتم يَكُ مُغَ! بم نِغمَةَ أَنعَمَهَا عَكَ قَتمب
ص يُفَيْرُوأ مَا بِأنفُسِهِئم " ١١ لأنفال: 53) ".
– ثم يقول: "ومن ابرز أمراض هذا المجتمع.
1 – الجهل بالإسلام 0 2 – ضعف الإيمان.
3 – التهاون بالمعاصي 0 4 – التقليد الأعمى.
5 – فتنة النساء 0 6 – الرضا بالصلاح النسبي.
7 – ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
118

(118/1)

---

8 – إهمال تربية البنين والبنات ".
ويشرح هذه العلل والأمراض باختصار، ثم يقول رحمه الله: "لكل داء
دواء: هذا داء المسلمين، فما هو دواؤهم؟ "، فيجيب بقوله: " لا يصلح اَ%ض
هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها، فإذا أراد المسلمون النجاة سلكوا سبيل النجاة،
وسبيل النجاة العودة الصادقة إلى دين الله وشرعه، بمجاهدة النفوس على
التم! ك بالإسلام والعمل باحكامه، وبالصحبة الصالحة المعينة على السير في
هذا الطريق القويم. . ولا بدّ في ذلك من التاَخي في الثه، والتعاون على مرضاة
الله، والتناصح في دين الله، والرجوع إلى المساجد، بيوت الله، والاستشفاء فيها
من أدران المادة، وعلل المادة، وتغذية الروح بطاعة الله. . ١ ما القعود عن ذلك،
والغرور بالأماني، من غير سعي ولا طلب، فلا يوصل إلى غاية، وليس هو من
شان العاقلين " (1).
!!! سع!

(1) مقدمة الطبعة الثامنة من رسالة (سبيل أدهدى والعمل)، ص 4 2.

(119/1)

---

2 – كتاب (ا لاجتهاد والمجتهدون

وضرورة العمل بمذاهب الأئمة الأربعة

وخطر اللامذهبية الضانة)

الكتاب مقاس 24*17، وعدد صفحاته (06 2)،

الطبعة الأولى 388 اهـ، الناشر مكتبة الشباب

المسلم، حلب –باب النصر.

سبب جمع الكتاب وتأليفه:

1 – جراءة بعض العوام، الذين لا حظّ لهم من العلم أو الفهم على الاجتهاد والفتوى، وقد راينا مَنْ يفتي وليس له حظ من ثقافة محو الأمئة سوى بلوغ سقف المرحلة الابتدائئة، وكانت غاية الأدوات في ذلك ثلاثة كتب من كتب أهل العلم، ولا ضرورة لإتقان تلاوة كتاب الله تعالى وتجويده، ولا لمعرفة اللغة العربية وعلومها، وقواعد الاستنباط واصوله، فضلاً عقا يتّصل بذلك كلّه ويكفله. .

2 – الفتاوى الثإدة المضفلة للأفة، المشؤشة في دينها، التي تقود الأفة إلى فوضى دينئة وفكرئة لا تقف عند حدّ، فمنها: أنّ الدخان في نهار رمضان لا يفطر، لأن العلماء ما كانوا يعلمون أن الدخان يدخل إلى الرئة لا إلى المعدة.! وأشهر احدهم سيجارته في نهار رمضان امام زملائه، وهو يعلن لهم هذه الفتوى. . التي استهوى بها أمثاله من الجهلة ومَنْ في قلبه مرض. . ولا حرج على من اكل قبل طلوع الشمس في رمضان! وعروض التجارة لا زكاة فيها مهما بلغت، لأنها لا نمق فيها!.

3 – الانتقاص من قدر الأئمة الأربعة، وقد كان للإمام أبي حنيفة رحمه إدئه

تعالى من سمْهِ هؤلاء الحظ الأوفى، فقال بعضهم: "مَن أبو حنيفة؟ أنا أضعه في
120

(120/1)

جيبي! ". وقال آخر: ابو حنيفة كان جاهلاً في الحديث! وقال اَخر امام صغار طلبة العلم الذين يفترض فيه أن يلقنهم الأدب قبل العلم: اخطأ الشافعيّ في كذا! وكذا! واخذَ يستهزئ بكلامِ الإمام الشافعيئ رحمه الله، في مسألة من مسائل العلم.

ونحن لا ندعي العصمة للإمام الشافعيّ رحمه الله، ولا لأحد من الأئمّة، ولكن افي عاقل غيور على الدين والعلم يرتضي مثل هذا السفه، وقفة الأدب، والجراءة على أعراض الأئفة، الذين وهبوا حياتهم لدين الله تعالى وشرعه، والنصج لكتابه وسنة نبئه! ر، وأئمّة المسلمين وعافتهم؟ ا ومتى كان العلم بدين الله يُنالُ بالطعن بخيار سلف هذ 5 الأمة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!.

فرأى الثيخ أحمد أن هذ 5 البدعة نذير شز مستطير، وان الوقوف في وجهها من أوجب الواجبات، ولا يقوم به عالم وحده، وإنما ينغي ان يرف العامّة موقفاَ لأهل العلم واحداَ تجاه هذه البدعة الخطيرة، ليعلموا أنّ أصحابها ليسوا على خير ولا رشد. . فقدّم حول هذه الشبهات أسعلة لعدد من أعلام العلماء والفقهاء في العالم الإسلاميئ، وعلى وجه الخصوص في بلاد الشام، ثمّ جمع الإجابات التي وصلته في كتاب أخرجه بهذ! العنوان، وكتبَ مقالة للتعريف بالأئمّةِ الأربعة، وأعقبها بكلمة في إجلال الأئضة بعضهم بعضأ.

يقول رحمه الله في مقدمة كتابه: "والخطأً إلى من يجتهد وليس أهلاُ للاجتهاد أقرب منه إلى من يققد المجتهد الموثوق به، المشهود له بالإمامة.

وهذا تنزل اقتضاه المقام، دمالأ فاجتهاد من ليس أهلاً للاجتهاد أكبر ال! صبائر، واعظم الجنايات على الدين وأهله، على ان أتباع الأئفة لم يكونوا من مقفديهم على ما يزعم هؤلاء، ف! ثا نرى أبا يوسف ومحمّدا كثيراً ما يخالفان أبا حنيفة، بل لا نكاد نجد في مسألة لا يذكر فيها ذلك الخلاف الذي يبيّن استقلالهم، وشدّة

حرصهم على اتباع الحق متى ظهر دليله. .
فكان لكبار الأئمة الاستقلال التائم، وكابر تابعيهم الاستقلال الجزئيئ،
121

(121/1)

من التضعيف والترجيح، وللعافة الاتباع، فإنّه لا يصحّ فيهم غير هذا، وهو عين الحكمة، ولولا ذلك لصار الدين لعبة بيد الجهّال، وهذا ما نخاف مفه، ونحاول القضاء عليه.

وليس معنى ذلك أنّنا نقول بعدم الاجتهاد، أو أنّه أغلق بابه كما ليقو لون، فإن ابواب فضل الله لا تغلق، وهل هذا إلا حجر على الله عزّ وجل؟ ولئن هناك فَرْقٌ كبيرٌ بين إمكان الثيء ووقوعه، وبين إسناده إ لى غير أهله، وقد أصبحنا في زمان ضاعت فيه الحدود، وتعدى كل إنسان طوره، ولم يعرف قدر 5، وهي أكبر مصائبنا، واعظم بلايانا، التي نئن منها ولا نعلم منتهاها. .

نحن نرى أن الناص على درجات شتى فيما وهبهم الله من الاستعداد الفطرقي، وفيما أحاط بهم من ضروب التربية المختلفة، والبيئات المتنوّعة، وما قدر لهم من فنون الثواغل، وما عنوا به مفا أقامهم الله فيه، ونرى ان كل طبقة لها حكم يخصها، فمن وصل إلى درجة الاجتهاد، وجب عليه الاجتهاد، وكان اَثماً بتركه، ومن وصل إلى درجة الترجيح، وجب عليه ذلك، ومن قعد به استعداده او تربيته او بيئته، او أحاط به من شواغل المعيشة أو الوظيفة فعليه أن يقفد من يثق به، ويعلم ائه غير جاهل بدين الله، ولا غاشّ فيه. . ولا يكلّف اللّهُ نفساً إلا وسعها.

لني لأعجب لهؤلاء، كيف يجعلون أمر الاجتهاد أقل من جميع الصنائع، التي لا يجتهد صاحبها إلأ إذا كان له فيها علم واسع، وعمل متكزر، حتى يعرف اسرارها ودقائقها، ويصبح من ذوي التبريز فيها. . وكأن مسالة الدين اصبحت من أقل المسائل لدينا، وأهونها علينا. . . " إلى اَض كلمته الدقيقة الرصينة، رحمه الله واجز ل مثوبته.

العلماء الذين استكتبهم:

ولا نعرف على وجه الدقة عدد العلماء الذين استكتبهم لهذا الغرض،

ولكن العلماء الذين وصلته إجاباتهم، وأدرج مقالاتهم في الكتاب هم:

122

(122/1)

– الشيخ عبد الله خيرالله، مفتي منطقة جبل سمعان في محافظة حلب.

– الشيخ محفد الحامد، خطيب جامع السلطان بمدينة حماة.

– الشيخ محفد إبراهيم السلقينيئ، مدرس الفقه وأصوله في الثانويّه الشرعئة بحلب، وإمام وخطيب مسجد الطواشي.

– الشيخ عبد العزيز عيون السود، امين الإفتناء في محافظة حمص.

– الشيخ عبد الوهاب الحافظ الملقَّب بدبس وزيت، أحد علماء مدينة دمشق وفقهالْها.

–الشيخ محمد محمد ا لعربي بن ا لتبانيئ، المدرَس با لحرم المكيّ ا لشريف.

وقد نقل اؤل الكتاب كلمة للشيخ عبد الرحمن حسن، من مقدمة كتابه:

(الفقه على المذاهب الأربعة).

ب!! كل

123

(123/1)

---

3 – كتاب (قبسات من نور النبوة)

وقد أثفه بالاشتراك مع فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبي

غدة رحمه الله وأجزل مثوبته. الطبعة الثاية،

المقاس وسط، وعدد الصفحاب (146)، كانت

الطبعة الأولى من الكناب عام 951 ام، والطبعة

الثانية بعناية الباحث عام 0 42 اهالموافة!
999 ام، وقد ألحق بها رسالة له بعنوان:
(ومضات من هديَ النبيّ الخاتم فيئ)، وقد قذم
هذه الطبعة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد ابو الفتح
البيانوني، نجل المترجَم له رحمه الله.
وكما يبدو من عنوان هذا الكتاب فهو ليس كتاباً في السيرة، يستتتصي في
روايتها، ويلتزم عرض احداثها على حسب التسلسل الزمنيّ المعروف، وإنّما
هو (قبسات) كما عنون له المؤئفان رحمهما الله تعالى، وكان القصد منها الرد
على غومعب ضا 4، ردد بجهله وعمايته بعض شبهات المستشرقين وافتراءاتهم عن
النبي لجتَ، فتجزد الشيخان لكتابة هذا الرذ دون ذكر اسمه، أو ما ذكر من افتراء،
تصغيراً لشأنه، وانطلاقاً من ان كلّ ما يفترى في هذا الشأن، فهو يعود إلى الجهل
بسيرة هذا النبي العظيم للَخير، وقدره الكبير، ومن ثتم كان حقّاً على العلماء
والدعاة إلى الله ان ينشروا أخبار سيرته العطرة، ويعزفوا الناس والناشئة بوجه
خاصن بخصائصه ومعجزاته! لجفه، وشمائله وكمالاته، لتقوم الحجّة، ويقطع
دابر كل شبهة.
!، كللأ
124

(124/1)

---

4 – رسالة أخطاء لغويَة شائعة وتصويباتها، (0 0 5 (كلمة
نشرت الطبعة الأولى بتاريخ 381 اها اصموافق
961 ام، ولم يطغ بعد ذلك. المقاس صغير،
وعدد الصفحات (56).
وقد بنى هذه الرسالة على قوله: " قل كذا ولا تقل كذا"، باختصار ودون
تعليل أو إحالةٍ إلى مرجع، ويجمع هذه الكلمات كقها انّها مفا شاع على ألسنة
الناس، واقلام الكتاب، ولكثها كما يلاحظ جمعت بين نوعين من الأخطاء:

– النوع الأول: أخطاء لغوية مرجعها الخروج عن الاستعمال اللغويّ الصحيح.

– والنوع الثاني: اخطاء هي من نوع اللغة العامتة، واللهجة المحليّة، وم! شاع بوجه خاصن في مدينة حلب بين العامّة والخاصّة من كلمات تركتة، او فرنسية، قد انزلقت إ لى ا لسنة الناس نتيجة القرب من تركية، والاتصال الوثيق بأهلها، أو تأثراً بالغزو الثقافي الفرنسيئ.

على أن النوع الأؤل لا يسفم به كلّه، ففيه م! عُد من الأخطاء، وهو يدور م! بين صحيح واصح، أو راجح ومرجوح، أو م! اقزته بعض المجإمع اللغوية.

ويُحمد للشيخ هذا الحسّ اللغوفي الدقيق، والغيرة الصادقة عاى لغة القرآن الكريم، التي دفعته إلى جمع هذه الرسالة، وإشاعتها بين الناس، بتوزيعها مخاناً، رحمه الله واجزل مثوبته، وقد كان ديدنه تنبيه طلأبه وتلامذته وجلسائه على بعض الأخطاء اللغوثة، وم! يقابلها من الصواب، ولم يكن مع المقولة غير الحكيمة الشائعة: "خطاً شائع خير من صواب مهجورلا.

!!!

125

(125/1)

---

5 – كتاب (مجموعة العبادات)

على مذهب الامام ابي حنيفة رحمه الله

المقاس كبير 22 ك! 16، وعدد الصفحات (317)،

وقد طغ الكتاب في حياة الثيخ مفزقأ ومبحوعاً،

وطغ بعد وفاته كذلك، لتسهيل ححله على

الدارسين، ولحاجة من يريد أداء المناسك إلى

كتاب في الحج والعمرة مستقلاً.

وفيه أبواب الطهارة، والصلاة، والزكاة،

والصوم، والحج، والعمرة، وفي ختامه قصاثد

من شعره في المديح النبوقي، والحنين إلى المشاعر
المقدسة.
والشيخ في كتاب الحج والعمرة – فيما اعلم – أوّل من جعل أحكام الحجّ والعمرة في جدول على المذاهب الأربعة، تسهيلاً للناس في التعرّف على احكام المذاهب الأربعة، ثم تبعه من كتب المناسك.
وقد عرض كتابه على عدد من فقهاء الحنفئة المتمكّنين في مدينة حلب، لمراجعته وتدقيقه، اذكر منهم فضيلة استاذنا العلأمة الشيخ محفد إبراهيم السلفينيئ، وأستاذنا العلأمة عبد الله خير الله مفتي حبل سمعان، رحمهما الله تعالى. لما كان له من صلة وثيقة بجميع إخوانه من العلماء والمشايخ، ثلشذة شعوره بمسؤولئة العلم وامانته.
!!!!
126

(126/1)

---

6 – التكريم الصادق بالاتَباع الكامل
المفاس صغير 7 أكر 12، وعدد صفحات الطبعة
الثانية (24).
كتبها بمناسبة احتفالات الناس السنوثة بربيع
الأوّل.
وقد خشي أن يتحوّل هذا الاحتفال إلى تظاهرة اجتماعية شكليّة، تبتعد عمّا يجب على المسلم تجاه نجيّه نلج!، من حُسن التأسّي والاتباع، والتمسّك بالسنّة، والأدب مع صاحبها! حِ، وأصل هذ 5 الرسإلة في كتاب: (قبسات من نور النبوة)، وقد اضات إليها ما يناسب المقام، ثمّ خطب بها الجمعة، وطبعهما ووزعت على الناس.
!!!
127

7 – سلسلة العقائد (1)

1 – ا لإيمان بالله تعالى، المقاس صغير 2 1 ك! 7 1، عدد الصفحات (7 0 1).

2 – ا لايمان بالرسل، المقاس صغير (2 1 ك! 7 1)، عدد الصفحات (3 0 2).

3 – ا لايمان بالملائكة، المقاس صغير (2 1 ك! 7 1)، عدد الصفحات (1 23).

4 – الإيمان باليوم الآخر، المقاس (2 1 ك! 7 1)، عدد الصفحات (57 1).

5 – ا لإيمان خصائصه، علاماته، ثمراته؟ وهو في قسمين. المقاس صغير (2 1 ك! 7 1)، عد! الصفحات (79 2).

6 – الكفر وا لمكفْر ات، المقاس صغير (2 ا ك! 7 1)، عدد ا لصفحات (85 2).

سبب تأليف هذه السلسلة:

إن كتابة العقيدة بلغة العصر كانت حاجة للجيل ماشة: فلقد اجتا–حت بلاد الشام في النصف الثاني من القرن العشرين موجة من الإلحادكانت أشبهَ ما تكون بموضة تافهة يعبر فيها الفارغون عن تغربهم النفسيئ والفكريّ، والتظاهر بالعلمِ والثقافة، وكانت زراعة استعمارئة فرنسئة المنشأ، ماسونيّة المخبأ، نصرانية التعهد والنمؤ، ثم ما لبثت تلك الموجة ان سرت لتشمل أبناء المسلمين من طلأب المدارس، الذين هم في عمر الزهور، فكانوا كثيرأ ما يتلقّفون الشبهاتِ من بعض أساتذتهم، فتحدِث في عقولهم تشويشاً وبلبلة، ممّا يدعوهم إلى

(1)

طبعت سلسلة العقائد وسلسلة من هدي الإسلام الطبعة الأولى في حلب عام 1393 هـ– 1973 م أو ما قبل، ثئم طبعت الطبعة الثانية وما بعدها من الطبعات عن طريق دار السلام في مصر عام 5 0 4 1 هـ– 985 1 م وما بعد.

128

طرحِها على مدرّسيهم، ومن يتوسّمُون فيهم القدرة على حفها، وايإجابة عنها. . فمنهم من يحظى بإجابة مقنعة، ومنهم من يسمع ما لا يشفي عليلاً، ولا يروي غليلاَ. . فكانت الحاجة ماشة إلى كتابة العقيدة الإسلاميّة، وعرضها بصورة ملائمة للعصر، مستجيبة لمتطلّبات الجيل. .

منهجه في كتابة العقيدة:

يفول رحمه الله في مقدّمة كتاب: (الإيمان بالئه تعالى): "وإنّ هذه القواعد الخمس – يعني أركان الإسلام – إنما هي دعائم لمصالج الناس، وأسس تبنى عليها سعادتهم، وكلّ قاعدة منها عماد لأمّهاتٍ من الفضائل، وسبيل إلى خيري الدنيا والاَخرة، لو رعاها المسلمون حق رعايتها، والمّوا بأحكامها وأسرارها، وقاموا حق القيام بواجباتها.

وأجل خدمةٍ علمئة دينئة للمسلمين أن يمهَد السبيل لهم إلى العلم بهذه القواعد، ومعرفتها على أكمل وجه، حتى يكون المسلم في عقيدته مؤمناً على علم، مطمئناَ إلى الإيمان قلبه، لا تشوب عقيدته أوهام ولا اباطيل، وبهذا تثمر العقائد مكارم الأخلاق، وتستقيم أحوال الناس.

من أجل ذلك عزمتُ بعونه تعالى على إخراج سلسلة تحت عنوان:

(سلسلة العقائد) توخيت فيها أن تكون سهلة المأخذ، قريبة المنال، يفهمها العامة، ولا تنزل عن مستوى الخاصّة، ليطلع فيها المؤمن على ما يجب ايإيمان به، والإذعان له مفا جاء به الإسلام الحنيف ".

ويقول ولده فضيلة الشيخ الدكتور محمد ابو الفتح في تقديمه للسلسلة:

"فإنَ من خصائص العقيدة الإسلامية وضوحها وسلامتها من التعقيد، حيث يسهل فهمها على العقل السليم، وتسرع إلى تقبلها القلوب والفطرة البشرية. وقد كتبت العقيدة الإسلامية بأساليب متعدّدة، حسب العصور ولغاتها، وتنوع أساليب التاليف فيها. . حتى كادت تطغى بعض الأساليب على خاصّية وضوحها، وتضيع جمالها، بل اصبحت مادة العقيدة ايإسلامية في بعض

الأزمان والبلدان من أصعب الموادّ الدراسئة على الدارسين، وأ ضحَت في بعض كتبها المعتمدة على علم الكلام والجدل، عقيدة نظرية جافة، تخاطب العقول، ولا تلامس بشاشتها القلوب، فتلاشى نورها، وخفيَت آثارها الطئبة فى حيا5 النإس، بعد انْ كانت محور حيا تهم، وا ساس تحزكهم وسكونهم.

ومن هنا: اهتئمَ الدعاة بإعادة النظر في التاليف فيها، ودَعوا إلى تجريدها عن اساليب علم الكلام والجدل، وعرضها واضحةً على النإس جميعاً، على مختلف مستوياتهم، مفتبسين ذلك من منهج القرآن الكريم في ثقريرها، ومَسيرة الرسول غ! ي! في تبيينها.

وكانت مجموعة العقائد هذه للسئد الوالد الشيخ أحمد عزّ الدين البيانونيّ رحمه الله تعالى من أولى المبادرات الناجحة، في هذا السبيل.

فكان اسلوبه في كتابتها – كما يرى القارئ الكريم – سهل المأخذ، قريب المنال، يخاطب العقل والقلب معاً، ويلحق العلم بالعمل، فهو إذ يحدِّث صت الإيمان بالثه عزَ وجل واركانه، يلحقه بالحديث عن خصائص الإيمان وعلاماته، وثمراته، ويستغرق حديثه في الجانب الثإني ثلث المجموعة لاهمّيته العملتة في دراسة العقيدة " (1).

1 – الايمان بالهّ تعالى:

ونقرأ في هذه الرسالة: الإسلام والإيمان، العقل منا! التكليف، أقسام العقائد الإسلامية، القسم الأول: الإلهيات، الإيمان بالثه تعالى، ذات الله واسماؤ 5، معاني بعض الأسماء الكريمة، أسماء وردت على سبيل المجاز، اسماء الله تعالى توقيفية، صفإت الله تعالى، من حمق الملاحدة، المصادفة، حديث مع طالب، عالم وملحد، الله خالق كل شيء، من صفإت الله تعالى ف! ب القرآن: وجود الله تعالى وقدمه، بقاؤه تعالى ومخالفته للحوإدث، قيام الله تعالى بنفسه، وحدانية الله تعالى، قدرة الله تعالى وإرادته، علم الله تعالى، حياة

(1)

ص 3 – 4 من مفدمة كتاب الإيمان باللّه تعالى.

الله تعالى، سمعه تعالى وبصر 5، كلام الله، صفات الله لا تتناهى، بين صفات الق
تعالى وصفات المخلوقين، سؤال يقف امامه كثير من الناس، محبة الق تعالى،
من علامات محبة الله عبد 5، من علامات محبة العبد ربه تعالى، مما يحئه الله 5 ش
الأعمال والخصال، من الخلال التي يبغضها الله تعالى، تأنيب، دعاء.

2 – الإيمان بالرسل:

ونقرأ في هذه الرسالة: أقسام العقائد الإسلامية، الإيمان بالرسل عليهم
الصلاة والسلام، معنى الرسالة، الرسل عليهم الصلاة والسلام، عدد الرسل
عليهم الصلاة والسلام، تأييد الله الرسل، المعجزة، الفرق بين ا! حبزة
والسحر، من المعجزات، من معجزاته! شَّب!: القران الكريم، انشقاق القمر،
تكثير الطعام القليل، نبع الماء من بين اصابعه، الإسراء والمعراج، حنين
الجذع له! لجيم، سرعة استجابة دعوته! شَتَ، الإخبار بالمغثبات، تفضيل نبينا ط!
على النبيين وطرف من خصائصه: ميثاق النبيّين، عموم رسالته، شفاعته،
لزوم الأدب معه! لجيم، تعظيمه! لجيم، والصلاة على النبي! يِ!، نداء الله تعالى إيّا 5،
صفات الرسل: الصدق، الأمانة، التبليغ، الفطانة، مايجوز في حقّ الرسل،
طاعة الرسل توجب الجنّة، النصر للرسل، التحذير من مخالفة الرسل، الندامد
للمكذبين يوم القيامة، الوحي، ا قسام الوحي، ظاهرة الوحي.

موجز السيرة المحمّدية الشريفة: نسبه، أدوار حياته لجو، الدور الاول
من حياته، الدور الثاني من حياته، الدور الثالث من حياته، الهجرة إلى المدينة،
أولاده وزوجاته الطاهرات وسراريه، من الحكمة في تعدد زوجاته، أعمامه
وعمّاته، أمّه من الرضاع وحاضنته، طرف من شمائله، كيف نحيي ذكر 51.

الولاية والوليّ، هل يعلم الوليّ أنّه وليّ، خوف الوليئ من الله تعالى،
كرامات الأولياء والصحابة، وصيّة هامة.

الكتب المنزّلة: التوراة، الزبور، الإنجل، القران الكريم، الصحف، ما
تضمّنه القرآن الكريم، كيف نزل، مدة نزوله وأول ما نزل وآخر 5، عدد سور
القرآن المكي والمدني منه، أمر النبي! لجيم بكتابة ما نزل، ئرتيب القرآن الكريم

وجمعه وتدوينه، المصحف الإمام أو مصحف عثمان رضي الله عنه، الفرق بين الجمعين، ما كانت عليه كتابته وما صارت إليه، فضل القرآن الكريم وتلاوته وآداب تلاوته.

3 – الإيمان بالملائكة:

ونقرأ في هذه الرسالة: اقسام العقائد الإسلامية، الروحانيات، الملائكة، خلقت الملائكة من نور، عِظَم خلق الملائكة، الملائكة تتشكّل بأشكال مختلفة، عصمة الملائكة، مسكن الملائكة السماوات، عبادة الملائكة، وصلاتهم وخوفهم ورؤساؤهم، الملأ الأعلى، النديّ الاعلى، الرفيق الأعلى، الملائكة يفضل بعضهم بعضاً، أصناف الملائكة، حملة العرش، والحافون من حوله، ملائكة الجنة، خزنة النار، الملائكة واسطة الوحي، الملائكة الموكلون بتطوير النطفة، الملك ينفخ الروح في الجنين ويكتب المقادير، كتابة القلم جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، كتابة مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض، كتابة المقادير بعد خلق السماوات والأرض، الملائكة الموكلون بكتابة أقوال بني آدم وأفعالهم، اطّلاع الملائكة الكاتبين على ما في قلوب بني اَدم، تكتب الأعمال بالنيات، مصير الكرام الكاتبين بعد موت الإنسان، الأمر بالاستحياء من الملائكة، موقف العبد يوم القيامة من كتابه وكتّابه، الملالْكة الموكّلون بحفظ بني آدم، قرناء بني آدم من الملائكة، المسخّرون لقبض الأرواح، ملائكة السؤال في القبر، الموكّلون بتدبير أمور الجبال، الموكّلون بالشُحُب، الملائكة يصلّون على النبي! ص، ويبلغون الرسول –شي! صلاة أمته وسلامها عليه، الملائكة تصلّي على من يصلّي على النبي ع! م! م، وتدعو للمؤمنين وتستغفر لهم، وتشفع للمؤمنين، حضور الملائكة صلاة الجمعة واستماعهم للذكر والموعظة، شهود الملائكة يوم الجمعة، تأمين الملائكة لفاتحة الصلاة، تحميد الملائكة في الصلاة، الملائكة يتفقدون اهل المساجد، حضور الملائكة مجالس الذكر، والله تعالى يباهي

(132/1)

بأجنحتها، الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم، وتصلي على من في صفّ الصلاة الأول، وتصلّي على من يعود المريض، وعلى من مشى في حاجة أخيه، وتصلي على المتسحرين، وتدنو ممن رقّت قلوبهم بالوعظ والتذكير، تأمين الملائكة على دعاء المؤمن لأخيه، وتأمينهم على الدعاء عند المريض!! والمحتضر، محبة الملائكة للمسلم المستقيم، الملائكة واسطة البشرى للمؤمنين، بشارة المَلَك لمن زار اخاً له في الله، والملائكة تظل الشهداء بأجنحتها، وتحمت من يحبّه الله تعالى، من تلعنه الملائكة، صعود الملائكَة بالكلِم الطئب والعمل الصالح، ما تتأذّى منه الملائكة، ما تنفر منه ملائكة الرحمة وتبعد عنه، الملائكة جنود النصر للمؤمنين، والملائكة تشيع جنازة المسلم، الملائكة يوم القيامة في صفوف.

عالم الجن: الجن: خلقه، صفاته، وقدرته، الجن كالإنس فيب العجز عن معارضة المعجزاب، الجن لا يعلمون الغيب، وهم مطالَبون بالتكاليف الشرعية، هل في الجن أنبياء، بلوغ دعوة نبيّنا ع! يم لعالم الجن، الجن أصناؤ! متنوعة، قرناء بني آدم من الجن، الشيطان يكره الطاعات، لا تدعوا اللقمة للشيطان، الشيطان عدو للإنسان، مسن الجن للإنسان وعلاجه، صور من وساوس الشيطان: التشكيك في الله ئعالى، التثبيط عن الطاعة، التحصّن من وساوس ا لشيطان، تنفيرالمسلم من عا دات ا لشيطان، الطاعون وخز ا لجن، ا لبق يموتون، ا لروح، استحضار ا لأرواح، بدء ا لتجربة، كيف بد أ ت ا لمخادعة، تطوّر الموضوع، من هم الزائرون، بدأ انتباهي، انكشاف الحفيقة، السحر، أصل السحر، الفرق بين السحر والمعجزة، نفي مزاعم الجاهلين، الفأل الحسن، الكهانة، التنجيم، الرقى، كلمات الرقى، الرقية بالقرآن، وجواز الاجرة عليها، الإصابة بالعين، مما يدفع العين.

4 – الإيمان باليوم الآَخر:

ونقرا في هذه الرسالة: أقسام العقائد الإسلامية، السمعيات: متى الساعة، من علامات الساعة، فضل العبادة في آخر الزمان، حلول البافىء بكثره 133

(133/1)

العصيان، الموت، ثناء الناس على الميت، ذكر الموت، أقسام الناس في ذكر الموت، ما الجدير بالعاقل، ينتفع الميت بعمل غير 5، النفخ في الصور، البعث والحشر، الحشر على ارض جديدة، كلام الله تعالى يوم القيامة، من أهوال يوم القيامة، بشرى المؤمنين في القيامة، محاسبة الله لعباده، القصاص، استلام صحف الأعمال، الميزان، الصراط جسر على جهنم، الحوض المورود، صفة الحوض وشرابه، الكوثر، الشفاعة، شفاعة نبينا محمد ع! بو، يشفع النبيّون والمؤمنون بإذن الله، أقسام الشفاعة، سعة الكرم الإلهي، من صفة الجنّة وخدمها، بناء الجنّة وحصباؤها وترابها، طبقات الجنة وأبوابها ودرجاتها 1) أنهار الجنة وعيونها، أشجار الجنة وفواكهها، غرف أهل الجنّة وخيامها، أسواق الجنة، من اوصاف اهل الجنة، من صفاب نساء أهل الجنة، أول من يدخل الجنة، الذين يدخلون الجنة بغير حساب، الامّة المحمّدية أكثر أ هل الجنّة، أول طعام أهل الجنة، الخلود في الآَخرة، النظر في وجه الله الكريم، إحلال الرضوان على اهل الجنان، النار وابوابها واوصافها، من صفات أهل النار، شراب أهل النار وطعامهم، أهون أهل النار عذاباً، كلمة التوحيد تقي من النار، دعاء.

القضاء والقدر، ما هو القضاء والقدر، كلٌّ ميسَّر لما خُلِق له، لا ينبؤب التنازع في القدر، ندفع الأقدار بالأقدار، بيني وبين طالب، خلاصة، شوطان متباينإن، أثر الإيمان بالقضاء والقدر، دعاء.

5 – الإيمان خصائصه، علاماته، ثمراته:

ونقرأ في هذ 5 الرسالة: الإيمان، تعريفه، الأمر به، أركانه، مكانة

الإيمان والمؤمن، صحبة المؤمن، الت! حذير من أذى المؤمن وخذلانه، الإيمان أساس قبول الأعمال، ليس الإيمان دعوى باللسان، الإيمان والعمل الصالح، المعصية لا تنفي الإيمان، من آمن فقد اهتدى، شعب الإيمان، حلاوةَ الإيمان، الناس فريقان: مؤمن وكعافر، شتّان بين مؤمن وكافر، الله تعالى يحبّ لعباده الإيمان، إعلان الإيمان، يحكم على الناس بظواهرهم، تنبيه وعظة، المؤمن

134

(134/1)

الحق لا يتأثّر بإغراء ولا تهديد، المؤمت الحق يدعو إلى الإيمان بالحق، المؤمن معرَضٌ للبلاء والفتن، المؤمن مأمور بالصبر، الإيمان منحة إلهية للسهرراء، الإيمان كلٌّ لا يتجزأ، هل الإيمان يزيد وينقص؟ الإيمان يقوى ويضعف، مما يقؤي الإيمان، الخواطر لا تقدح بالإيمان، المؤمنون قلّة في الناس، لا يصاحب إلا المؤمن، الوعد الحسن للمؤمنين، الإيمان نصف البز، تخصيص المؤمنين بالنداء، المؤمن محسود، الحسد نوعان، النهي عن التهاجر بين المؤمنين، الأمر بالإصلاح بين المؤمنين، مثل المؤمن، لا يدخل الجنّة إلاّ مؤمن، من مظاهر الزيع، إيمان اليأس مردود، تغرير الكافر بالمؤمن، الكافر عدو للمؤمن لدود، الصدّ عن الإيمان صفة الكافرين، نهي المؤمنين عن موالاة الكفار، المؤمن لا تضرّه سخرية الكافر، ترغيب الكافر بالإيمان، الإسلام يهدم ما قبله، المغفرة للمؤمن، الإيمان يأرِز إلى المدينة، ذهاب الإيمان في اَخر الزمان، الردة عن الإيمان كفر، عقة المسلمين اليوم ضعف الإيمان.

من خصائص الأيمان وعلاماته: قبول ما جاء عن الله ورسوله! لجم، الاستجابة دته ورسوله عنير، الخضوع لحكم الله والرسول مج! ييه، وجل الاتلب من الله، نسبة الأفعال كلها إلى الله، الثبات على الحقّ، خوف الآخرة، التوكّل على الله، التفكّر في خلق الله وعظمته، رقابة الله، اقتران الإيمان بالعمل الصالج، شدّة الحمث دته، حب الرسول –سَع!، الأدب مع الرسول! سَجم، حعث الأنصار رضي الله عنهم، الحبّ في الله والبغض في الله، موالاة المؤمنين، الزهد في الدنيا،

والرغبة في الآخرة، الاتعاظ والاعتبار، عمارة المساجد، الجهاد في سبيل الله، الأمانة والصدق ومجانبة الخيانة والكذب، الوفاء ومجانبة الغدر، حُسْن الخلق وترك ما لا يعني، الإنصاف من نفسه، الفرج بالحسنة، الفراسة الصادقة، القيام بالطاعات إيماناً واحتساباً، حبّ الخير، الإحسان إلى الجار، كفّ الأذى عن الجار، إكرام الضيف، وقول الخير، اجتناب لبس الحرير والذهب، اجتناب ترويع المسلم، التناصح، التراحم، التعاون على البرّ والتقوى، الالفة، حفظ العهد، الحياء، العفة والقناعة، الغيرة، انتهار صاحب البدع، حفظ اللسان، سلامة الصدر وحسن الظن، الاستسلام للمقادير الغالبة، الشعور بشعور

الآخرين، الصبر على الاذى، الفطنة والعقل، ما ليس من وصف المؤمن.

من ثمرات الإيمان: ولاية الله، نصره، ثناؤه، دفاعه، استغفار الملائكة ودعاء المؤمنين، نور القلب، سكينة النفس، الهدى إلى الحق، السلامة من الشيطان، البشرى والوعد الحسن، الفلاح في الدنيا والآخرة، ملاحظة هامّة، العزة، النجاة في الدنيا والآخرة، سرعة المرور على الصراط، الأمن والفرح، نيل الخير في السزاء والضزاء، البركة في الرزق، المحئة والودّ، التثبيت على الحق، المغفرة وتكفير السيئات، المشي في النور يوم القيامة، الشفاعة يوم القيامة، إلحاق ذزية المؤمنين وأزواجهم بهم، الأجر الدائم والخلود في النعيم، نداء، دعاء.

6 – ا لكفر وا لمكفرات:

ونقرأ في هذه الرسالة معنى الكفر وانواعه، قد يطلق الكفر على غير الكفر بالئه، أصول الكفر، المكفرات الاعتقادثة والقولئة والعمليّة، الشرك من الكفر، الشرك نوعان، مذفة الرياء، قد يفضي الرياء إلى استهزاء الناس، دواء الرياء، الناس فريقا ن: مؤمن وكا فر، اكثر الناس كا فرون، ا لكفر اعظم ا لذنوب. النفاق اقبح انواع الكفر، تعريفه، من أوصاف المنافقين: المكر

والخديعة، التثاقل عن الطاعة، الكذب والحَلف الكاذب، من فضائح المنافقين: تخففهم عن الجهاد، اللمز بالصدقات، اذاهم للنبيئ! يم، الحذر من الفضيحة، الكذب، نقض العهد وإخلاف الوعد، مسجد الضرار، فتنة المنافقين، هربهم من الاحتكام إلى الله والرسول! سَيِ!، حرص النبيّ ع! يم على هدايتهم، مثل المنافق، من اقوال المنافقين الماكرة.

الردة بعد الإيمان كفر، تحذير النبيئ ع! يم أمّته من الرجوع إلى الكفر، المرتد يُقتَل، المكره على الكفر ليس بكافر، وصف غير الله بالألوهية كفر، الكذب على الله كفر، البحيرة، السائبة، الوصيلة، الحامي، الكذب في الرؤيا، التلاعب بالحلال والحرام كفر، الحيل الشرعية، الحكم بغير ما أنزل الله كفر، الكفر بالجزء كفر بالكل، عمى الكافر عن اَيات الله تعالى، الكفر بالئه جهل

وحمق، التكذيب بالرسل ديدن الكافرين، إيذاء الكافرين الرسلَ، صور كلن اذى المشركين للنبيئ!، هجرة النبيئ ع! م! إلى الطائف، تكذيب الكافر بالقرآن، حجّة الكافر داحضة، ترغيب الكافر بالإيمان، لا عذر للكافر، شرّ الكفر يعود على صاحبه، الكافر في ضلال، الكافر ممقوت، شطط الكافر وعناده، ا لتكذيب بالمعجزات، معجزات اولي العزم من الرسل.

سخرية الكافر من المؤمن، الكافر لا ينفعه عمر، لا ينفع الكافر عظة، ا لكافر في غرور، استدراج ا لكا فر، تغرير ا لكافر بالمؤمن، ا لكافر مغلوب منهزم، الغلظة على الكافرين، إعلان البراءة من الكافرين، الكافر لا يطاع، النهي عن القعود مع الكافرين وموالاتهم، ملاحظة، عداوة الكافر للمؤمن، مثل الكافر، الكافر شز الدوافي، الله تعالى يمهل الكافرين، على الكافر اللعنة، رأس من يستحق اللعنة إبليس، ما يجوز لعنه، ما لا يجوز لعنه، الكفار يلعن بعضهم بعضاً، نفمة الكافر على من اضقه، الشيطان يورط في الكفر، الكافر محروم من المغفرة، النهي عن التشئه بالكافر، النهي عن الاستغفار للكافرين، تكذيب

الكافر بالآخرة، حكموا العقل السليم، سبب تكذيب الكافر بالآخرة، ندامة الكافر في الآخرة، من وعيد الكافرين وتهديدهم، تشهد على الكافر أعضاؤ 5، عاقبة الكافر النار، النار وابوابها واوصافها، من صفة أهل النار طعام أهل النار وشرابهم، أهون اهل ا لنار عذاباً، نداء، دعاء.

على انَ من اهمّ ما يسترعي الانتباه في سلسلة العقالْد – وغيرها من كتبه– ما سجله من تجاربه وحواراته في العفيدة، وأسلوبه العقليّ المقنع، لتوضيح الحفائق،! اقامة الحخة، ودلْع الشبهات، فنقرأ في كتاب الإيمان بالئه: (حديث مع طالب) حول استحالة المصادفة في خلق الكون، ونَقرأ في كتاب: (الإيمان بالملائكة) موقفه من تحضير الأرواح، وتجربته المثيرة في ذلك، وهي تجربة تستحق الوقوف عندها، كما نقرا في كتاب (الإيمان باليوم الاخر): (بيني وبين طالب)، وذلك في حوارٍ حول الجبر وا لاختيار.

!

137

(137/1)

---

8 – سلسلة (من هدي الإسلام (

كلمة حول هذه السلسلة:

موضوعات هذه السلسلة كلّها مما ألقاه الشيخ في دروسه الاسبوعيّة العامّة، التي كان يحضرها مئات من الشباب والرجال، وعدد من النساء، وقد انتفعَ بها خلقٌ كثير بحمد الله تعالى، وهي تدور حول أمور دعويّة وتربويّة، كان يرى ان الحاجة لتوضيحها وبيانها ماسّةٌ، وقد بنى الحديث فيها على الاختحر غير المخل، ولم يرَ الدخول في تفصيلات وشرح مُسْهب، قد يُخرج الموضوع عن ان يكون رسالة موجزة إلى أن يكون سفراً كبيراً، ممّا قد تقعد الهمم عن اقتنائه والصبر على مطالعته، وإن كنتُ أتمنى – وقد يتمنى غيري كذلك – لو فصّل القول في بعض الموضوعات باسلوبه البيانيّ البليغ الجميل، ليعطى الموضوع حفه، ويؤدّي هدفه على اكمل وجه. .

ولو وضعنا لهذه السلسلة عنواناً: (مفاهيم قرآنية) لما أبعدنا في القول، وذلك لما نرى فيها من تتبع الشيخ للنصوص القرآنية وكثرة استشهاده بها، ولكمث العنوان الذي اختاره لها الشيخ لا شذ هو أعئم وارجح، فهو شامل لما جاء في السنّة النبوئة المطفرة، ومتتبّع بدقّة لما جاء فيها من الهدي النبوي في الموضوع الذي يتناوله، كما انَ العنوان الآخر اقرب إلى الدراسة العلميّة الموضوعيّة مند إلى الكتابة التوجيهئة التربوية.

ونقف وقفة عند كلّ رسالة من هذه الرسائل نبيّن أهمّية موضوعها، وطريقته في تناوله.

1 – شؤم المعصية وبركة التقوى:

المقاس صغير (12 ك! 17)، وعدد الصفحات (1 1 1).

138

(138/1)

عنوانٌ جميلٌ جامعٌ معبّر، يكاد ان يكونَ من جوامع الكلم، فما أكثر ما يقترف الإنسان المعصية لأن النفس الأفارة بالسوء تلحّ عليه في إتيانها، والشيطان يزيّنها في نفسه حتى يراها سرّ سعادته في الحياة كلّها. . كما وقع لأبينا اَدم عليه السلام! وما أكثر ما يقضر الإنسان في الطاعة والتقوى، لغفلته عمّا فيها من الخيرات والبركات، ويضع له الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء في طريقها العقبات تلوَ العقبات، فيحرم نفسه من ثمراتها وبركاتها. .

والكلام تحت هذا العنوان اشبه برؤوس الأقلام لمن يلقي دَرساً أ و محاضرة، فنقرأ في عناوين هذه الرسالة: من شؤم المعصية وآفاتها، عصمة الملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام، حفظ الله تعالى بعضَ أوليائه، المخفطون، العصيان صفة الشيطان، النفس أفارة بالسوء، النهي عن المعصية، المعاصي كبائر وصغائر، انقلاب الصغيرة إلى كبيرة، من الكبائر، مضاعفة الإثم، من آفات المعاصي، ماذا يكفر الخطايا 3 التوبة، لا ينبغي القنوط، شروط التوبة، الاستغفار. بركة التقوى: من بركات التقوى وثمراتها، ما هي

التقوى؟ مراتب التقوى، العبادات عون على التقوى، التقوى علامة الإيمان، التقوى من منح الله تعالى لعباده، من ثمراتِ التقوى. الورع، كيف اهتدىَ الورِعون إ لى دقائق الوَرَع؟ مفا يعين على تقوى الله عز وجلّ.

ولا أشكّ أن الشيخ لو أطلق العنان لقلمِه في بيان العناوين وشرحها لكان منها سِفْرٌ كبيرٌ، ولكنه أراد لرسالته أن تكون تذْكرة جامعة، أشبه بحبّة الدواء المنشطة المغذية، فهي تقدم للإنسان من الغذاء المقوّي لصحّته، المنشط لجسمه، ما لا يستطيع تناوله من مصادره في يوم أو ايام. .

على ان أجملَ ما في هذه الرسالة هو حديث الشيخ عن الورع، الذي هر اعلى درجات التقوى، وما ذكره من نماذج من ورع السلف الصالح، بدءاً! ن ورع النبيئ ع! ي! م إلى ورع اصحابه الكرام رضي الله عنهم، ثتم ورع مَن تبعهم بإحسان. . ثتم إجابته عن سؤال وإشكال يرد على خو–اطر بعض الشباب: "كيف اهتدى الورِعون الى دقائق الوَرَع؟ ".

139

(139/1)

---

2 – هذا ا لإنسان:

المقاس صغير (2 1 *17)، وعدد الصفحات (0 6 1).

ما أجهل الإنسان بنفسه، ومن ثتم فما اجهله برثه! (فمن عرف نفسه فقد عرف رئه) (1).

نفس الإنسان اقرب شيء إليه، ومع ذلك يجهلها، ولا يحرص على معرفتها، ويفوده الجهل بها إلى ان يحتقر نفسه، فيستهين بوجودها في هذه الحياة، ويظن اثه خلق عبثاً، او أن يترك سدىً. . أو يذهب بها تيهاً وكِبرأ، وطغياناً وكفراً، فيقول: أنا رتكم الأعلى؟ بلسان الحال أو لسان المقال. . فيظلم نفسه، ويوردها موارد التهلكة والبوار. .

ولذا فإنَ حقّاً على الدعاة إلى الله ان يخاطبوا الإنسان كما خاطبه القرآن الكريم، فعرفه موفعه في هذا الوجود، وخطر المسؤولية التي أُنيطت بة،

وكشف له عن طبيعة نفسه، ودخيلة خلائقه وصفاته، وسبب جحوده وطغيانه، ووضح له سبيل سعادته في الحياة الدنيا، ونجاته في الآخرة. . باتّباع دين الله تعالى، والالتزام بمنهجه في الحياة. .

ولعلّ هذا ما اراده الشيخ من كتابة هذه الرسالة، فقد تتبّع ما جاء من

(1)

وهذا القول هان لم يصح حديثاً، وهو من قول: يحى بن معاذ الرازيّ رحمه الله تعالى، كما في كشف الخفاء: 2/ 343، ولكنّ معناه صحيح غاية الصشؤ، فما رأينا من تطاول على رئه، وألحد في دينه وآياته إلا من كان على جهايِ كبير بنفسه، وغرور يملأ عطفيه، ويطمس قلبه، وما رأينا من عرف نفسه حقّ المعرفة بالضعف والحاجة، والفقر والفقة إلأ عرف ربّه بالفؤة والعزة، والفضل والغنى عن عبِاده، ونجد مصداق ذلك في قول الله تعالى: "! يأَيها اَلضاسُ أَنتُوُ اَتفُقَرَآءُ (لَى اَللهِ وَأَللَهُ هُوَ اَتغَنىُ اتحَمِيدُ" افاطر: 15،، وقوله سبحانه: " إنَ الألن! نَ لَيَطق! غ،) أَن رَّاهُ أَشَتْىَ " ا العلق: 6 – 7،، وقوله تعالى: " إِنَمَا يَخَشَى اللَهَ مِن عِبَادِفِ أَتمُلَمَتر3" افاطر: 28،.

140

(140/1)

وصف الإنسان في القرآن الكريم،

ومعانِ على طريقته في الإيجاز و ا

الإنسان، وما يحمله كيانه من طبيعة

الله تعالى: " يَإِلَّئهُاَ اَلنَقسُ المُظمَالنَةُ

عِئدِى " (آنج بم وَاَا! صتِئ "] ا لفجر: 7 2 –

ووضحح ما تحمله تلك الايات من حقائق

لاختصار، وركز الاهتمام على بدء خلق

كشف عنها القرآن، ثمّ كان ختام كتابه قول

أءفي) أرْجِع اكَ رَبِك رَاضِيَةَ ثَهْيِة في2 ا فَادضُلى فِ

.(30

3 – الدعوة الي الإسلام وأركانها:

المقاس صغير (2 ا ك! 17)، وعدد الصفحات (99 1).

ابتدأ الشيخ كتابه بتمهيد عن: (الدعوة الى الإسلام) عرض فيه (حالة الناس قبل الإسلام)، (وبدءْ الإسلام غريباً)، ثم (ظهور الإسلام وعزّته)، ثم (عودة الأسلام غريباً كما بدأ)، ثم تحدث عن: (ضرورة العمك لخدمة الإسلام)، وتساءل: (كف ينصر الأسلام؟)، فبثن الطريق إلى ذلك، ثم بيّن كيف تتحقق الفكرة الدعوية العملية التي يراها سبيل الدعوة إلى الإسلام ونصرته، ثم ختم حديثه بنداء إلى الإخوة العاملين للإسلام حيث كانوا. .

ويتجفى في هذه الرسالة من رسائل الشيخ حماسة الداعية الشاصت، المتَوقد حماسةَ وحمية لدينه، وذلك أثه كتبه أوّلَ بدْئه بجمع الشباب على فكرة الدعوة التي اَمن بها، وهي التي وضحح أركانها ومعالمها في رسالته هذه، بصورة موجزة، ولكثها واضحةٌ بثنةٌ، وقد سبق لنا أن قدّمنا في الفصل الاول نصوصاً من كتابه عن كل ركن من هذه الأركان، فلا نجد ما يدعو إلى استعراض موضوعات الكتاب مرّة أخرى. .

4 – من محاسن الإسلام:

المقاس صغير (2 1 ك! 17)، وعدد الصفحات (5 1 2).

أستطيع القول: إنَ هذا الكتاب يُعدُ انعكاساً لشخصثة الشيخ المعتزّة بالإسلام إلى ابعد حد، الداعية إلى ذلك في كل ما تكتب، ويتجفى لنا ذلك في

الأفكار التي يطرحها بفوّة، وبصورة يشعر معها القارئ بالحماسة تتدفّق من بين عناوين الكتاب وسطوره، وتأمّل معي أخي القارئ هجوم الشيخ على موضوع كتابه من دون أية مقدمة، وكأئه يستبق زمناً يخشى فوته، فبعد البسسلة يفهح عنواناً: (معنى الإسلام)، ويفول! مباشرة: " الإسلام معناه الخضوع دلّ! تعالى،

والاستسلام لأحكامه، فالمسلم الحقّ يعمل بامر الله عزَّ وجلّ، ويخضع لأحكامه، ويحتكم إليه في جميع ا موره. . " ويستشهد ببعض الآيات ثمّ يقول: " وعلى هذا درج المسلمون الأوّلون رضي الله عنهم، فأطاعوا الله ورسوله! يهاله، في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر، تلقّوا الأوامر للتنفيذ، وتعلّموا الأحكام للعمل.

فما أمروا بشيء إلا استجابوا، ولا نُهوا عن شيء إلا اجتنبوا، ولا نزل فيهم حكمٌ من الله ورسوله لجِم إلاّ استسلموا إليه راضبن، وعملوا به مذعنين. . امرهم بالتوحيد، فهدموا الاصنام، وعبدوا الله وحده. وعرض عليهم الصملاة؟ فأقاموها، وامرهم بالزكاة فأدوها، وبالإمساك عن شهوات النفس في الصيام فأمسكوا، وبالتجزد دئه تعالى في الحجّ فتجزدوا، وببذل الأموال والأنفس فعب سبيل الله فبذلوا. . ونهاهم عن الخمر فأراقوها، وعن الفحشاء فاجتنبوها، وعن الربا فتركوه، وعن الميسر فمنعوه. . لم يعتذروا عن شيءٍ من ذلك بما ألفوه من عوج، ولم يجدوا في امتثال! الامر، واجتناب النهي من حرج. . ".

ثمّ ساق امثلة ونماذج من دقّة اتباع الصحابة وطاعتهم دئه والرسول ع! ياله. . ثمّ قال!: "هكذا كان انقياد المسلمين الاولين لامر الله تعالى، وأمر رسوله! ر، عملوا بالإسلام كاملاً، فقطفوا ثماره يانعة، وبرز المجتمع الإسلاميّ الصالح، وتمّ ظهور الإسلام كاملاً على أيديهم، ورفعوا لواءه عالياً، وأشرقت شمسه على العالم. . . ".

ويقول! تحت عنوان: (الإسلام دين المدنيّة الحقّة): "الإسلام يرافق العقل نجباً إلى جنب، ويمشي مع المدنيّة في طريق واحد، وقد نهض بالإنسانيّة من حضيض الهوان إلى اوج العزّة والشرف، وأخذ بيد الضعيف حتّى أنقذه صت

الظلم والعسف. . ".

"والإسلام الحنيف روح المدنيّة الحقّة في كل زمان ومكان، ودين مكارم

الأخلاق ومحاسن الأعمال. . ".

ثم تحدّث عن العبادات في الإسلام، وبيَّن بعض حكمها وأ، سرارها، وفضائلها واَثارها، ثئم عن الأعياد في الإسلام.

وتحت عنوان: (الإسلام والفضائل)، نقرأ الموضوعات التالية: الإسلام دين المراقبة والإحسان، الإسلام دين الوحدة الأخوئة بين المؤمنين، الإسلام دين المحئة والوئام، الإسلام دين العدل والمساواة، الإسلام دين النظام والانتظام، الإسلام دين الشعور بالمسؤولية، الجهر بالحقّ والثبات عليه، الإسلام وأحكام الحلال والحرام، في الحلال ما يغني عن الحرام، الورع، الإسلام والمراة، وقد اسهب في الحديث عن المرأة، فأخذ حديثه عنها خمساً وعشرين صفحة، فتحدّث عنها بنتاً وزوجةً وأمّاً، ثمّ بئن أثرها في المجتمع، وردّ شبهات اعداء الإسلام عن الطلاق، وتعدّد الزوجات، والحجاب، ثم تحدث عن الحدود وحكمة مشروعيتها. .

5 – الفتن:

المقاس صغير (2 اكر 17)، وعدد الصفحات (9 2 2).

أحدثت دعوة الشيخ في كثير من الأسر ضجّةً ليست بتمليلة: فهذا شابّ يلتزم بدينه، فيحارَبُ مِنْ اقرب الناس إليه، وهذا طالب يضيّق عليه في مدرسته او جامعته لتمسّكه بدينه، وهذه فتاة تريد التمسّك بدينها، والالتزام بأوامر ربّها، فترى المعارضة والمنع من أمّها وابيها، وهذه امرأة يعارضها زوجها في ارتداء الحجاب، والامتناع عن لقاء الأجانب، وهذا رجل يلقى عنتاً من زوجته في التمسّك بدينها، وفي تربية أولاد 5 على المنهج الذي يرضي الله ورسوله! م.

وكان الشيخ يترامى إلى سمعه صباح مساء أخبار ذلك، فيكثر م! ن وصية

إخوانه بإلصبر، والثبات على الحق، ومعالجة الأمور بمنتهى الحكمة، والدفع بإلتي هي احسن، ومضاعفة البز بإلوالدين مهما صدر منهما. .

وكان الحث على الحكمة والصبر، لا بدّ له من وقود وزاد من الثقافة
الشرعية الراسخة، التي تكون خير عونٍ للمؤمن على مواجهة هذه الشدالد. .
هالى هذا، فقد شاع في الأوساط الثقافيّة المعاصرة موجة من الحديصث
عن فتن آخر الزمان، بصورة جاهلية منحرفة، وكانت على مستويين:
– مستوى فهمٍ عاميئ جاهل، يدفع إلى الكسل والتواكل، وترك التذكير
والدعوة، ويحث الناس على عدم إتعاب النفس في نصح الناس وتذكيرهم، أ و
بذل الجهد في تصحيح اوضاع، إئما تجري بقدر الله تعالى ومشيئته – وهي كل! مة
حق في غير محقها – فمن يسعى في إصلاح الناس إنما في حقيقته في نظر هؤلا"
يعترض على الله تعالى.
– والمستوى الثاني: مستوى مثقف ثقافة دينية محدودة، وهو من نوع
الإخباريين، يهتثم بإشاعة ما ورد من أحاديث الصتن في اَخر الزمن، ونثرهما ين
الناس، على أن هذا وقتها، مقا يوحي بإليأس من دعوة الناس، والإغراء
بالاعتزال عنهم، واليأس من إصلاحهم، وأنّ ذلك نوع من العبث، وتضييع
الوقت من غير جدوى او فائدة. .
هاذا كان الشيخ إنساناً عمليّا، يحمل فكرة دعويةً، ويكتوي بآلام البناء
والتربية، ويحرص على تصحيح المفاهيم، هازالة ما علق بها من غبش وسوء
رؤية، فقد نظر في كتاب الله تعالى وسنة نبته ع! يمَ، فرأى أن حديث القرآن والسنّة
عن الفتنة يختلف عفا شاع بين الناسِ وانتشر، حتّى اصبحوا لا يعرفون منها
سوى ذلك، فكتب كتابه هذا، ولم يتحدث فيه عن فتن آخر الزمن إلاّ بما يعرّف
بها كنوع من أنواع الفتن، التي تخصن الإنسان نفسه، وسيسال عنها بين يدي

---

6 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
المقاس صغير (2 ا ك! 17)، وعدد الصفحات (189).
كان من أهئم تحليل الشيخ لعلل المجتمع وأمراضه كما مرّ بنا: ذا ك الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو كما يقول: " ركن عظيم من أركان الإسلام، ولا بقاءَ للإسلام إلأ به، وبهذا الإهمالِ استرسلَ العصاةُ في معاصي الله، بلا آمرٍ، ولا نا 5، ولا رادعٍ، ولا زاجر، وبهذا انسلخ المسلمون عن وصف الخيريّة، التي وصفهم الله بها. .

فشتِ المنكرات في المجتمع الإسلاميّ حتى لو مشى إنسانٌ من بلدٍ من بلادهم، أو شارع من شوارعهم، لم يرَ عليه مسحةَ الإسلام، ولا معا. يَ الإسلام.

فلو انَ المسلمين وقفوا سداً منيعاً امام كل معصية ومخالفة، فأمرُوا بالمعروف، ونَهوا عن المنكر، لَسَلِمَ مجتمعُهم من هذه الشرور التي وصل إليها بسبب الرضا والسكوت والتعامي. . " (1).

ويبدا الحديث بتعريف الأمر بإلمعروف والنهي عن المنكر، وبيان فضيلتهما، وما جاء في نصوص الشرع من الأمر بهما، وانّ فيهما السلامةَ في الدنيا، والنجاةَ في الاخرة، ثم تحدّث عن شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة التزام الآمر بها كيلا يقود أمره إلى خلاف مراد الشارع، أ و يؤدي إلى منكرٍ أكبر، ثئم يبئن مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجيب عن إشكال: "هل ينكر الولد على الوالدين؟ " وهو إشكالٌ يرد في أذهان كثير من الأبناء المهتدين، ورئما اخذت بعضهم حماسة دينيّة أو غيرة، فاندفع متجاوزاَ حدود ما امر الله، مفا يجب عليه من البرّ بوالديه، أو أحدهما، ثمّ يعرّج إلى الحديث عن اهتم آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من العلم

(1) مقدّمة الطبعة الثامنة من رسالة: (سبيل الهدى والعمل)، ص 2 2.

(145/1)

والورع، وحُسن الخلق، وتقليل علائق الدنيا.

ويقف عند الإخلاص وقفات مضيئة، ويذكر قضة مسلمة بن عبد الملك، وصاحب النقب، وقصة العابد والشجرة، وهي قصّة رمزئة معبرة، ثئم يتحدّث

عن بعض المعروف الذي يجب الأمر به، واهمّ المنكرات الفاشية، التي يجب إنكارها، وعدم السكوت عنها، وعدَد منها: الجهل بما يبب دئه تعا! ى من الصفات، والخوض في موضوع القضاء والقدر، والتشاؤم بالزمان وا ا! كان، وتعليق التمائم، والاستهزاء بطاعةٍ من الطاعات، وتكفير المسلمين بالتوسّل، والطعن بسلف هذه الأفة الصالح، والخروج على فقه الأئمّة الأربعة، وترك الحكم بما أنزل الله تعالى، والتعامل بالربا، وشيوع الخمر والميسر واليانصيب، وتبزج النساء وسفورهنّ، وما يقود إليه من الزنى، والعزف على آلات الطرب والغناء المحزم، وتقليد الأجانب، دماهمال الرجال! رعنتهم من النساء والأولاد، والجهل بأحكام العبادات.

ثمّ اتّبع أسلوب الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى في إحياء علوم الدين (1)، إذ عدَد منكرات المساجد، والأسواق، والشوارع، والضيافة، والحمّامات العافة، وهي لا تزال! قائمة في عدد من بلاد الشام.

ثنم ذكر مُثلاَ عليا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مواقف من حياة السلف الصالح، وما كانوا عليه من عزيمبما راسِخة، تستنهض همم الدعاةِ إلى الله تعالى في كل عصر وجيل للقيام بفريضة الأمر بالمعروف والهي عن المنكر.

ثمّ ختم كتابه بكلمة افي (هجر العصاة إذا لم يستجيبوا للأمر والنهي)، فقال: "وهي وسيلة تأتي بعد محاولة النصح، والتودّد والتحبّب، والإكرام والتلطف، فإذا لم يستجب العاصي لأمر الله فماذا على المسلمين أن يغضبوا لله، ويهجروا في الله؟! ".

(1)

انظر: إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي: 3/ 335.

7 – ا لقلب: مكا نته، أ حوا له، مرضه، شفاؤه:

المقاس صغير (2 1 ك! 17)، وعدد الصفحات (232).

أصل هذه الرسالة كلمة موجزة كانت بعنوان: (القلب: داؤ 5 ودواؤه)

نشرها أوّلاً بصورة محدودة، ثمّ توسّع فيها لتكون رسالة جامعة.

وقد جعل شعار هذه الرسالة ومدار الحديث فيها على قول الله تعالى:

" ان فِي ذَلِكَ لَذِتحرَئ لِمَن كاَنَ لَإُ قَقمب " اقَ: 37)، وقول النبيّ! و: (ا. . . أ لا وان في الجسدِ مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كفه، وإذا فسدت فسد الجسد كفه، أ لا وهي القلب " (1).

فبدأ بتعريف القلب، وبيان مكانته، وانّ القلوب بيد الله تعالى يقلّبها كيف يشاء، وهو وحده سبحانه المطّلع على ما في القلوب، وأن القلب هو موضع الوحي وايإيمان، وهو موضع الكفر والنفاق، وا! القلب موضع النئة والإخلاص، وانَ مدار الأفعال والأقوال والقبول عند الله على ما في القلب من نيّة، ثئم ذكر بعض الأمثلة والنماذج، ثمّ بئن أن القلب هو موضع الأمانة، وموضع التقوى، وذكر بعض مظاهر تقوى القلوب، ثمّ بئن أن القلب سوضع الذكرى، وهو موضع المحبّة والبغض والكراهية، ثئم تحدث عن مرض القلب وزيغه، وعدَد علامات ذلك كما جاءت في القرآن الكريم، ثمّ عدَّد آفات القلب بطريقة استقصائيّة مستوعبة، فذكر هذه الآفات ومظاهرها، والدليل عليها من الكتاب والسئة، ثمّ بئن دواءها باختصار وإيجاز، ينفع العامّة ويغنيهم، ولا يستغني عنه الخاصة، ثئم ذكر طرقَ تهذيب النفس وشفاء القلب، ونقل كلام ايإمام الغزاليّ، كما جاء في كتابه: (إحياء علوم الدين) (2).

(1)

(2)

جزء من حديث عليه مدار الإسلام، وأوّله: إنَ الحلالَ بئنٌ، وإنَّ الحرامَ بيّن. . . رواه البخاري ومسلم.

3/ 4 6.

147

ثمَ تحدث عن رفة الفلب واهفيتها في حياة المؤمن، وبعض مظاهرها، ثغ تناول قسوة القلب وخطرها على إيمان المؤمن ودينه، وذكر بهذ 5 المناسبة قصّة توبة عبد الله بن المبارك رضي الله عنه، وقصة توبة الفضيل بن عياض رضي الله عنه، وما فيهما من عبرة وعظَة، ثنم تحذَث عن وجل القلب، وذكر بعض! كلام السلف في الخوف من الله تعإلى، ثنم تحدث عن جنود القلب وإلهامه ووسوسته وتقفبه، وحذر من تقفبه، وذكر بعضَ المشاهدات المحسوسة في ذلك، ثمّ ذكر انواع القلوب، وفتنة القلب، والختم على القلب، وذكر بهذه المناسبة عشرَ صفحات وصف بها قلب الكافر في القرآن الكريم، وختم الكتاب اخيرأ بدعاء طويل بلغَ ثلاث صفحات، وكفه ممّا ذكر فيه القلبَ.

8 – منهاج التربية الصالحة:

المقاص صغير (2 1 *17)، وعدد الصفحات (187).

التربيةُ الصالحة كانت هاجس الشيخ، وشغله الشاغل، وهفه المقيمَ المُقعِد، كيف لا؟ وهو يرى ان فساد الشباب وانحرافهم إنما سببه إهمال التربية، وتخفي المرثين عَنْ مسؤولية الرعاية والقوامة التي كلّفهم الله بيا، يقول وهو يتحدث عن علل المسلمين وادوائهم: " اهمل المسلمون أمر بيوتهم ونسائهم واولادهم، فنشأ الأطفال متهاونين بفرائفالله، جراَء على معصية الله، إذ ترئوا عليها، وعرفُوها والِفُوها، ومن شست على شي؟ شابَ عليه، وبهذا كثرَ سواد العاصيْنَ في المجنمع المسلم " (1).

وقد كتب هذا الكتاب، فكان تسجيلاً دقيقاً لخلاصةِ تجربؤ مديدة من العملِ التربوفيَ الدؤوب في مجال التعليم في المدارص، وفي ميدان رعاية أسرته واولاده، وتربيتهم على منهج إسلاميئ متكامل، يشمل جميع جوانب حياة الإنسان: العقلئة، والنفسئة، والروحثة، والجسمئة، وقد كان رائده فيما كتب

(1) مقذمة الطبعة العاشرة من: سبيل الهدى والعمل، ص 23.

تتبع ما جاء في كتاب الله تعالى، وستةِ نبئه كيم، وهدي السلف الصالح، وما ارشد إليه أئمّة التربية الإسلاميّة كالإمام الغزاليّ رحمهُ الله من توجيهاتٍ وملاحظات.

ومن أهثمَ ما نقرا في هذا الكتاب: "مثة الله تعالى على الآباء بنعمة الأبناء، الحذر من تعفق الفلب بالأولاد، الأمر بحسن تربية البنين والبنات، ما جاء ممق اخبار عن طُفولة النبيئ! ي!، وعناية الله تبارك وتعالى به، مَثلٌ أعلى في نباهة الأطفال!، مَثَلٌ أعلى في شجاعة الأطفال!، مَثلٌ أعلى في تلقين الأبناء الثبات على الحق، من عطات الآباء للأبْناء والأطفإل! ووصاياهم ".

ثم تحذَث بتفصيل دقيق عن (الطريق القويم للتربية)، فذكر ماقدّكمات، وما يُفعل بالوليد بعد ولادته، ثتم ما يُراعى بعد ذلك: في سنّ التمييز، ثم في سنّ المُراهقة، ثئم بعد البلوغ، ثئم تحدّث عن المَثل الاعلى الذي ينبغي أنْ يُغرس في نفس الناشئ التطفع إليه، ثتم تحدّث عن القدوة الحسنة وأهمّيتها في حياةّ الطفل، وعن رحمةِ الآباء والأمهات بالأولاد، ودلّل على ذلك منَ المواقف النبوتة، وبئنَ ما جاء في السنّة من خصوصتة البنات، وتحدّث عن النفقةَ على العيال، ومسؤولئة الإنسان عن تضييع مَنْ يعول، والنَّهي عن قتل الأولاد، ثم تحدَث عن بز الأبناء بالآباء، فعزَف البز والعفوق، وذكر صوراً من العقوق، وبعض أنواع البز، وحذَر من ضلال! الأبناء بضلال! آبائهم، ثمّ ختم الكتاب ببيان إلحاق الذرتة الصالحة بالآباء الصالحين. .

ثمّ كان ختام المسْك أدعية مأثورة مباركة، لها تأثيرها العميق في توجيه فكر المؤمن، وتحريك مثاعره، وتحفيز سلوكه، إلى أن يتطقع إلى ما يُرضي الله تبارك وتعالى، من خلال! العلاقة بوالديه وأولاده، وزوجه وذرئته.

9 – فضيلة الدعاء والذكر:

وهو مطبوع في قسمين.

المقاس صغير (2 اك! 17)، وعدد صفحات القسم الأول! (184)، وعد، صفحات القسم الثاني (8 4 1).

لعل هذا الكتاب هو امتداد وبيان للركن الرابع من أركان الدعو 5 إلى الإسلام، وهو ركنُ ذكرِ اللهِ عزَ وجل، الذي تحدَّث عنه في كتاب: (الدعوة إ لى الإسلام واركانها)، فأراد الشيخ تفصيل هذا الركنِ، والتأكيد على أهمئته، فألّف هذا الكتاب الجامع.

وقد تحدّث في القسم الأؤل منه عن فضيلة الدعاء، وأنه من أنواع الذكر، وفي القسم الثاني تحدث عن الأدعية والأذكار في الليل والنهار.

ففي القسم الأؤل استعرض طرفاً من ادعية الملائكة، وأدعية الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ثثم ذكر بعض المعاني الواردة في السنّة ممّا يختصّ بالدعاء وفضله، ثثم تحدث عن اَداب الدعاء، فعدَّد أربعةَ عشرَ أدباً، ودلَّل عليها ووضحها، ثمّ نقل بعض أدعية السلف الصالح، وتحدَّث عات الدعاء والتوشل بصالح العمل.

ثئم ذكر فضل الذكر وانواعه، فتحدَّث عن الاستغفار والتسبيح، وذكر نماذج من تسبيح الله تعالى ذاته المقدسة، وتسبيح ملائكته ورسله، وتسبيح كل شيء بحمد الله تعالى، وتسبيح اهل الجنة، وبعض الصيغ الواردة في التسبيح.

ثئمَ عزَف الحمدَ وبئن فضلَه، وأهتم صيغه في الكتاب والسنّة.

ثم تحذَث في القسم الثاني عن الأدعية والأذكار في الليل والنهار بتفصيل دقيق شامل، وكان عمدته في ذلك كتاب: (الأذكار) للإمام النوويّ رحمه الله تعالى، الذي هو أشهر كتاب في هذا الباب وأوسعه.

1 0 – الحق والباطل:

المقاس صغير (2 1 *17)، وعدد الصفحات (4 6).

وهي رسالة لطيفة الحجم، ولكئها جامعة فذّة تأخذ المؤمن في سياحة سريعة، كما نلاحظ في عناوين موضوعاتها، وكأئها تقدم له لقطات حيّة من حياة الفريقين اللذين يتوزعان الجنس البشرقي: فريق الجنّة وفريق السعير. .

ونقرا في هذه الرسالة الموضوعات التالية: الرسل دعاة الحقّ، الله الهادي إلى الحق، الصراع بين الحق والباطل، لا تزال طائفة على الحق، مثل الحقّ والباطل، الظن لا يغني من الحقّ، مذمة كتمان الحقّ، الحقُّ أحق أن يتَبَع، مكابرة أهل الباطل، مذمة الإعراض عن الحق بعد ظهوره، لطيفة، جزاء المعرض عن الحق، الالتزام بمبدأ الحقّ، الانحراف عن الحقّ، التنافر بين الحق والباطل، من مواقف أهل الحق، الحى يعلو، النهي عن أكل أ موال الناس بالباطل، الحكم بالحق، والله يقضي بالحقّ، ندامة أهل الباطل.

1 1 – التوبة:

وهو مطبوع في قسمين.

المقاس صغير (12 *17)، وعدد صفحات القسم الأول (27 1)، وعدد صفحات القسم الثاني (176).

التوبةُ إلى الله تعالى ركن من اركإن السير إليه سبحانه، لا ينفذ عنها حال المؤمن في بدايته، وخلال سيره وطريقه، وفي نهايته إن صحّ ان له نهاية. .

يقدّم الشيخ للحديث عن التوبة بأمرين مهفين:

الأمر الأول: الحديث عن عصمة الملائكة والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وعن حفظ الله للصالحين من المعاصي.

الأمر الثاني: الحديث عن ورع السلف الصالح، وبعض العلماء المعاصرين.

وعندما يتحدث عن عصمة الملائكة والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وعن حفظ الله للصالحين من المعاصي، فكأنّه يقول للقارئ الفَهِم:

إن عليك إن لم تكن منهم أو مثلهم أن تتشته بهم، وتسمو بهمّتك عن أنْ ترض! ى لنفسك مستنقعَ المعاصي والسيعات. .

ورفعاً لهفة القارئ، وشحذاً لعزيمته، فإنه يقدّم له نماذج كثيرة من ورع السلف الصالح، وبعض العلماء المعاصرين، وبعدهم عن الشبهات، ولو كانت

يسيرة، تعظيماً دئه تعالى، وخوفاً من الوقوع فيما هو أقرب إلى الحرام. .
ثئمَ يتحدَث الشيخ عن معنى التوبة، وعن شروطها، وعن الأمر بها،
والحفق عليها، وفرح الله تعالى بتوبة عبده، وتهديد المعرضين عنها، ثمّ مذةظ
الإصرار على المعصية، وانواع المعاصي، وبم تنقلب الصغيرة إلى كجرة، 3
يذكر بعض ما جاء عن السلف في التوبة، ثمّ يتكلّم عن التوبة النصعوح، وأهمّ
البواعث عليها، ويذكر بهذه المناسبة حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه،
واهثم ما يُستفاد منه، واهئم علامات قبول التوبة، ومن مظاهر الرحمة الإلهية
بالعباد.
ثئمَ يتحدَّث عن الاستغفار وأهثملمراته، وسئد الاستغفار، ثئم يتحذث عن
اوقات الإجابة واماكنها، ثتم يذكر اهئم مكفرات الخطايا وأسباب المغفرة،
والخصال الصالحة المكفّرة للذنوب، ويتوسّع في ذلك ويستفيض، مع الأدلّة
الشرعئة المناسبة، ثئم يذكر كفاراب العوارض من لغو المجلس، والغيبة وفتنة
الرجل في أهله، ثئم يذكر الأذكار المكفرة للذنوب، ثم يستعرض أنواع المكفّرة
للسيئات، وهي: الطاعات، والبلايا والمصائب، والكفّارات الواجبة،
والحدود الشرعئة، ثم يتحدث عما يجب على المؤمن أن يجتنبه من مبطلات
الأعمال، ويعدد ما يصل إلى المئت من اجبر وثواب للأعمال الصالحة، ويختم
الكتاب بنداء يوخهه للمؤمنين، يحثفم فيه على تحقيق التوبة بشروطها
واركانها، وتجديدها دائماً، ليكونوا من السعداء المحبوبين، ويخاطب
المفزطين في جنب الله:
"ايها المفزطون في جنب الله! دموع الندم تغسل دنس المعاصي، وتمحو
ما علق في النفس من اوضإر الآثام.
والاستغفار، ولا سئما في الأسحار يغسل من القلب سواد المخالفات،
ويمحو ران الغفلات.
بادروا إلى التوبة النصوح، فإن باب التوبة مفتوح، واحذروا التسويف،
فإن الموتَ يأتي بغتة. . . والله تعالى وليئ التوفيق.

2 1 – العمل الصالح:

المقاس صغير (2 1 *17)، وعدد الصفحات (92 1).

من خلال مقدمة الشيخ لهذا الكتاب نستطيع أن نستنتج أنّ الرسالة التي يريد توصيلها للمسلمين: انَ العمل الصالح هو السبيل لاستعادة الأمّة عزها ا! مفقود، ومجدها الضائع، لأنَ " سلف هذه الأمّة سعدوا بالأعمال! الصالحة، ونعموا بالأخلاق الكريمة، وسعد بهم العالم أجمع، حتى انتشروا فيه انتشار العافية في الجسد المريض، وحفوا في بقاعه حلول المطر في الأراضي العطشى الجديبة، وأناروا للناس سبل الحياة السعيدة الرغيدة، وهدوهم فيها إلى معارج الكمال الإنسانيئ المنشود.

فكانوا شموس الهدى الساطعة، والمنار الهادي لكلّ بصير.

وطئبوا بقاع الأرض بما نشروه فيها من الهدي الكريم، وما رسموه من السير المستقيم، حتى كانوا طيبها العابق، وزهرها الفؤاح.

وصحف التاريخ ملأى، با لأعمال الجليلة، والآثار ا لباهره. .

يحدثنا التاريخ أنهم كانوا عبّاداَ في الليل، فرساناً بالنهار. .

لم يتركوا ميدان سبق إلا استبقوا إليه فسبقوا، ولا مجال! خيرٍ إلاّ أسرعوا إ ليه وابتدروا، ولا موطن بذلٍ إلا جادوا فيه وبذلوا. .

وبهذا قطفوا ثمراتٍ يانعةَ من عملهم الصالح، فحازوا معئة الله الخاصّة

" إن اَللَّهَ حً اَنَذِينَ اَتقَوأ وْاَنَذِينَ هُم نُخسِنُوت " ا النحل: 8 2 1، ".

ومن أهمّ الموضوعاتِ التي نقرؤها في هذا الكتاب: شعار المؤمن الطاعة، ا! ذير من طاعة أهل الضلال، الاعتصام بالكتاب والسنّة، الأمر بالإحسان والحضق عليه، من ثمرات الإحسان، كثرة طرق الخير، الاقتصاد في الطاعة، المحافظة على الأعمال، ممّا يعين على العمل الصالح، من علامات القبول، جزاء العمل الصالح في الدنيا، جزاء الحسنات: الحسنى، جزاء

السيعات: السوء، الحسنات يُذْهبنَ السيهمات، صفات الاجر على العمل الصالح، مضاعفة الاخر واسبابها، من افضل الأعمال، جزاء العمل الصالح في الآخرة، شهادة الأرض والأعضاء على الإنسان بعمله. . .

ثثم يختم الكتاب بنداء ودعاء: نداء للمسلمين أن يتحققوا بالعبودية دلّه تعالى، فيبادروا إلى الأعمال الصالحة، ويغتنموا الاعمار، ويتزؤدوا بصالح الأعمال، وان يكونوا دعاة إلى العمل الصالح، وقدوة صالحة للعاملين، ودعاء سليمان عليه السلام الله تعالى: " وَأ %علَ صفَلِثا تَرضحَمهُ وَأَدضقِنى بِرَحمَتِثَ ثب عِبَادِكَ آلصخَلِحِب" ا النمل: 9 1،.

3 1 – الرؤى والأحلام:

المقاس صغير (2 1 ك! 17)، وعدد الصفحات (1 17).

ينطلق الشيخ في حديثه عن الرؤى والأحلام. كأ نقطتين على درجة كبيرة من الأهميّة:

الأولى: أن الروْى من مظاهر عظمة الله تعالى وقدرته.

والثانية: انها تقوي إيمان المؤمن بالوحي الإلهي، والإلهام الربّاني، الذي لا يملك الإنسان فيه مصادر ولا موارد، ولا يستطيع أن يقدّم أو يؤخّر، ولا يزيدَ ولا ينقصَ، بل كل ذلك بيد الله تعالى وحد 5. . .

ثمّ يقول: "إذا عرفتَ هذا عرفتَ لا محالة أنّ من هوس الهوى، وسفهِ العقلِ، وضلال الرأي ما جاء في كُتب علم النفس الحديث من تكذيب للرؤى، وقفة المبالاة بها.

ولما كانت معرفةُ الحق في ذلك ممّا يتأكد على المسلم، أخرجت هذه الرسالة، مبيّناً فيها ان من هدي الإسلام الاهتمام بالرؤى وتعبيرها، إذ لا تخلو من بشارة او نذارة، في امر دني! أو دين.

بشارة تحفز الرائي إلى لزوم سبيل الاستقامة، والثبات على الحقّ،

والدعوة إليه، أو تهديه إ لى ما فيه خيره وفلاحه، في أ مر دينه أو دنيا 5.
أو نذارة تردعه عن الغفلة عن رئه، والتفريط في جنبه، وتحمله على التوبةِ النصوح، وتبعثه على العمل الصالح، وتحذّره مما فيه الشرّ والخَسارُ، في أمر دين أو دنيا! (1).

ابتدا الشيخ بتعريف الرؤيا، وبيان أنواعها، ثمّ بيّن ان الرؤيا الصالحة جُزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوة، كما جاء في الحديث، وبيَّن معنى ذلك، ثمّ ذكر بعض الأحكام والحقائق عن الرؤيا، ثم عرض رؤى وردت في القرآن الكريم، ثم ذكر بعض مرائي النبيّ! سفه، وما فيها من عِبَر وعِظات، ثمَّ ذكر بعض الرؤى التي رآها الصحابة رضي الله عنهم، وكيف عبّرها لهم النبيّ عطم، ثثم تحذَث عن رؤيا النبي! شَي! في المنام، وما يعين المؤمن على رؤيته لجو، وبعض مرائي السلف للنبي ع! يم، ثثم تحدث عن رؤيا الله تعالى في المنام، وبئن أنَّها متمق على جوازها بين العلماء، ودلّل على ذلك بم! وقع للنبيئ لجم، كما في سنن الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، ثثم ذكر كلام السلف في رؤيا الله تعالى في المنام، وبعض مرائي السلف في ذلك، ثمّ ختم الكتاب بالحديث عن الفزع في المنام وسبب ذلك، ثثم ذكر سر بعض الأذكار النبويّة الشريفة في الحفظ من الفزع في النوم، وكيف جزبها ببعض بناته، فأمنت وطرد عنها الشياطين بإذن الله، وكيف كتبها لبعض النساء اللواتي كنّ يفزعن في حملهن، ويسقط حملهنّ، فلم يعد يسقط حملهن بإذن الله.

4 1 – الهدى والضلال:

المقاس صغير (2 1 *17)، وعدد الصفحات (1 1 1).

الحديث عن الهدى والضلال يشبه الحديث عن الحق والباطل، ويشبه أن يكون الفرق بينهما ان مصطلحي الحقّ والباطل فيهما تصوير لطبائع الأمور كما

(1) مقدّمة كتاب: (الرؤى والأحلام)، ص 5 – 7.

هي في حقيقتهما، وانحياز الناس إلى هذا الجانب أو ذاك، وأنّ مصطلحي الهدى والضلال فيهما وصفٌ لحال الإنسان، وانعكاسات الحقّ أو الباطل في نفسه، والجانب الإلهيئ في ذلك، ا لذي يتمثل في توفيق الله للمهتد ين، و زيا دتهم هدًى، وخذلان الضالين المنحرفين، وإ مد ادهم في الضلالة وا لغواية.

وقد بئن الشيخ في مقدمة هذه الرسالة سبب تأليفه لها فقال: "اهتدى المسلمون الأوّلون إلى دِيْن الله، ودعوا إليه، وحملوا لواءه، فأنقذوا العالم، وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومق عبادة الخلق إلى عبادة الخالق، وعاشوا ينعمون في ظلال العقيدة الإسلامثة الصحيحة، وعبادات الإسلام الهادية، وعدالته الشاملة، واخلاقه الرفيعة. .

ولم يزالوا كذلك حتى طال عليهم الامد، فقست قلوبهم، وتنكبوا طريق الهدى، وسلكوا مسالِكَ الردى، وعادوا يتخئطون في فيافي الأهواء، وضلال الآراء في حيرة وقلق، واضطراب وشقاء. .

ولن يزالوا كذلك، حتى يثوبوا إ لى الرشد، ويهتدوا إ لى ا لصراط المستقيم، ومحخة الإسلام البيضاء. . وإن العالم اليوم لينقصه جيل إسلاميّ بحقّ، يحمل لواء الحق، ويعمل بهدي الإسلام الحنيف، ويدعو إليه بالقَول والعمل.

من اجل هذا جمعتُ في هذه الرسالة ما يعرّف بالهدى، ويوضح معالم الطريق إليه، ويرغب فيه، ويحذّر من الضلال وسوء عاقبته، سائلاًاللّه تعالى أن يهدي بها ا! لعباد إلى سبيل رضاه، ويلهمهم الرشاد والهدى والسداد، إنّه سصخ 5 1 – ا لعشر المهلكات.

المقاس صغير (2 1 ك! 17)، وعدد الصفحات (4 2 2).

وقد عدَد هذه العشر في اؤل الرسالة، ثمّ تحدث فيها عن الاولى والثانية

(1)

انظر مفدمة رسالة (الهدى والضلال).

15 6

فقط، وهي سر 5 الطعام، وسر 5 الوقاع، وقال في مقدّمتها: " فسعادة الإنسان: بالإيمان وطاعة الرحمن، وشقاء الإنسان: بالكفر والفسوق والعصيان ".

وقد عدَد العلماء المعاصي والمهلكات، ليحذرها الإنسان ويبتعد عنها.

وعدَدوا الفضائل والمنجيات، ليتحفى بها، ويُكثر منها.

فقالوا: من المهلكات: شر 5 الطعام، وشر 5 الوقاع، والحسد، والغضب، والبخل، وحبّ المال، وحبّ الجاه، والرياء، والكبر، والغضب.

وقالوا: منَ المنجيات: الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزهد في الدنيا، والتوكل على الله، والإخلاص في الأعمال!، وحُسن الخُلق مع الخلق، وحمت الله تعالى والخشوع له.

والإنسان كثير النسيان، يغفل عمّا يهلكه ويغويه، فيقاربه ويقع فيه، ويهوي في مهاويه.

ويغفل عما ينفعه وينجيه، فيتقاعس عنه، ولا يباليه، مع أن النجاة به، والسلامة فيه.

من اجل ذلك عزمتُ بعون الله تعالى على إخراج رسائل في المهلكات، مبئناًأفاتها، وفي المنجيات موضمحاً مسالكها، لينتفع بها القارئ إذا أراد الانتفاع، فيرهب ويرغب، ويعمل على السلامة والنجاة. والله ثعالى وليّ التوفيق.

!!!!

157

(157/1)

المبحث الثاني

ما لم يُنشَر من كتبه وآثاره

ما لم يُنثر من كتب الشيخ آحمد وآثاره، يشمل: المخطوطات من كتبه، والكلمات التوجيهثة، والخُطب، والدروس، والشعر، واعزف بها فيما يلي:

–أما المخطوطات من كتبه، فأذكر منها:

1 – كتاب: (بلوغ الأمل شرح وصايا سبيل الهدى والعمل): وقد ألفى هذا الشرح خلال سنوات في دروسه العافة، وكان يعزمُ على إخراجه في كتاب ونشره، ولكنه لم يدرك من الأجل فسحة لذلك، وقد وصلتني مؤخّراُ النسخة المخطوطة منه، عن طريق ولده فضيلة أخينا الشيخ الدكتور محمّد أبو الفتح، وتقع في اربعة دفاتر مدرسيّة كل واحد منه! بحجم مئة صفحة أو يزيد، مكتوب على وجه واحد منه!، بخط كبير، وفي شرح بعضِ الوصايا إضافات على أوراق خارجثة، وفي كثير منه! لم يفضل في الشرح، وإنّما أشار إشارة موجزة إلى ما يريد الحديث عنه في الدرس، كقوله مثلاً: تذكر قضة كعب ابن مالك رضي الله عنه. . قضة عمر بن الخطاب وأويس رضي الله عنهما. . وفوله عن وصايا الصوم والحج تترك لحينها. . وبعض الوصايا لم يشرحه اصلاً. .

2 – (مواطن العِبَر في قصص القرآن الكريم) أو: (نفحات الرحمن في بيان مواطن العِبَر في قصص القرآن): وهو مفا ألقاه أيضاً في دروسه ال! مّة، وقد وصلني مؤخراَ النسخة المخطوطة منه، عن طريق ولد 5 فضيلة أخينا الشيخ الدكتور محمد أبو الفتح، وتقع في دفتر مدرسيئ تزيد صفحاته عن مئتين، وهو مكتوب بخطّ كبير جميل، ومبنيئ على الاختصار ايضاً كسابقه.

3 – (من نداء القرآن الكريم): وهو مفا ألقاه في دروسه العاقة ايفاً، وقد

(158/1)

وصلتني النسخة المخطوطة منه مؤخراً، مع ما وصل عن طريق ولده فضيلة أخينا الشيخ الدكتور محمد ابو الفتح، وتقع في دفترين مدرسيّين، وهو مبنيّ على الاختصار في الشرح كسابقيه.

4 – (نسائيات): وهي أحاديث نبويّة مختارة لدرس النساء، ممّا يخدّث عن حفوق النساء وواجباتهن، مع التعليق عليها بما يناسب.

وهو ممّا القاه الشيخ في دروسه النسائئة، وقد وصلتني النسخة

المخطوطة منه مؤخّراً مع ما وصل عن طريق ولد 5 فضيلة أخينا الشيخ الدكتور محمد أبو الفتح، ويقع في (0 4) ورقة مسوّدة، ويحتاج إلى ترتيب مناسب لإخراجه! في كتاب، أسأل الله تعالى أن اوفّق إ لى ذلك.

5 – (مراحل حياتي بقلمي): وقد وصلتني صورة النسخة المخطوطة منه، عن طريق ولد 5 فضيلة اخينا الشيخ الدكتور محمد أبو الفتح، وتقع في (0 4) ورقة مسودة. وقد كتبَ على غلافها: "بدأتُ بتسطيرها في يوم الجمعة 8 من شوال 1393 هـ، في المسجد النبوقي الشريف ".

وقد كتبه بناءً على طلب بعض الإخوة، كما يقول في المقدمة: "فقد سألني بعض الشباب الصالح، ان أكتب عن مراحل حياتي صفحات، تكون لهم حافزاً إلى سلوك السبيل السويّ، الذي هداني الله إليه بمنه وكرمه، وحسن عنايته ورعايته، فترتثتُ اوّل الأمر، وخشيتُ أن يكون فيما اكتبُ سبه رضا عن نفسي، او تلويح في الثناء عليها أو تصريح، فانصرفتُ معرضاً عن ذلك.

ثم لم يلبثوا ان عادوا يلحون عليئ في الأمر، فاستخرتُ الله تعالى، وصححتُ النئة، قاصداً بذلك وجهَ الله تعالى، متحدثاً بعظيم نعمته عليئ، وحسن عنايته بي، وكريم رعايته إيافي، سائلاًالله تعالى ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وينفع بها المسلمين في كل عصر، ويأخذ بنواصيهم إلى ما يح! ت ويرضى، ويلحقني وإئاهم بالصالحين، إنه سميعٌ مجيب، وقد اشفدتُ منه كثيراً في تحديد بعض التواريخ في حيإته وضبطها.

159

(159/1)

---

6 – (مجموعة العبادات على المذهب الشافعي): وهو كتاب على غرار كتابه: (مجموعة العبادات) على مذهب أبي حنيفة رحمه الله، و. لكنه أوسع 5 ن مثيله، وأغنى بذكر الفروع الفقهئة، والمسائل التي يكثر وقرعها، وقد أملى علينا قسماً منه في دروس عقدها للإخوة الثإفعيين، حضرتُ فيها معهم والحمد لئه، ولا ادري ما فعلتْ به الأيام.

7 – كتاب: (الآداب الإسلامية): وهو كتاب شامل، دهمه المرض، ومو يشتغل بتأليفه، وقد ألقى منه دروساً قبيل مرضه، ولا ندري أيضاً ما فعلت به الأيام.

8 – كتاب: (مختارات من كلام السلف): وهي تتناول شعَب الإيمان وأعمالَ القلوب، ويعد زبدة نافعة في التربية والتزكية، وقد أملى علينا قسماً منها في اللقاءات التي كان يعالج فيها شؤون إخوانه، وم! يجدّ لهم من مشكلات، ولا ندري ايضأ م! فعلت به الأيام.

9 – تتفة سلسلة العشر المهلكات، فقد نشر اثنين منها في كتاب: (العشر المهلكاث) المذكور آنفأ، ووعد بالحديث عن سائرها، ولم يتمكّق من إكمال م! كتب في ذلك، كما وعد بالحديث عن العشر المنجيات، ولكنّ المنثة لم تمكن من تحفيق الأمنية، ولئه الأمر من قبل ومن بعد.

10 – (رسائل دعوية وتربوية في موضوعات متنوعة): كان يكتبها لتوجيه إخوانه في المخئمات السنوية التي كان يقيمها لهم، أو في مناسبات أخرى، ومنها الأمالي في جلسة الثلاثاء الأسبوعية بعنوان: (تذكير وتحذير) (1).

11 – وآما خطبه فكفها مكتوبة، وقد كانت آية في البلاغة، وقرّة البيان، وجدة الأسلوب، وتنوع الموضوعات، والمعالجة للمشكلات المعاصرة.

(1)

وقد بنى الباحث عليها كتابه: (أساليب تربوئة، ومفاهيم دعوئة، من حياة الشيخ أحمد رحمه الله).

ولو أن خطبه جُمِعَت ورُتّبَت لكان منها كتاب لا يقلّ عن أربعة مجلّدات، في الدعوة إلى الإسلام، والتعريف بمبادئه، والحثّ على فضائله وادابه، وغرس الاعتزاز به في نفوس أبنائه، وقد وصلت إلى ولد 5 فضيلة الشيخ الدكتور محمد ابي الفتح، ولعفه يوفّق إلى نشرها، أو نشر ما تيسّر منها.

12 – وأما دروسه الأسبوعيّة، فكانت كلّها مسجّلة على أشرطة، ومحتفظ بها، ولا نعلم ما فعلت بها الأيام.

13 – ديوان شعره، وقد سمّا 5: (النزر الطفيف في نظم العبد الضعيف) وقد كنت رأيته في حياته، ولم /يُعثر عليه بعد وفإته، وإنما عُثر على بعض الأوراق التي فيها بعض قصائده في المناسبات، وكأنها مسوّدات ذلك الديوان، ولكن الديوان ا وسع منها واكبر.

هل!! *

161

(161/1)

المبحث إلثالث

التعريف بشعره ومختارات منه

كان للشيخ احمد شعر جزل عذب، اكثره في المديح النبويّ والشمائل المحمّديّة، والدعوة إلى الإسلام، وذكر محاسنه وفضائله، وقد فهجملةً صالحةً منه في كتاب (الحج والعمرة واحكامهما)، وهو منشور أيضاً في ختام العبادات على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

يقول رحمه الله عن قصّته مع الشعر (1): " عالجت الشعر في أوّل شبابي، فجاء متكففاً غير مرغوب، فتركته، ثئم عالجته مرّة اخرى كذلك، وتركته. . فلقا سزحت من وظيفتي الخطابة والإمامة، جاءني الشعر عفواً سهلاً سلساً مستساغاً، وانقادت إليّ قوافيه.

وكان اؤل م! أرضاني منه انّي كنتُ وانا في شهر ربيع الأوّل في نشوه المولد النبويّ الشريف، افكر في عَظَمة الرسول! ييه، وأنّ كل عَظَمة أضى تتلاشى إلى جانبها. . فانطلق لساني بقولي:

انا ما التفتُّ إلى عظيمِ غيرَه إلأ وجدتُ الوَهْنَ في العظماتِ"

يقول الباحث: واؤل هذه القصيدة قوله:

وَرَدَ الربيعُ باطيبِ النسماتِ وشدا الهزارُ بأعذبِ النغماتِ

ثتم جاءت قبل هذا البيت ابيات، وبعد 5 ابيات، وتتابع الش! س
بالمناسبات، و) كثره في المحبة النبويّة، وفي الحنين إلى الديار الحجازية،
يتخلّل ذلك مواعظ وحكم.
(1) في كتابه غير المنشور: (مراحل حياتي بقلمي).
162

(162/1)

"وأنا لم افرح بالشعر لأنّي قلت الشعر، او ضارعتُ بشعري الشعراء، أ و
ألقيتُ بدلوي بين الدلاء. . بل فرحتُ به رجاء ان يلحقني الله بالمادحين المحبّين
لرسول الله –شيم، المتعلّقين بجنابه الرفيع، وفي ذلك شرفٌ لي وأفيُ ف 3 – ف،
وتقربٌ إ ليه وزلفى!.
6 يد! ل! بم!
نماذج من شعره غير المنشور
العمرة في رمضان
ودَعْتُ طيبةَ لاعتمَارِ جامعاً
والقَلبْ رَاحَ مودعاً ومؤفلاً
هذي بلادُ اللهِ جنّةُ ارضِهِ
يا رلث لا تجْعَلْهُ اَخرَ عَهْدِنا
في طَيْبَة وبمكة أنسُ الفؤا
مَنْ يبغِ وَجْهَ اللهِ يَحْظَ بِقُرْبِهِ
أنا لا أُفارِقُ طَائِعاًارْضَ الحِمَى
يا فَرْحَتي عِنْدَ التَّلافي، ولَوْعتي
بَيْنَ الصِّيامِ وبتَ مَنْسَكِ مُعْتَمِرْ
متنازعَ الأهواءِ دَمْعي مُنْهَمِرْ
بالت! ورِ والنَّعماءِ قاصدُها غُمِرْ
مِنْ قُرْبِ! ا أنْتَ المَلِيْكُ المُقْتَ! رْ

دِ وفرحَةُ القلبِ المشوق المُسْتَعِرْ
مَنْ كانَ يَرْجُوْ الأجْرَ والا! خْرَى أُجِرْ
في عَوْدَتي لكنَهُ أَمْرٌ قُدِرْ
عنْدَ الفِراقِ ووبجَ قَلْبِي المُنكَسِرْ
!!!
أح! ث الصالحين
بَذَلْتُ النُصْحَ أمنحُهُ ثَميناً وبذْلُ النُّصْحِ ما اَحْلَى سَمَاعَهْ
تجنّدْ يا اخي للحق واصبرْ فقدْ كشفَ العدوُّ لنا قناعَة
ولا تغرُرْكَ دنيا فهي حلَمٌ سيَمضي، فالْزَمَنْ فيها القَنَاعَة
فمَنْ لم يرعَ حق اللهِ فيها وعاش مغفّلاً غِرّاً أضاعَهْ
وكم قَذ ضاعَ دينُ النإسِ لكن مححف الدينِ لا يرضى ضياعَهْ
163

(163/1)

فلا تُغْفِلْ نفيسَ العُمْرِ واعمَلْ
وكُنْ يَقظانَ لا يخدعْكَ خِست
وصَئر وصفَ شأنك في البرايا
وهذَبْ نفسَكَ الحيرى بشرع
وباطلُ كل إنسانِ هواهُ
هان الحق عالِ لا يمارَى
وودع عمرَك الغالي بخيرِ
فنِعمَ بِضاعةُ الأخيارِ تقوى
لا2 خرَى إنَما دُنياكَ ساعَهْ
وهَدَمْ مَكْرَهُ واحذَرْ خِدَاعَهْ
قبولَ الحقّ دوماً واتّباعَة
ورَدث النَّفْسَ واصْنَعْها صنا! 4

فروّضْها وعوّدْها صراعَهْ
ووجْهُ الحق ابلجُ في نصاعَهْ
وأحسِنْ في رضا المولى ودَاعَة
وبعسَ بِضاعةُ الحَمْقَى خلاعَهْ
ع!:*شيه!
164

(164/1)

الميحث الرابع
نماذج من وصاياه
الناظر في حياة الشيخ التربوية والدعوئة يجد لوناً شرعياً من أساليب الدعوة والتربية، يغفل عنه كثير من الدعاة والمرئين، هو اعتناؤ 5 رحمه الله بتقديم الوصئة بين الحين والآخر، لأسرته وأولاده، هاخوانه وتلامذته ومحبّيه، وإنَ "للوصئة موقعاً في النفس، خاصَةً، عندما تكون ممّن له مكانة كريمة، ومنزلة معظّمة، كالوالد والمعفم والمربّي، وقد كانت أسلوباً واضحاً في كتاب الله تعالى وسئة نبئه! لخيِك، وهي من سنن الله في الماضين، فقد وصّى الله عباده الأؤلين والآخرين بتقواه، فقال سبحانه: " وَءبئَهِ مَا فِى اَلمَئمَوَّتِ وَمَا فِى اَلأَرْضِى وَلَقَد وَ! ينَا الَذِينَ أُرلؤُأ اَكِتَنِيَ مِن قَبْلِحُخ فَئاكُم أَنِ اَتَقُوأ ألئَةَ وَإِن تَكفُرُوا! مانَ لِئَهِ مَما فِى اَلشَئَوَّتِ وَمَا فِى اَلأَرَضن؟ نَ أدئَهُ غَنيًا حمَيها " 1 النساء: 131). وقال تعالى: " وَوَضَتنَا أَلِالنمَق بِؤَلدَتهِ حمُتنًا " ا العنكبوت: 8). وقا ل سبحانه: "! شَرَع لَكُم مِنَ اَلدينِ مَاوَضَى يه لؤصا وَأَئذِىَ أوَحَتنَا إِلتكَ وَمَاوَضَتا بِهِء إِبَزَ! مَ وَمُوسَى وَعَيسَئ أَن أِلمحوا اَلذِينَ وَلَا لَتَفَرقُوْا فِيه كَبُرَعَلَى اَتمُضكِينَ مَا لَدعُوممَ إِلته ألئَهُ مجتَبِىَ التهِ مَن يشَاء وَئهدِى إِثهِ مَن يُنِيبُ " ا الشورى: 13). وقال سبحانه: " يؤصِ! يكلُ، ألئَهُ فى أَؤلَد صُئم لِذكَرِ مِثلُ حَ! الأنثَيَئن " 1 النساء: ا 1). وقال سبحانه: " ذَلكؤُ وَضنَكُم بِه لعَفَ! ئعقِلُونَ " 1 الأنعام: 151)، "ذَلِ! خ وَصخَنكُم بهِء لَعَفَكؤُ تَذَكَرُوتَ " 1 الأنعام: 52 1)، " د لِكُتم رَضنَكُم يهِء لَعَفَحُئم تَنقونَ " ا الأنعام:

.(1 53

وقد جاء من وصايا النبي ع! يم لأصحابه واقته الشيء الكثير، ا لذي لا يخفى على افي مطلعٍ على كتب السئة الشريفة، منها ما كان عافاً، ومنها ما كان خاصّاً ببعض أفراد امته ولكن يراد به العموم.

ولم تزل الوصيةُ بالخير والتقوى في هذه الأمّة، دا ب الصالحين والكبار،

165

(165/1)

والاباء والمرثين، يطلبها الناسُ، وتبذل لهم بغير طلب، حرصاً على نصح الأمة هارشادها إلى ما يسعدها، وينير سبيلها.

ولقد أخذ الشيخ رحمه الله بهذا المنهج في حياته التربويّة والدعويّة، فكان في كل مناسبة يتقدم لأولاد 5 وإخوانه بوصايا 5 وتوجيهاته، مكتوبة محدّدة، ويدعوهم إلى الأخذ بها، والحرص على تنفيذها 0. فكان في كلّ سؤ ة من أسفار 5 إلى الحج يكتب لأولاده وصيّة توجيهئة تربويّة، ووصيّة أخرى إلى إخوانه وتلامذته ومحبيه، وكان من وصايا 5 ما يقدمه لائنائه الطلاّب في مطلع كل عام دراسيئ. .

وكانت وصاياه حسنة العبارة، جميلة البيان، تصلح أن يقال فيها: جامعة مانعة، ولو جُمِعَتْ في كتاب لكانت صورةً رفيعة من صور الادب العربيئ، التي تجفل صدر لغتنا الحبيبة، وتعتز بها. .

ونتقدّم في الختام بنموذج من وصايا الشيخ رحمه الله:

وصية

الحمد دنّه رفي العالمين، وافضل الصلاة وأتمّ التسليم على سبّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وا لتابعين أجمعين.

وبعد: فيفول العبد الفقير إلى مولاه، الغنيئ عمّا سوا 5: أحمد بن عيسى البيانوني: لفا سمعتُ قول الله عزّ وجلّ: "كا نَفْ! ى %دقَةُ اَلمؤَث "] اَل عمران: 185)، وقوله سبحانه: "كل مَنْ لجَتهَا فَان " 1 الرحمن: 26)، وقوله تبارك

وتعالى: " إنَكَ مَتت د حُم مَّيِتُونَ " 1 الزمر: 0 3)، وفوله جلّ شانه: " وَمَا مُحَمَّذ إلَا رَسُولم تَدْ ظَّت مِن قَتلِهَ اَلرسُل أبايخن مَاتَ) وُقتُلَ انقَلَتغ عَل) غفبِكُغ وَمَن يَخقَلِمت فَ عَقِبَيْو فَلَن يَضُزَ اَلئَهَ شَئا وَسَيَخزِى اَلئَهُ اَلشَّحوِينَ "] آل عمران: 4 4 1،، ولما سمعتُ قول الله عز وجلّ: "وَاَ أضَر (ؤ أ) إن اَلالنشَنَ لَنِى خُتبر ص؟ *لا إلا اَلَّذِينَ ءَامَنُوأ وَعَمِلُوا اَلصئَلِحَت وَتَوَاصَحوْأ بِاَلحَق وَتَوَاصَؤا بِاَلصَّبزِ "] العصر: ا – 3). لفَا

166

(166/1)

سمعتُ هذا وأيقنتُ ا! الدنيا دار ممز، لا دارَ مقرّ، وانَّ اللهَ جلَّت حكمته، خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلوكم أئكم أحسنُ عملاَ، احببتُ أن أُوصي أهلي وأولادي، وذرّيتي من بعدي،! اخواني وأصحابي، وجميع المسلمين –كما أوصي نفسي– بتقوى الله عز وجل، وعقد القلب على الإيمان بالئه تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خير 5 وشرّه.

وأوصيهم بالعمل بأركان الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَ محمداَ رسول الله،! اقام الصلاة، دمايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ اليت من استطاع إليه سبيلاَ.

واوصيهم بمجاهدة النفس على العمل بإلإحسان، وهو أن تعبدَ اللّهَكأنّك ترا 5، فإن لم تكن ترا 5 فإنه يراك.

وأوصيهم بإلاستعداد للجهاد في سبيل الله، عملاَ بقوله تعالى: " وَأَعِذُوا لَهُم نَّا أشتَطَعتُو مِن قُوَّؤ" ا الأنفال: 0 6)، وقوله ع! سم: " مَنْ ماتَ ولم يَغزُ، ولم يحدث نفسَه بالغزو ماتَ على شُعبؤ من النفاق ".

وأوصيهم بإلإقبال على تلاوة القرآن، وتدبّر معانيه، والعمك بما فيه، وطلب العلم الشرفي، قال تعالى: " قُل هَل يستَوِى أنَذِينَ يقمُونَ وَّاثَذِينَ لَا يَغلَمُون" 1 ا لزمر: 9)، وقال عزَّ وجل: " إئمَا يَخشَى ألئَهَ مِق عِبَادِ 5 أتحُلَمَئرأ " ا فا طر: 8 2)، وقال رسول الله ع! يم: "ان الملائكةَ لتضع أجنحَتها لطالب العلم رضا بما يصنع ".

وأوصيهم بإلتقرب إلى الله تعالى بإلفرائض، ثئم التحبّب إليه بالنوافل،

عملاَ بقوله تعالى في الحديث القدسيئ: ". . وما تقرَب إليئ عبدي بشيء آحبّ إليّ مفا افترضتُه عليه، وما يزال يتقرَب اليّ عبدي بالنوافل حتّى أحبّه. . ".

وأوصيهم بكمال الم! ك بإلشرع الإسلاميّ الحنيف، وعدم قياس أمور الدين بإلعقل، فللعقل حدّ ينتهي إليه، كما للبصر حدّ ينتهي إليه.

وأوصيهم بإحلال الحلال، وتحريم الحرام، واجتناب الشُّبَه، واتّباع السنّة، واجتناب البدعة، والثبات على ذلك، ولو لاقوا في سبيل ذلك المشقات،

او نُشروا بالمناشير، ففي الحديث: " إن من ورائكم آئام الصبر، الصبرُ فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين يعملون مثل عمله " قيل: يا رسول الله! أجر خمسين رجلاَ منا أو منهم؟ قال: " بل أجر خمسين منكم ".

واوصيهم أن يدعوا الناس إ لى التم! ك بالدين، وا لاعتصام بحبله المتين، والتشئث بالكتاب والسنة قولأ وعملأ، قال الله تعالى: " وَمَن أحَسَن قَوْلا مِّمَّن دَعَاَ إِلَى اَللَهِ وَعَمِلَ صئحا وَقَالَ افَنِي مِنَ اَلْمُ! لِمِينَ "] فصلت: 33).

وأوصيهم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وألآَ تأخذهم في الله لومةَ لائم.

وأوصيهم ان يزهدوا بالدنيا واهلها، ويرغبوا بالاَخرة والعمل لها، وان يتّقوا الله، ويكونوا مع الصادقين، وان يحتوا في الله، ويبغضوا في الله، فإنّ الله تعالى يقول: " لا تَجِدُ قَوْئا يُؤمَنونَ بِألئَهِ وَاَتؤهآلآَخِرِ يُوَادُّوت مَن حَآدَّ اَلنَهَ وَرَشولَهد وَلَوصَالُؤ3 ءَ ا بَآءَ هتم أَوْ أَتناءَ هتم أَوْ إِخوَّنُز أَوْ عَشِيرَضئتا أُوْلَعكَ! تَبَ فِي قُلوبِهِمُ اسيئَنَ وَأَئدَهم بِرُورح مِنهُ وَيذظِهزجَنَ! ئ نخرِى مِن تَخنِهَا اَلأَنَهَرُ خَلِدِينَ فِيهَأ رَضِيَ أَلئَهُ عنهُخ وَرَضوأ عَنْهُ أوْلَئكَ حِزمهه أَلئَهِ أَلآ إِنَّ حِزبَ اَلئَهِ هُمُ اَقْفلِوُنَ" ا المجادلة: 2 2).

وقال ع! ي!: "مِنْ أوثقِ عُرا ا لإيمان الدبئُ في الله، والبغضُ في الله ".

وأوصيهم بحُسن العقيدة بالصوفية، وبأنَهم صفوة هذه الأمة، وبتاويك

المشتبه من كلامهم، أو تفويض علم ذلك إلى الله تعالى.
وأوصيهم أن يعلموا أنَّ طريقنا هذه مبنيّةٌ على الكتاب والسنّة، وما خالف الكتاب والسئة فهو ردٌّ، وأن التصوُّف لا تكفي فيه النسبة، ولا يورَثُ عن الأب والجد، بل لا بد فيه من العمل بعمل السلف الصالح، والتخفق بأخلاقهم.
وأوصيهم بدوام الطهارة، ودوام ذكر الله تعالى، ولاسئما ذكر القلب، وبحضور الجمعة والجماعات، وبالاجتماع على الطاعِات، والتعاه ن على
168

(168/1)

المبرات، قال تعالى: " وَلَحَاوَلُوُ) عَلَى اَلِبزِ وَاَلنقْوَئ وَلَا تَعَاوَلوُا عَلَ اَفِي ثرِ وَاَتَحُذوَنِ" أ ا لما ئدة: 2).
وارصيهم بأن يحئوا للناس ما يحئون لأنفسهم، ويكرهوا لهم ما يكرهون لأنفسهم.
واوصيهم رارصي نساءهم بالقرار في البيوت، وألا يُبدينَ زينتهنّ، وأن يحتجبن من غير المحارم الحجاب الكامل، عملاً بتحذير النبيئ! سيم في قوله: "اياكم والدخولَ على النساء. .!، وقوله ع! فه: " ما تركتُ بعدي فثنة أضرَّ على الرجالِ من النساص ".
وأوصيهم ألا ينحرفوا مع الزمن وأهله، عملاً بقوله ع! ييه: ا ا لا يكن أحدُكم امعة: يقول: أنا مع الناس، انْ آحسنَ الناسُ آحسنتُ، وإن أساؤوا أيسأتُ، ولكنْ وطنوا أنفسَكم، انْ أحسنَ الناسُ أنْ تُحْسِنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا اساءتهم ".
وأوصيهم بتجديد التوبة إلى الله تعالى دائماَ، فإنَ اللهَ يحمث التوَّابين، ويحث المتطفرين، وفي الحديث الشريف: "ان اللّهَ يبسطُ يدَه بالليلِ ليتولت مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبَ مُسيءُ الليل لما.
وأوصيهم بالإكثار من الاستغفار، رلا سيّما في الأسحار، وأن يكونوا م! ت المتّقين المحسنين، الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار طم

يستغفرن، رفي اموالهم حقٌّ للسائل والمحروم.
رأرصيهم بالإ"خلاص دئه تعالى في الأقوال والالمحعال، ليكونوا من أحباب
الله، فقد روي عن الله تعالى في الحديث الفدسي: "الإخلاصُ سرّ من سرّي،
استودعتُه قلبَ مَن أحببتُ من عبادي إ، وليكونَ عملُهم مقبولاَ، قال ءكيهيه: " إنَّ
اللهَ لا يقبلُ من العملِ الأ ما كان له خالصأ، وابتُغِيَ به وجهه ".
واوصيهم أن يتولّوا بمحبّة النبي ءلخَبرو، ومحثة اهل بيته، وعلامة ذلك
اتباعه مج! ي!، لحياء سنته، والبذل في مرضاته، قال الله تعالى: " قُل! ن كُنتُو

(169/1)

تُضونَ اَلَهَ فَأئيعُوني يُخبِئكُمُ ألَهُ وَلَيفِر لَكُز بؤُلَبم وَألَهُ غَ! ر زَحِيو"ا آل عمرا ن: 1 3،،
وقال ع! ؤ: "مَنْ أحيا سثتي عند فسادِ أمتي كانَ له أجرُ مئةِ شهيدٍ".
واوصيهم ان يأمروا بجميع ذلك أهليهم وأبناءهم وذزياتهم، عملاً بقوله
تعالى: "يأئها اَلَّذِينَ ءَامَوأ قُوَأ أنفُسَ! وَآَهلِيئُ نَارا وَقُودُهَا النماسُ وَألحجَارَةُ"
1 التحريم: 6)، وقوله ع! حِ: "كفكم راع، وكفكم مسؤول عن رعي! هـ. . . ".
واوصيهم ان يدعوا لي بخير، ليكو نَ لي بدعائهم عملٌ دائمٌ، قال رسول الله
يك! م: "اذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُه الأ من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، وعلم! يُنتفَعُ به،
وولدٍ صالحٍ يدعو له ".
وأن يدعوا للمسلمين أن يولي عليهم خيارَهم، ولا يولّي عليهم شرارهم،
وان يقؤيَ شوكتَهم، ويعز شانهم، ويؤئدَهم بنصرٍ من عنده.
وأوصيهم أن يطبعوا هذه الوصئة، وينشروها على الناص، لجتمَ بها النفعُ
إن شاء الله، واكسب بها دعوة صالحة.
وصفى الله على سئدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. والحمد لله رب
العالمين.
كتبه بقلمه في 16 من ذي القعدة 371 1 هـ
الفقير إليه تعالى
أحمد عر الدِين البيانوني

***

170

(170/1)

الخاتمة

إنَ مهفة علماءِ الأمة ودعاةِ الحقّ في كل جيل، ورسالتهم في كلّ زفي أن يُربّوا الناس بالإسلام، وان يربطوا بين اجيال الأقة المتلاحقة، في حياتهم النظرئة والعملئة، وبين الإسلام عقيدةً ومنهجاً، وأخلاقاً وسلوكاً، وعبوديّة، خالصة لئه رب العالمين.

واذا كان كمال المربئي ونجاحه في عمله يتجقى في:

1 – نقل عقل الإنسان ونفسه وروحه من حالة دنيا إلى حالة أعلى، وكلّما ترقى بالإنسان وسما به أكثر دكَ ذلك على كماله ورفعة عمله.

2 – ويتجلَى ايضأ نجاح المربّي في سعة دائرة الناس الذين استطاع آ ن ينقلهم إلى الكمال الإنساني، فكقَما كانت الدائرة أوسع وأشمل كان ذلك أدذ على كمال المرئي ونجاحه في عمله.

3 – كما يتجلَى نجاحُ المرئي في عمله: في صلاح هذا المنهج وهذه التربية، وحاجة الناس جميعأ إليها، واستمرار إيتاء هذه الثعاليم اَثارها على مذ5 من الزمن اطول وأشمل.

وكل ذلك مما تحقق في حياة النبيئ! سَيك على اكمل وجه، وامتازت به شخصئة النبي ع! ي!، في تأثيره العجيب في القلوب، وتغييره للنفوس، وقد شهد له بذلك القريب والبعيد، واعترف به العدؤ قبل الصديق. .

وعلى قدر ما يكون الدعاة الرئانيون، والأئمّة المهديّون على قدم الاتّباع لمنهج النبيئ! سؤ في التربية وهديه؟ يتحقق لهم النجاح في أعمالهم، وتبمبم! آثارهم من بعدهم، وتنتفع الأمة بها، ويُكتَب لها القَبول بين الناس. .

171

(171/1)

وقد راينا من خلال هذه الدراسة: كيف أنَ شخصيّة الشيخ رحمه الله قد– تجلَت في منهجه الدعوى والتربوقي، ثئم تجقَت بقوة في كتاباته، التي لم يدفعه إلى تسطيرها ومعالجة موضوعاتها إلا الشعور بحاجة الأمّة الملحّة لها، والاجتهاد في نصحها وتذكيرها. .

هاذا كانت الحياةُ تموجُ بالحركةِ الفكريّة والعمليّة، وهي متجدّدة متطورة، فإنَ جزءاً لا يتجزّا من مهفة العلماء والدعاة إلى الله تعالى والمربّين أن يوائموا بين حركة الحياة المتجددة المتطورة وبين منهج الإسلام وهديه، ولن يتأتّى لهم ذلك إلأ بالتجديد في اساليب الدعوة ووسائلها، وفي عرض مباد! ئى الإسلام وقيَمه، هاعادة صياغة التراث الفكرفي والفقهيئ ليلبّي حاجات الناس واهتماماتهم، ويسد الفجوة النفسية والفراغَ الفكريّ بين جيل واَخر. .

وبعد؟ ف! ن ما وفق الله تبارك وتعالى من كتابة سيرة هذا العلم الرئانيئ، من أعلام الدعوة والتربية في بلاد الشام حول سيرته الشخصيّة، ومؤلّفاته واَثاره. حقاً لقد سعدتُ بصحبته في حياته. . ولا أدكَ على هذه السعاد 5 من أنني لا ازالُ اعيشُ في بحبوحتها الغامرة إلى يومي هذا. . ولا ازال أترنّم بذكرياتها العبقة، وقد مضى عليها ما يزيد عن ثلاثين عاماً. .

ثئم سُعدتُ بصحبته يومَ جلستُ أكتبُ عنه، فتجددت في نفسي ذكرياتٌ عزيزة تعبق بالروحانئة الفئاضة، وتج! دت امام ناظريّ حياة مليئة بالصد 9ت والإخلاص، والجد والعطاء. .

لمانني لأنظر إلى تلك المدة التي قفميتها في صحبته فأجدها في نظر كثير من الناس مدة ليست بطويلة – تسع سنين – ولكنني أنظرُ إلى عطائها وتأثيرها فلا اكاد اصدق صحة حسابي لها. . فأعيد التفكير في عددها لأجدها مرّة أخرى تسع سنين. . كانت مترعةً في مواقفها، ثريةً في عطائها. .

لماذا كانت قيمةُ الزمن تحددها قيمة الأحداث والمواقف التي تفكع فيه،

فحن لي بهذا المقياس أن اعد صحبتي لهذا الرجل تتجاوز العدد المحدود! ن السنوات بكثير. . فأنا لا زلتُ – غيرَ مبالغ ولا متزيّد – أعيشُ بصماتِ تلك السنوات كل يويم يمز بي في الحياة. . وأجدُ مصداق ذلك الفكر، الذقي تألّقت فيه تلك الشخصيّه في شتّى أحداث الحياة من حولي. . فلا أجدُ عزاءً عن عجزقي عن تقديم الشكر، والاعتراف بعظيم الفضل، إ لا ان استمطرَ شآبيب الرحمة من الرحمن الرحيم، على الجدث المتواضع، الثاوي في رُبا مقبمسة الأعرابي لذلك الرجل العظيم، وأسأل اللهَ تعالى ان يرفعَ صاحبه عنده في علّيين، مع الذين أن! 3 ال! هـ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

هاني إذ أتأملُ شيئاً من الخيرِ وفّقني الله إليه أجدُ بصمات ذلك الرجل العظيم فيه تقف شاهد صدقٍ على انَّ التلميذ وعمله إن هما إلاّ جزءٌ من عمل الشيخ وامتدادٌ لسعيه. .

وعندم! تتجذَد في النفس مثاعر الحزن بفراق امثال هذا الرجل العظيم لا يجد المرءُ عزاءً عن ذلك سوى الطمع برحمة الله تعالى التي انتقلوا إليها، وأنَ هذ 5 الدار ليست بدار قرار ولا جزاء، وا! الآخرة خير من الأولى. . وأن الرجاءَ بعظيمِ فضلِ اللهِ تعالى، وحُسنِ الظن به أن يجمعنا بهم في بحبوحة جنّته، ومستقز رحمته. .

هاذا سعدتَ اخي القارى الكريم بصحبةِ الشيخ في سيرتِه، ومع.! ئفاته، فلا تنسَ ان تخضه بدعواتك الصالحة، كما تخمن كاتبَ هذه السطور، ولك مثلُ ذلك، ولك من مودة القلب، وصإدق الحمث، م! يكون كفاء دعواتك او يزيد، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتحائين فيه، وان يظلّنا في ظلِّ عرشه، يوم لا ظِل إلاّ ظلُه.

اللهثمَ اجعلنا هُداة مُهتَدينَ، غَيرَ ضإلين ولا مُضلّين، سِلْماً لأوليائِكَ حَرباً على أعدا ئِكَ، نُحِمث بحُئكَ مَن احئك، ونُعادي بِعَداوتك مَنْ خَالفك.

ونسألُكَ اللهئم حُئكَ، وحُمث مَن يحئكَ، وحُبَّ عَملٍ يُقزَبُنا الى حُئكَ،

واجعلْ خَيْرَ عُمُرِنا اَخرَه، وخَيرَ عمَلِنا خَواتِمَه، وخَيرَ ايّامِنا يومَ نَلقَاكَ وأنتَ راضٍ عنا.

وصل اللهثمَ على عبدك ونبيّك محمد، النبيّ الاميّ الزكيّ، وعلى اَله وصحبه وسفم، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

***

174

(174/1)